

حياة المسيح

في التاريخ وكشف العصر الحديث

طبعة مزيّدة ومصحّحة

تأليف

عيسى محمود العقاد



مقدمة

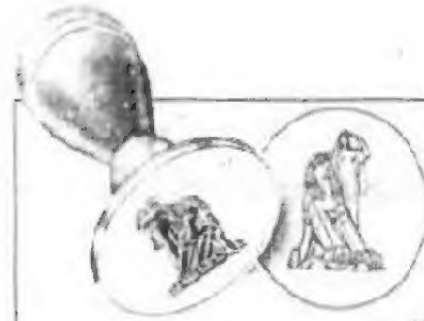
من وشياني التي كنت أردتها في نفسي كلف راجعت أسعد ، لكتب التي
أترقب الفراغ لتأليف - أن أدرك - ربيع الدعوة لخدمة كما تحت في رسالات
أكبر دعائها في العالم الإنساني ، إبراهيم الخليل وأبنائه الكثر والمسيح
ومحمد عليهم السلام

هذه الظاهرة الإلهية - دعوة النبوة - ظاهرة فريدة في العالم الإنساني لم
تظهر بين الأمم في غير السلالة السامية ، ولما لها من سبب تكشف عنه
دراسة النبوات في هذه الأمم

وسببنا من جانبها لتاريخي فيظهر لنا من المقارنة الطولية بين الديانات
أن النبوات الكبيرة كانت ترتبط بمن القوائم ، لأنها بيئة وسطى بين الحضارة
والبداءة ، وكذلك كانت أور ، وبعثك . وبيت المقدس ، ومكة . وبثرب . ومدين .
ومحلات الطريق في جنوب فلسطين وشمال حجاز ، وهي بيئات لا إلى
حضارة المدن التي تعول في تشريع الحقوق على نظام الدولة ، ولا إلى بداءة
المحيرة ، التي تعول في تشريع الحقوق على من ، لشر والغلبة . ولكنها - مدن
القوائم - وسط بين لحياتين . مع حاجتها إلى تقرير الحقوق في كل لحظة
لأوامر المعاملات واشتباكها . وكثرة الطارقين زهابا وإياب . من يجدر
المال . ويبحثون عن المنفعة الفارصة ، ويحاول كل منهم أن يعد صاحبه في
سوق الأخذ والعطاء . وحلية الفراغ والادعاء

ولهذا تترقب من قوائم مصدرا للهداية غير مصدر الشريعة الحكومية
وغير مصدر القبة والتقلب بين الغاصب والمقصود والعادي والسعدى عليه
وذلك هو مصدر الهداية النبوية في بيئة وسطى ، تنبأت لها حساسة النفوس في
البادية ، وشعور النفوس بمسحة العهد ورباط الأمانة في كل علامة واسعة
كالعلاقة التي ترتبط بالقوائم المترددة على مسافات بعيدة

ومما وفقت إليه ، مفتطبا بهذا التوفيق ، أنني امتديت إلى حكمة هذه
الظاهرة في سورة الخليل إبراهيم ، وسيرة محمد والمسيح عليهم السلام . وكر
هذه السير ظهر في حينه ، فظهر من استقبال العالم له ، أنه لم يكن رغبة من



اسم الكتاب

اسم المؤلف

إشراف صام

تاريخ النشر

رقم الإيداع

ترقيم الدولي

الناشر

المركز الرئيسي

مركز التوزيع

إدارة النشر

حياة المسيح

عباس محمود العقاد

داليا محمد إبراهيم

فبراير ٢٠٠١

٢٠٠١ / ١١٨٣

٢ - ١٥١٣ - ١٤٠ - ٩٧٧ - S. B. N.

نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع

٨٠ المنطقة الصناعية اربعا

مدينة السادس من أكتوبر

ت: ٢٢٠٢٨٠ / ١١٠٠١١ - ١٠٠٠٠٠٠٠

فاكس: ٢٢٠٢٨٠ / ١١٠٠٠٠٠٠

١٨ تر كامل صدقي - نجاة - القاهرة

ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٥٩٠٨٨٩٥ - ٢٠٠٠٠٠٠٠

فاكس: ٥٩٠٢٣٩٥ - ٢٠٠٠٠٠٠٠

٢١ ش أحمد غرابي - المنصورة - جيزة

ت: ٢٤٦٦١٢١ - ٢٤٦٦١٢١ - ٢٠٠٠٠٠٠٠

فاكس: ٢٤٦٦١٢١ - ٢٠٠٠٠٠٠٠

رغباتي القوية وحسب ، بل كان على التعميم رغبة قوية لقراء العربية في مختلف الأزمان والنحل ، لا تحسبها مرزب في استقبال كتاب حديث ، كما برزت في استقبال هذه الكتب الثلاثة ، مما ألفناه خلال السنوات الأخيرة .

وكن من الواجب أن تظهر هذه الطبعة من هذا الكتاب قبل الآن ، لولا أن لفترة الأخيرة قد ازدهرت بالمؤلفات والكشوف الأثرية ، التي تستميل كل مؤرخ السيد المسيح ولعصر الدعوة المسيحية ، أصلاً في الوقوف على جديد يضاف إلى تاريخ الداعي أو تاريخ الدعوة ، أو توقعاً لتوكيد شيء من القديم يحتاج إلى توكيد أو إلى تعقيب .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الشجرة المباركة

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَرُ نُورِهِ كَمِثْقَا ذَرَّةٍ فِي يَمٍّ يُضَاءُ بِهَا وَنُورُهُ يُضَاءُ فِي رُجَائِهِ الرَّجَاءُ كَأَنَّ كَوْكَبًا دُرِّيًّا يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَبْرُكُ أَذْرُعُهَا زَيْتُونُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارُ نُورٍ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ نُورَهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَأَنْتَ يَكْرِهِي وَعَلَيْهِ ﴾

(سورة البقرة ٢٥)

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوسَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوسَاتٍ خَلْفَ الْأُرُوعِ مُتَحِطِّاتٍ أَكْثَرُ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسُخِّيَا وَمِنْ ثَمَرِهِ كُلُّ فَاكِهَةٍ شَرِبُوا مِنْهَا وَأَكَلُوا وَتَوَلَّى سَائِرُ الْأَرْضِ الْأَنْعَامَ وَأَقْبَلَهُ يَوْمَ حَصَادِهِمْ وَلَا تَشْرَبُوا إِلَّا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ الْمُسْرَى ﴾

(سورة الانعام ١٤١)

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَكُمِّيَّتُهُ سُورًا وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١﴾ يُخْبِتُ لَهُ جَنَّةُ الْأَرْضِ وَالزَّيْتُونُ وَالنَّخْلُ وَالْأَعْنَابُ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ ﴾

(سورة النحل ١٠-١١)

﴿ وَالزَّيْتُونُ وَالزَّيْتُونُ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ ﴾

(سورة التين ١-٢)

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿١﴾ فَاصْبِرْ لِلْعَذَابِ ﴿٢﴾ ثُمَّ تَعَذَّلْهُ الْآلِهَةُ ﴿٣﴾ فَأَنْتَ فِيهَا خَالٍ ﴿٤﴾ وَتَعَبْنَا وَقَضَبْنَا ﴿٥﴾ وَزَعَبْنَا ﴿٦﴾ وَخَلَلْنَا ﴿٧﴾ وَتَعَبْنَا وَقَضَبْنَا ﴿٨﴾ وَزَعَبْنَا ﴿٩﴾ وَخَلَلْنَا ﴿١٠﴾ ﴾

(سورة عبس ٢٤-٣٠)

هذه هي الشجرة المباركة في التزييل : شجرة الزيتون . شجرة البحر الخالد
شجرة الحوض الذي تبت عليها حضارة الإنسان ودارت حوله . ولا تزال تدور
عالية تعلو حصى قامات وتزداد .

باقية تبقى خمسة قرون ، ثم لا تصير إثرا نفا .

كرينة مؤتي من ثمراتها ما تشتهي الأخرى وتشتهي به طيب الطعم . سعيدة
ترش عن عصيرها النور والطب ومسوح : إلهاب وجدار العظم . من خشبها
صور البحاريب وأعواد المناير . ومن ورقها أكثيل الأبطال وتحيات البشر .
وتشابه بركتها على الأبطال الأندمين فينفسحون بطيب طلب القوة تنفس وقوة
أجسد وهم يقبلون على الصراع ويتناضلون . وتشبه بركتها عليهم كرة
أخرى فيه يعلنون السلم . ويرفعون غصن الزيتون !

بوركت في وحى المعابد والضمائر . وبوركت في رموز القرائع والخواطر .
لهم يعرف الناس أمنية لا يرمزون لها بسماها وأسمائها . ولم يذكروا نعمة لا
يذكرونها بنعمائها . رمزوا بها إلى الضياء . ورمزوا بها إلى السلام . ورمزوا
بها إلى الخير والرخاء . وقزودوا منها في البادية والمهجرة . وادخلوها للدنيا
والآخرة . واتخذوها للصلاب في محاريب الصلاة والتسبيح . وجعلوا إليها
باسم من أقدس الأسماء . هو اسم « السيد المسيح » .

الأمر ما نبتت في فلسطين . وانتشرت منها في مهابت المسمين . وعلى نحو
من هذا وهبت مسحتيا للرسول الأمين . فعافت رسالة حيث طافت . من
عليين إلى غايها من البلاغ النبيل .

ولو لم تكن « للزيتونة » إلا أن هذا الاسم الميارت مزدوم إلى مسحتيا وبركتيا .
استحققت به الخلد المصور . فطسرا على مدى السنين والقرون .

● الباب الأول ●

كشفوف وادي القمران
وتفسيرات من فلسفة
التاريخ

في وادي القمران

نقال في بعض التعبيرات المجازية أن حادثاً من العوادم وقع في طائفة هذا البرج أو ذاك من بروج الفلك المشهوره . فإذا جاز لنا أن نستعير هذا التعبير قلنا إن السنوات القليلة قبل منتصف القرن العشرين كانت فترة يظلمها في أفق الثقافة الروحية برج البحوث والدراسات عن تاريخ السيد المسيح . فإن اللغائف البطوية التي كشفت منذ أوائل سنة ١٩٤٧ ، وما أعقبها من الشرع والناقضات والريود ، تتكف منها مكتبة عامرة بالموسوعات الدينية والتاريخية . وأما الساعة ثبت موجز مضموم إلى ذيل كتاب من هذه الكتب يستغرق خمس عشرة صفحة كبيرة ، ليس فيه من شيء غير أسماء الكتب والرسائل التي ظهرت في موضوع تلك اللغائف المكشوفة منذ سنة ١٩٤٧ . وهذا عند الكتب والرسائل التي ألفها الباحثون عن السيد المسيح بمعزل عن هذا الموضوع ، ممن لم يقصدوا إلى التعقيب على تلك الكشوف ، ولم يربطوا بينها وبين ما بعثوه من سيرة السيد المسيح .

وانفق أن اللغائف كشفت ، حيث لا تسمح الأحوال باستمرار البحث فيها والتنقيب عن بقاياها ، في مطلع سنة ١٩٤٧ ، لأنها كشفت بوادي القمران من شرق الأردن ، وتفاقمت يومئذ مشكلة فلسطين ، فحالت نون البحث الهادي والتنقيب المأمون في ذلك الجوار . ولم يتصل خبر تلك الكشوف الهامة على شيء من التفصيل أو البيان المفهوم . إلا بعد استئناف البحث فيها والاستئذان بدراستها حوالى السنة التي ألفت فيها كتابي هذا وهي سنة ١٩٥٢ .

ولما علمت بنبأ هذه اللغائف في وادي القمران ، توقفت عن إعادة طبع الكتاب قبل أن تنهي لي فرصة كافية للاطلاع على مضامين اللغائف والاستفادة مما عسى أن تسفر عنه من دلائل التاريخ المجهول ، ولبنيا . كما قبل يومئذ ، كتاب كامل من العهد القديم ، وتعليقات على كتب أخرى ، ودفتر واق بالهدايا والأوامر عن آداب السلوك ، بين زمرة دينية تشبه الزمرة المسيحية الأولى في الشعائر والعبادات .

ولم يكن من التوقف عن البحث في موضوع الخرتين بنتيجة - علاج على اللغائف وادي القمران يشيخى لزاماً عن متابعة البحث في أسرار سيرة كرم بدأت على عهد الخليل بر فيه ومهد موسى الكليم . فإن البحث في هذه الأسرار على عهد الخليل ، يستدعي بنا من البدء الأولى ، ويفتقر بنا من مطالعها أو يتبعها أثر تقدمت فيه جميع الديان ، ودراسة النبوة على عهد موسى الكليم تقتض عبيداً من التبرعات بلغ فيض هذه الأنبياء ، ستاحقين العشرات بل عشرات . ولكن تاريخ موسى الكليم أيضاً فإنه قد يتحر من كتب بتاريخ اللغائف بوادي القمران . إذا كان متنياً ، كما قيل ، للغائف تضمن كتب من التوراة ، ونصفاً من الكتب الخمسة المشهورة - سم الكتب الموسومة ، وكان العثور على نسخ من هذه الكتب عند اكتشاف الكشف عنها أملاً بدير العلماء الحفريين والأفريقيين . ففحصت من أجل هذا أن أرجو الكتابة عن موسى عليه السلام يستند بالكتابة عن الخليل إبراهيم . وسيت كتابي عنه - يري الأنبياء وانتهت لعلنا من البحث في تفاصيله إلى تقرير العلاقة الحسنة بين مدن القوافل والبيئة الصالحة لتلقي الرسالة النبوية . إذ كانت للخليل علاقات متتابعة بكل مدينة من مدن القوافل الكبرى في زمانه . وكذا استقاله من - أور إلى جدار . بطريك بيد القدس ومن الطريق من سببا - والحجاز - سلسلة من الشواهد البارزة . تلفت لنظر إلى هذه الحقيقة . وتجولها على صورها المتقاربة . ثم جلاء .

أما الموضوع الذي تفت من انصرف فيه ريش مستقصيني من ربه الجديد فقد كان يتوزع حور سنة ١٩٤٢ على مصاص ثلاثة : أهمها شائف وادي القمران . ومنها تراجم العهد القديم وتجديد تنقحة في اللغة العربية ومنها سبل - يمكن ينتمي في تلك السنة من مؤلفات المفكرين الدينيين وغير الدينيين عن السيد المسيح من وجهة نظر العصرية بعد الحرب العالمية الثانية . وقد كنا نقرأ في الصحف والمجلات أن لغائف وادي القمران تستعمل على نسخة كاملة من كتاب شعبي . ونسخة مقرومة سيرة بعض السلافة من تفسير نبويات حيقوز التي حلتها حوادث لتألبه . وشارات من تفسير كتاب ميخا وقصة تسمى قصة حروب بين أبناء النور وأبناء الظلام ، وأناسيد منظومة للدعاء والصلاة . ونسخة أرمنية من كتاب غير معتمد بين كتب التوراة وقصاصات متفرقة من كتب شتى تحق بكتب العهد القديم . ونسخة مفصلة لأداب السلوك المرعية بين جماعة لسنالك الذين أقاموا دماً بصرمعة وادي القمران ، وكما مودة في جوار كبيرة يوجد الكثير منها في بعض الكهوف

مجازية ، ويبدو من أصل ذلك أنها قد شتمت على ودائع من هذا القبيل ، لا تقرر عن
نفسه ، لحقيرين وطماء ، المقابلة بين الأديان وجمهرة اللاهوتيين على الإجماع .

ولم أن أحدا أراد أن يحيط بأطراف الكتب والرسائل التي تناولت مسائل
تبحث في تلك اللغات خلال هذه السنوات الخمس . لذا ستوعبنا جميعا . ولم
نرى لها كل وقتها . وحسب القارئ العربي أن يعد أنها بحثت من كل ناحية
خلت في موضوعاتها الدينية أو الغوية أو التاريخية أو الحفرية أو الكيمائية
و الصناعية . ولم تخل منها لغة من لغات الحضارة الغربية . فقد تناولت
بحوث مسائل الهباء وقواعد الكتابة . واختلاف اللهجات واللغات ومواد
نورق والجلد والعداد والصبغ والتجفيف . كما تناولت أسماء الأعلام وما إليها
من الألقاب والصفات وما يقرن بها من تواريخ لشعوب والقبائل ومواقع
لأرض وعوارض الجو والفلك وأصول العقائد وشعائر العبادات في كل فترة
على حسب حفظها من الأصالة أو الاستعارة . وعلى حسب المصطلحات التي
تلازمها ولا تعمد في غيرها . واتسع نطاق البحث إلى غاية حدوده تحقيق
تساجع البناء ، وصناعة الآنية الفخارية . ومعدات الأكل والشراب . وأزياء
الكساء . ومواد الأظفحة ، وضرات النبات . وفراوحت نقوشات الزمن بين القرن
الخامس قبل الميلاد والقرن الأول بعد الميلاد . ولم تستقر بعد كل هذا التوسع
وكرر هذا الإمداد والتدقيق على قرار وثيق .

ومن البديهي أننا لم نستوعب هذا الضوفان الزخر من الدروس والحقائق .
وعلى كل ما في هذه البحوث من مواضع المراجعة والعدل . ومواضع للشكك
والترجيح . بل نحن لم نشعر بضرورة الاستيعاب والاستقصاء . كي نخلص من
إلى القول الجديد في تاريخ السيد المسيح . ولكننا عمدنا إلى نخبة من كتب
الذات التي ألتمت برموس المسائل . ولخصت محور الخلاف ومبلغه من الدلالة
في كل مسألة منها . وخرجنا منها بالخلاصة المطلوبة فيما يعيننا . فكانت هذه
الخلاصة أن الجديد في الأمر لا يزال من عمل السيد المسيح أو من فتوحه
المبتكرة في عالم الروح . وأن كل مشابهة بينه عليه السلام . وبين مذاهب
الدين قبل عصره . تنتهي عند الفواهر والأشكال . ولا تدل على فصل أسبق
من فضله فيما ارتقت إليه عقائد الدين على يديه .

ولعل أرجح الأقوال التي خلصت إلينا أكثر البحوث والمناقشات . أن نسأل
صومعة القمران كانوا زمرة من «الأسستيين» إحدى الطوائف المتشددة في

رعايتها للأحكام الدينية . وانتظاره لخلاص الغريب ظهور المسيح لموعود .
وفده في الطائفة التي ذكرناها في عقيدة المسيح . فلما عذب ما فحواه
أنها أقرب الطوائف الإسرائيلية إلى تطهير من آدران المطامع والشهوات .
وأنهم كانوا ينتظمون في النحلة على ثلاث درجات . وأن أحدهم يتسم مرة
واحدة يمين الأمانة والمحافظة على سر الحياة . ويحرم عليه القسم بالحق أو
بالباطل يدي الحياة . وليس بينهم رئاسة ولا سيادة . والمادة عندهم مصدر
الشر كله . والسر يد سرور بالنفس والنجاة . وكانوا يتأخرون ويصطحبون
أشبين اثنين في رحلاتهم . وهم مؤمنون بالقسامة ولبعث ورسالة المسيح
المنظور . معتقدون أن الخلاص يبعث روحاني يهدي الشعب إلى حياة
الاستقامة والصلاح . ثم قننا عنده في سياق الكلام على زمرة «المتنطسطين»
بمعنى Therapeutes أن هؤلاء المتنطسين ربما كانوا سائذة النساء اليهود
المسيحيين بالأسير أو تاسينيين على قول بعض المؤرخين . لأننا رجحنا أن
الاسم مأخوذ من كلمة الأسى بمعنى الطبيب . وهي تقابل كلمة أشيراييين
اليونانية بمعنى المتنطسين .

إذا صح أن زمرة ودي القمران كانت تنتمي إلى الأسستيين . وصح أكثر من
ذلك أن صومعة كانت في البرية التي كان يلوح بها السيد المسيح وبوحن
المعمدان . فالجديد في هذا الكشف هو تأكيد الحاجة إلى رسالة السيد
المسيح . أو تأكيد عصر الدعوة المسيحية في إصلاح عقائد القوم كنا وجدتها
على أرفاقها وأنقاد بين أتباع النحل اليهودية قبل عصر الميلاد .

فالكذب الأسستية - أو الأسبية - التي وجدت في الصومعة تصف لنا نظم
الجماعة وأداب سلوكها وشدة حرصها على الشدة الموروثة بين قومها .
ولكنها لا تزال مصابة بآفة القدم التي انتهت إلى غاية مداه في تلك الفترة .
وهو داء الجسد على التصور والحروف . والأنصراف عن جوهر العقيدة
ولباب الإيمان . ولا تزال النحلة الأسستية نفسها أدل على الحاجة إلى الإصلاح
من النحل المتهم أو تحاطة بالشبهات . لأن النحلة المتهم تجد إصلاحها
عند الراشدين من أبناء الديانة القائمة . وكل نحلة يهودية رائجة عن سوانه
تجد من يقومها من العارفين باستقامتها في نطاق الديانة اليهودية . ولكن
الحاجة إلى الإصلاح إنما تثبت كل تثبوت إذا بلغت النحلة أرقى ما تبلغه
واستغلقت كل طاقاتها تهذيبا وتطهيرا وإخلاصا وتكبرا . ولم تزال بعد ذلك
محصرة عن تزويد الروح بما سعطش له وتفتقر إليه . وكذلك كانت النحلة

الأسبينية التي كشفت عنها لغائف وادى القمران ، أيا كان اسب . وآية كانت وجهتها ، فإنه لم تمهد رسالة السيد المسيح إلا كهدية يهد المريض للعلاج أو يهد الدواء للدواء ، ولا شك أن اللغائف المكتشفة ذخيرة نافعة في بابها . ولكنها لا تضيف إلى معلوماتنا عن حقائق الرسالة المسيحية ، ولا تخرجنا بشيء جديد في أمر هذه الرسالة ، غير أنها تؤكد لنا فضلها ولزومها في أوانها ، فبها يمكن من عرض النحلة الأسبينية ، فهي هي أصولها وفروعها بقية محافظة على برانها متشددة في محافظتها ، نظرة إلى أسسها حتى في التلمع إلى الغد المرجو انتظارا للمخلص الموعود على حسب النبوءات النبوية . ولهذا الألفه الويلة - أفة التشدد في عبادة المراسم والنصوص - كانت الدعوة المسيحية رسالة لازمة تهم الناس ما هد في حاجة إلى أن يتعلموه كلك غرقوا في لجة راكدة من الحروف الميتة والأشكال المتحجرة . تعلمهم أن العقيدة رسالة فكرة وضمير ، لا مسألة حروف وأشكال ... وهذه هي رسالة السيد المسيح في ذلك العصر المربو ، بجموده وريائه على السواء ، لأن الرباء إنما هو في باطن جمود على وجهه طلاء .

تفسيرات من فلسفة التاريخ

يسطر من تلخيص نتيجة اللغائف المكتشفة إلى تلخيص نتحة المناقشة في المناشآت الطويلة - حول الترجمة المنقحة في اللغة الإنجليزية لكاتب العبد القيد والعهد الجديد .

إننا سمعنا يبدأ هذه الترجمة المنقحة بعد ستعنا بشأ اللغائف المكتشفة . وكنا نحس الضجة الكبرى حول فقرة واحدة في كتاب أشرفيا في العهد القديم ، فاعقدنا أن المشتغلين بتقريب الترجمة رجعوا إلى نص جديد في لغائف وادى القمران لأن كتاب أشرفيا هو الكتاب كادل الذي اشتملت عليه تلك اللغائف فيما اشتملت عليه من الآثار المتفرقة ، وكنا تلقينا الماد الرافى عن عمل المنقحين ، فلم نجد فيه ما يشير إلى علافة بين الكشوف الجديدة وبين تفحيح الترجمة المتداولة من كتب العهد القديم على الخصوص ، لأن الفقرة التي جرت في كتاب أشرفيا وشارت حولها الضجة الكبرى بين أنصار التقريب ومعارضيه لم يفاجئ عنها فلاهوت برأى لم يعوده من قبل ، ولم يذموا فيه كمن يذم من الطرفين المتقابين .

شارت النسخة حول فقرة في إصحاح السابع مترجمة في اللغة العربية بالحكمات الآتية : ... يعطيك السيد نفسه آية ما العنرء تحمل وتلد ابنا . وسعوا اسمه منا نويل .

فهذه الفقرة تظهر في الترجمة الإنجليزية المنقحة بعبارة « امرأة شابة » في مقابلة كلمة « علامة العبرية » ، وكلمة « بارنثوس » في الترجمة السبعينية . ولا حديد أيضا في هذا الخلاف لأنه خلاف لم ينقطع بين المذاهب الثلاثة أمر بدور بحثنا على تفسير المقصود بنبوة السيدة مريم أم المسيح عليه السلام . فمن أصحاب المذاهب المسيحية من يفسرها بالنبوة الدائمة قبل ميلاد المسيح وبعده . ومنهم من يقول بالنبوة قبل ميلاده . ثم ولادة أخوة له بعد ذلك وردت الإشارة إليهم في كتب العهد الجديد ، ومنهم من يرجع إلى النصوص العبرية ولا يذكر كلمة النبل كما تقدم ... وجواب القائلين بالنبوة الدائمة على المستشهدين بذكر أخوة السيد المسيح في كتب العهد الجديد

لهم أبناء عمومة أو أنهم أخوة مسيحيون إلى يوسف خطيب أسيطة بريم إلى آخره ورد في هذا الخلاف القديم الجديد

ولقد كانت أساسا تفاصيل هذا الخلاف عند كتابة حياة المسيح فلم نعرض له، ولم نعرض لبحث من البحوث في هذا الصدد، إلا ما كانت له صلة لا فكاك لها برسالة السيد المسيح في عالم الهداية الروحية، ولهذا لم نذكر معنى كلمة «خبي» التي شفعت باسم «جيمس» المقابل لاسم يعقوب في الترجمة العربية، وقلنا عنه أنه «جيمس قريب السيد المسيح»

وقد خطر لبعض الناقدين أننا سمعناه كذلك لأننا لم نطلع على الترجمة العربية لكاتب العهد الجديد، وأنه لظن يستنبطه من يستشعر النقد بغير روية، ويحسبه بعيدا كبعد المستحيل من يعلم من قراءة «حياة المسيح» أننا على الأقل نلحنا كتب العهدين مائة مرة، لنبحث فيها عما بحثناه، وننقل منها ما نقلناه... فالآن تعرض المناسبة التي نذكر فيها سبب تلك الإشارة على علاتها، دون أن نبدى رأيا في تصحيف كلمة جيمس من كلمة يعقوب، وبدون أن نقرر في الإشارة العابرة حكما فاصلا لا نوضح له بين هذه التفصيلات.

وربما كان اتفاق الوقت بين ضجة الترجمة المتقحة، وضجة التفاف نستخرجة من وادي القمران، مع تكرار الكلام عن كتاب أشعيا في كتابنا لضعفتين - هو الذي أوحى إلينا أن ننتظر ما وراء ضجة الترجمة كما أوحى إلينا أن ننتظر ما وراء ضجة اللغات المكشوفة. فقد يكون ذلك من لصوص والأسانيد ما يوجب إعادة النظر في كتابة «حياة المسيح» ولولا هذا التقدير لما كان الخلاف على تفسير البتولة وحده موجبا للانتظار إلى ما بعد فراغ القول منه. إذ كانت أوجه الخلاف جميعا في هذه المسألة معروفة من زمن قديم، وكانت من المسائل التي كان في وسعنا أن نشبعها في مصادرنا قبل الكتابة عن السيد المسيح

إلا أننا نسأل الآن بعد خمس سنوات: هل كان مما يربح الضمير أن نغضى في إصدار الكتاب مرة أخرى قبل أن نطلع على الكتب الجديدة التي كانت تتعاقب في اللغات الغربية كتباً بعد كتاب عن السيد المسيح ورسالته، ونظرات المحدثين إلى هذه الرسالة في زمانها وفيما أعقبه من الأزمنة؟

إننا تمهلنا قبل خمس سنوات في إصدار الطبعة الحاضرة لأننا اعتقدنا أن تنقيح الترجمة قد يعود إلى أسباب توجب المراجعة وإعادة النظر، ولكننا نسأل اليوم: ترى لو أننا علمنا يومئذ بممر الضمير على الترجمة، وعلمنا أنها

مرفسوع معاد في قضية معروفة - هل كما نستخف من أجل ذلك - بخفي المتدفق من الكتب والرسائل التي كتبها أصحابها في موضوع كنسوعهم، ومن وجهة نظر تنبئنا، أي كان شأنها من الموافقة، أو المخالفة لوجبة نظرها

نحسب أن اشتغالنا بالاطلاع على طائفة من تلك الكتب كان سبب كافيا لتعليق النظر كي نصدر الكتاب على الأقل مطمئنين إلى عاقبة هذه الآفة لأن غير الاطلاع على الكتب الجديدة أراحنا في موضع من مواضع الكتب - لست فاسدة جديدة بالانتظار - وإن أطلعنا على الكتب الجديدة ولم تتغير تفرقت لست ضمانية نحمدها، وما صيغتنا شيئا بيضاء الأناة

وأيسر ما نقول الآن عن الكتب الجديدة، أن الاطلاع عليها كان متعة من متع القراءة، ترضينا قارئ قبل أن ترضينا مؤلفين، وقد كان فيها السير، لمت، والمفروق والمختلط، كما يكون في كل تأليف، ولكننا خلقنا أن نعد حننا ما استوفينا منها، لأن ثقت منها كان من قبيل المقررات التي تتكشف غنائها للنصف من بعد الإماء بسطور هنا وسطور هناك، وأما السمين منها فقد كان كافيا في موضوعه، كما كان مكافئا لما ينلقه القارئ من الوقت والجد في

ونستطيع أن نسلط هذه الكتب القيمة في باييين وأسعين باب المترو وما إليه من النظر الفلسفي ونحوها الوجدانية وباب النقد التاريخي والتحقيق العلمي على قواعد العقابلية بين لابيين

وبلذ القارئ ولا ريب أن يعلم رأى الفيلسوف المصري في المقابلة بين تعاليم المسيح وتعالمه نيقتش في العصر الحاضر، أو يعلم رأيه في انعكاس بين تعاليم المسيح وتعالم كارل ماركس وأصحاب الماديين، أو يعلم وحده التشابه ووجوه المتشابهة بين خطة المسيح في الإصلاح الإنساني وخطة السامة ودعاة الاجتداع في القرون الحديثة، أو يعلم بلاغة الكلمات المسيحية حين تقتزن بكلمات السقاء من أصحاب الكلم الجامع والحكمة المتوزرة - فهذه وأشباهاها هي مدار القول في كثير من تلك الكتب العصرية يتفق أحيانا أن تدل عناوينها على أغراضها، ولكننا لا نعتقد أنها مم بقتضينا البحث في كتبنا هذا أن نبسطها أو نمويدها موجزين... وقصاري ما نقوله عنها أنها أشبه بالصورة المتعددة للوجه الواحد في لوحات كثيرة، ليست محل تلخيص ولكنها محل استزادة لمن شاء

أما الكتب التي نسكبها في باب النقد التاريخي والتحليل العلمي ففيها حقا ما يهتم به الباحث في تاريخ الرسالة المسيحية وفيها - ولا مراء - بحوث

جديرة بطول التأمل ونعم النظر ومواجهة الموضوع كله في ضوءه الواسع من جميع جهاته ، وليس في استطاعة أحد أن يواجه هذا الأفق الواسع ما لم يكن على استعداد له بكل عدته من المراجع والأدب .

ومن الإطالة على غير طائل أن نسرد هنا أسماء المؤلفات والمؤلفين في هذه البحوث النقدية ، فإننا - بعد ما وقفنا عليه منبا - نرى أن القارئ لا يعبثه شيء من جوهرها إذا اطلع منها على كتابين اثنين يحويان جنة المناقشات والأناويل التي تتعرض لقبول أو الرفض في هذه البحوث ، ونعني بها كتاب (1) الجانب الآخر من القصة تأليف روبرت جيبون ، وكتاب (2) نجيل الناصري يعاد تأليف روبرت جريفيس وجوشيا برنو ، وكلا الكتابين مؤلف باللغة الإنجليزية .

ونوع التخمينات الملفقة التي تتخلل الكتابين ، وينبغي أن نذكر - بداية - أنها تخمينات كثيرة وأنها في بعض الأحيان تخمينات معتمدة يعرف المؤلفون باضطرارهم إليها لإتمام الحلقات المغقولة في السلسلة التي سبكوها من بقايا الأسانيد المعلقة منذ القرن الأول لميلاد ، ومن صنع خيالهم في موضع النفس المعترضة في فجوات تلك الأسانيد . ولا ينبغي أن نذكر المؤلفين - روبرت جريفيس - قصاص يعتمد على التصور الخيالي في التوفيق بين الأخبار وتتسيق الملامح وملاحظة التماسك بين أحوال الشخصيات ، وله قصة في الموضوع نفسه سماها «عيسى الملك» يشرح فيها - بأسلوب الروائي نظريته التاريخية عن مسيرة السيد المسيح ، ويزيدها أن السيد المسيح قد نشأ برعاية هيئة باطنية كانت تعمل لتعجل الخلاص على يد الملك «المسيح» الذي يأتي من ذرية داود لإنقاذ شعب الله المختار . وأن يوحنا المعمدان هو الذي وكل إليه اختيار المسيح المنتظر على حسب العلامات المحفوظة في النبوءات ، فاختره وعاهده بأبيه «مكا» مسيحا أي مسوحا بالزيت المقدس على سنة الملوك المختارين من الأقدمين ، وأن زعماء الهيكل لم يكونوا جميعا من المتطهرين على سر هذه الحياصة التي حسمت بين يمين الإيمان ويمين الطاعة ، وتولاها المشرعون على تنفيذها وهم حذرون من سلطان روم ومن سلطان الهيكل في وقت واحد ، ثم جرت الحوادث مجراها التي نعلمه من

(1) The Other Side of the Story by Rupert Furness

(2) The Nazarene Gospel Restored by Graves and Podia

الأناجيل مزيدا عليها هنا وهناك خلقت تربط الصلة بين التاريخ ظاهر والتاريخ الباطن كما جمع المؤلف عن أسانيد ومن وحى خياله أو تنسيق فنه وتقدير فنه . وربما زر الجانب النصارى هنا وهناك على الجانب الأصغر .

ونحن ندع هذه التخمينات ونحتفي في حذفها كما اجتهد المؤلف الروائي في إضافتها ، وكنت لا نريد أن نحذفها حيث تترك الفراغ بعدها أدعى إلى الحيرة والتردد من الإثبات .

وصفوة ما يبقى بعد حذف هذه التخمينات أن الدعوة المسيحية بعد السيد المسيح كانت ترجع إلى مركزين - أحدهما برئاسة جيسس أي (يعقوب) المسمى بأخي الرب ومقره بيت القدس ، والثانية برئاسة بولس رسول ومقره خارج فلسطين بعيدا عن سلطان هيكل اليهود وقد كانت شعبية بيت المقدس أقرب إلى المحافظة والحرس على شعائر المبدأ القديم ملحوظة العناية في العالم المسيحي داخل فلسطين وخارجها من بلاد الدولة الرومانية ، كما يظهر من وصاياهما ومن أسيرة المسيحيين في الخارج عليها ، وكليا وصايا تحث على رعاية الشعائر الإسرائيلية كما تقدمت في النبوءات .

وهذه الرسالة على العالم المسيحي معقودة لهذه الشعبة القيمة في بيت المقدس حتى تهدم الهيكل وتقرضت مدينة بيت المقدس وتبددت البسعة في أطراف البلاد ، ولت قيامة الدعوة إلى الشعبة التي كانت تعمل في خارج فلسطين فكان ذلك أثر كبير في أسلوب الدعوة وفي اختيار وسائل الاتباع ، إذا اختلف الأسلوب بين الخطاب لموجه إلى اليهود وحدهم ، وخطاب الموجه إلى الأميين النافرين من اليهود ، فبينما كان الخلاص على يد فرد من بني إسرائيل لإنقاذهم دور غيرهم أمرا مفروغا منه بين اليهود ، كان العالم الخارجي بحاجة إلى صفات إلهية في الرسول المتخلص يقبلها الأميين ، ولا يقبلون في قبولها بشروط والعلامات التي يلتزمها المتشبهون بحرف الدوموس ، وقد كانت كتابة الأناجيل في وقت يوافق مدم الهيكل وتفرق الشعبة حقيقة بيت المقدس ، فوضحت فيها دلائل الدعوة كما قولها المبشرون بها في بلاد الأميين ، وغلبت فيها الصفة الإلهية على غيرها من الصفات المسبوقة في جدار الهيكل ، قبل إلحاح الحاجة إلى تدوين الأناجيل وأن المؤلفين يطمحون ضائبا كبيرا في ترويض الكلمات الإنجيلية التي تدل على اعتصام السيد المسيح بكتب التوراة ، وتبصرة التلاميذ باتباعها على سنة الفريسيين ، وأشهر هذه

الكلمات قوله للتلاميذ والجموع كما جاء في الإصحاح الثالث والعشرين ، من إنجيل متى : «إنه على كرسي موسى جلس لكتبه والفريسيين . فكل ما قالوا لك أن تحفظوه فاحفظوه وتعلموه ، ولكن حسب أعمالهم لا تفعلوا ، لأنهم يقولون ولا يفعلون» .

ومن تلك الكلمات قوله كما جاء في الإصحاح الخامس : «اتصوا أمتي جئت لأنقص الناموس أو الأنبياء ، وما جئت لأنقص بل لأكمل . فبني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل ..» .

ومنها قوله كما جاء في الإصحاح العاشر : «إلى ضيق أمد لا تمضوا ، وإلى مدينة السامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» .

ومنها قوله كما جاء في الإصحاح الخامس عشر : «لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة ...» إلى أقوال أخرى تفهم من مضامينها إن لم تفهم من لفظها المريب كما في هذه الأقوال .

رد وتعقيب

وعندنا أن المؤلفين أصحاب هذه النظرية في غنى عن العناء والعنت في تناول الكلمات أو التعقيب عن مصاحف النصية إذا كان قصاراهم أن يشتوا أن الدعوة المسيحية ابتدأت بتوجيه الخصم إلى الأمة التي تدفن بالتوراة وتتوقف ظهور المسيح المخلص من بين أبنائها . وأنهم كذلك في غنى عن العناء والعنت إذا أرادوا أن يشبوا أن خاتمين بدعوة أمد قد اتخذوا لهم أسلوبا في الدعوة غير الذي يتقاعم عليه بني إسرائيل الذين يقرأون الكتب ويعتقدون بما فيها من النبوءات ، وأن رسل الدعوة المسيحية إلى الأمم قد وصغوا السيد المسيح بصفات لم يتخذ بها السيد المسيح في كلامه الذي نقله عنه الأناجيل .

كل أولئك لا حاجة به إلى العناء والعنت لاستنباط الأدلة عليه من مصامين الأقوال أو ضوايا الصحف النصية . ولكن هؤلاء المؤلفين أصحاب هذه النظريات يكفون براهيم عتاة شديدة إذا حاولوا أن ينكروا أن دعوة الأمم لم بدأت في عهد السيد المسيح ، وأن تلاميذ الرسل تعلموا منه . يستطيعوا الأمم بدعوة ولا يقصروا على الأمر على بني إسرائيل ، فلم تتوجه أخبار الأناجيل على شيء كمد غارت على هذه الأخبار في مواضعها وفي خاسباتها المعقولة ، ولدت تلك الأناجيل في هذه الأخبار إلا بالنتيجة الطبيعية في يعزها سياق الحوارات ويستلزم منها منطق الانبياء كما نقول في مصطلحات الحديث . وماذا كان السيد المسيح صانعا بعد رفض القوم دعوته وإصرارهم على رفضها إلا أن يتجه رسالته إلى غيرهم ، أو أن يكف عن هذه الرسالة ويعدل عنها بتاتا ، فيعدل عهد التلاميذ والرسل ، ولا يتجهوا بها إلى الأمد ولا إلى إسرائيل ؟

ولا يفوت المؤلفين أصحاب هذه النظرية أن الرسل الذين نشروا الأمد بالمسيحية هم الدعوة الذين احتموا أشد العذاب في سبيلها ، وهم الذين صمدوا لها بعد أن تفوق دعاة المسيحية في بيت المقدس ، ومن يقول ذلك لابد أن يكون معنقا لها مدعى إلهيه ولا يكون مبله من العقيدة أنه يحال لاحذاب السامعين إليه بأسلوب غير الأسلوب المتألف عند بني إسرائيل . فكيفما كان مرجع هذه العقيدة فالرسل الذين أعلنوها بين الأمم قد صدقوا قبل أن يدعوا

الناس إلى تصديقنا وقد اضعناوا إليها في أن يروضا الناس على ابتغاء
الضميمة فيها .

وبعد فنحن لا نستغرب السجة التي أثارها المؤلفون بما ابتدعوه معتمدين
على أساسهم التاريخية أو على طريقتهم في تكملة التاريخ بتتسيق المسرد
القديم من وحى القريحة أو من وحى الخيال ، إلا أننا نعود إلى أنفسنا فلا نرى
أن هؤلاء المؤلفين قد أطلقوا على رأي طارئ بدعونا إلى تعديل شيء جوهري
في احجية التي أوضحنا سامتا لرسالة السيد المسيح عندما استجمعنا
مؤامراتنا وعلومنا لتأليف هذا الكتاب ، وسرنا أنت بعده اليوم في طبعته
الثانية كما بدأنا في طبعه الأولى بغير تعديل يذكر لا ١٠٠ كن من قبل
المطبوعات والتصحيفات ... وسرنا قبل ذلك أننا لقينا من قرائنا عرفانا
مشكورا نغتنظ به ، ويغتنظ به كل من مارس التأليف في هذا الموضوع الجليل
على التحميس ، ولا نعلم أن منهجنا في الكتابة عن السيد المسيح ، قد لقي
من أحد استنكارا يحسبه الكاتب أو القارئ في حساب النقد المفيد ، وكل ما
حنالك أن بعضهم من أن التأليف عن السيد المسيح يقتضى منا أن ندين
بالسيحية أو ندين بجميع سامتها في وقت واحد ، ولم يقر أحد أننا إذا كنا
من يريضا وجب أن نكون برسميين ، أو كنا عن أديان لأمم وجب أن نتنقل
نينا من دين إلى دين ، وير وجب ذلك على باحث لما كتبت تواريه الأديان ولا
تواريخ لدعاة إليها ممن يتفقون في اللة الواحدة أو لا يتفقون ... بل لو وجب
لنا كتب عن الشرق إلا لمشاركة ، ولا كتب عن أوربة إلا الأوربيون . ولا
كتب عن أساى إلا من كان فيه ، ولا عن لمستقبل إلا مولود من نبيه ، ولا
وجب شرط من هذه الشروط المفروضة في حكم من أحكام النقد المة يوم

وإنصافا لكثرة القراء الدالة ، نقول إسم من الوفرة بحيث تحسب هذه القلة
إلى جيبها بحساب النسبة إلى الألف ، لأنها أكثر من أن تحسب النسبة إلى
ألف ، وإنما تصادفنا على نسبة متفاوتة في سبع شتى من المطالعات
التاريخية الدينية ، فربما كنا عن الخلفاء الراشدين كلاما لم يعجب أفرادا من
الشيعة ، أو كنا عن معاوية من أبي سفيان كلاما لم يعجب أفرادا من غيره ،
ولكن العبرة من راء هؤلاء القراء الذين يقرأون ما يوفقهم وما يخالفهم ولا
يرضيه من الكاتب أن يعطيهم نسخة مكررة مما هي ضمائرهم وخرائطهم ،
وميز أسى هؤلاء القراء قدما الطبعة الأولى من هذا الكتاب وبقدم لأن طبعته
الثانية على بركة الله

● الباب الثانى ●

المسيح فى التاريخ

شعائر التكوين والتكريه . واول ما ورد ذكره في الإصحاح الثامن عشر من سفر التكوين حيث روى عن يعقوب انه بكر في المبعج وأخذ الحنط الذي وضعه تحت رأسه وقامه عمود . ومن ثم على رأسه رداء ذلك . كـ . حد
إيل - أي بب الك

وجاء في الإصحاح الثلاثين من سفر الخروج إن الرب كلم موسى .
وسمى الشعب والمائدة ويقسم لتكون قدس أقسام . وكل ما يجب يكون
مقدس . وسمع فارون وسب وقسمه
وكن الأحبار والأنبياء يسمون من أجل هذا مسحة . الله وتنتهي شجرة عن
لحم من كذا جاء في الإصحاح السادس عشر من سفر الأيام . انتم
سحاري ولا مؤثرا أنيذري

وكان مسح الملوك أول شعائر السويح والمبايعه فكان شاول ودود من هؤلاء
سح

ثم أظن كلمة مسيح . سحارا على كل مختار منذور . فسمى كورش
مدرسي مسحا كما جاء في الإصحاح الخامس والأربعين من سفر اشعيا .
من لاء احد بيده لإفلات أعداء . الأسرائيليين وإقامه بناء الهيكل من جديد .
يسمى الشعب كنه مسحا كما جاء في المزمير وكتاب النبي حزقي . ومنه
جاء خلاص شعبك خلاص مسيح . بمعنى الشعب المختار

ويكرر في كتاب الحدا . أو كتب التعاليم الإشارة إلى الرسل . منتظر
سح المسيح . فتارة يطلق هذا الاسم على يوسف ونارة على ميسر شهما
سلام . ولا يزال المؤمنون برسالة المسيحية من طوائف اليهود ينتظرون
مسيحا في صورة رسول جاء أو صورة شعب مرور . لأنهم لا يربون برسالة
في أي مريد عليهم السلام .

وقد كان الإيمان بظفار المسيح على أشده بعد زوال مسحة . ر . وهذا
تجلى لأول . المرد الشعب لإسرائيل وعود أنبياء بعودة الملك إلى عبر من
رية داود . نفسه تخضع له الملوك وتدين الأمة لسلطانه . ثم تولى الإيمان
بالمسيح . بمعنى الملك إلى الإيمان بالمسيح بمعنى المختار أو مسر للهداية
والصلاح . وبلغ هذا التحول غايته في بعض الشرائع ومنها شجرة التي
عقازت بتكرار هذه العودة . فمن وصف القية والبشر والصولة والصلوات .

المسيح

بدأ علم التقديرة بين الأديان على شيوع الإيمان بالخلاص وظهور الرسول
المخلص في زمن مفضل . ويظهر على عقائد لقنائل الحمر من القارة الأمريكية
أن لقنائل التي تؤمن بهذه العقيدة غير قليلة في الأمريكتين . وليس في هذا
عجب . لأن الرجاء في الخير أصل من أصول الديانة . والأمل في الإصلاح ردة
من مراد الحب الإنسانية بيننا . الخالق في صميم خلقه . وبلغ لهم بها سبيل
الاحتياط في طلب الكمال والخلاص من العيوب .

وقد يشتد هذا الأمل حين تشتد الحاجة إليه . فكان المصريون الأرائل
بترقبون «المخلص» المنقذ بعد زوال الدولة القديمة . وروى مرستيد عن الحكم
أشور (Assur) أن المخلص الموعود . يلقى يردا على اللهب ويتكفل برعاية
حطب الناس ويقضى يومه وهو يتم شمل قطعاته .

وقد كان البابليون يرمون بعودة . مروح . إلى الأرض لفترة بعد فترة تقع
المنة وتطهرها من الفساد . وكان المجوس يؤمنون بظهور رسول من إله نور
ثم جاء بعد من جاء يسوع . من إله نور . رسول النور . وقد
الأكثر الذي يرجعون إليه بتفصيل الاعتقاد في إله النور وبنو السلام . وقد
تخللت هذه العقيدة إلى ما بعد اليهودية والمسيحية والإسلام وأشكال إنما
الحفظ وهو تنكح عن أستاذة إبراهيم . من سار النظام حد قل . فإن المنكف
رغموا أن كل ألف عام يظهر رجل لا نظير له . فإذا صدق هذا الزعم كان
لحام للألف عام هذه

أما الإيمان بظهور رسول إلهي يسمى «المسيح» خاصة ثم يعرف بهذه
الصبغة قبل كتب التوراة وقام يوراتها أو التعليقات عليها . في التوراة والهدايا
وما إليها .

ومرجع التسمية نفسها إلى الشعائر التي وردت في سفر التكوين وسفر
الخروج وما يليهما من أسفار الأنبياء . فإن المسيح بالزيت المبارك شعيرة من

١٠١ صفحة ٧٩ من كتاب . نور من الشرق القديم . لمؤلفه جاك هيمان

في وصف الدعوة واختصية ولصبر على المكافاة في سبيل التحذير والتحسير ،
وقد جاء في الإصحاح الثالث والخمسين من صفات الرسول لستفر أنه
سحقور وبخول من الناس ورجل أوجاع وأحزان . وجاء في الإصحاح
سبع من سفر زكريا أنه عادل ومنصور وبيع بركب على حمار ابن آسن .
ونقلت أقوال كثيرة على أنه يتنسى مسبقا براشا يعلن محبته . وهو الذي إيلدا
أيسر) مشعنا من الأموات

وقد كان هذا الارتقاء في فهم الرسالة المسيحية يصاحب أطوار اسعد
إسرائيل في تاريخ السنين ففتحت لحد في المذبح لسلوك صفت
من مسيحية في فلسطين . حيث انبوره على ربه ابن آسن في
سبل ريفها . ويعبر الرجاء إلى المسيح المهدي . فلما سحقه سلطان
بين وبدا أن الأمل في الخروج عنهم بقوة السلاح بعيد عسير . وهكذا
رجت تفسير الرسالة المستنيرة من رحمة انوية وبهجة اليه في حسب
أطوار التاريخ . فلما دخلت فلسطين في حوزة الدولة الرومانية سنة خمس
سب قبل الميلاد وأحد الأمل في تمام الدعوة بصلال صفت لآل . عبايع
في انتظار الرسول المخلص والبعثة الروحانية . اقترون هذا التحول مظاهير
نعمحجان حبا وبفترقا بل تتناقصا جملة أحسان لعظم سلطان الهيكل
وكبائه حين تحول السلطان القوي كة إليهم وأصبح هذا السلطان ملاذ
مضطجع إلى كل رئاسة قومية تصعد سولة الأجنبية . ومن الناحية الأخرى
حدث الضمان المتعطشة إلى اليقظة الروحية جنوبا متمردا على القديد
معنا بانتظار البعث من غير جابر . الهيكل . وبقاياها وما جمد عليه مع الزمان
من النوروثات والمآثرات

لما بلغ الكتاب أجله وهانت البعثة المرقوبة كان المعسكران متناهلين
متحفرين على استعداد

النبوة بين بني إسرائيل

من تمام العلم باستعداد عصر الميلاد لدعوات النبوة أن نه بحوال
ضوء في الشعب الإسرائيلي منذ تكاثر عدده وتنوع أعمال الرئاسة والتعليم
من قضاة وأساطه . فإن أحوال النبوة في ذلك لشعب لم تكن على لصارة
في نسق إلى طاهرنا من الضرفي تورخ كبار الأنساء . وتورخ لفترات
في مضت بين عهودهم في الأمة المتعددة

نحن اليوم نستهل دعوة النبوة ونعلم عن اثنين أن الذي يقده على ادعاء
النبوة في عصرنا هذا يقده على خارقة مستعرة ويعرض نفسه لانهايم
المتدبين قبل المنكرين والملحدين . لأن اتباع الأديان يؤمنون بمحدد النبوات
أو يؤمنون بأن النبي لحدود ينقش عقائدهم ويضع لنفسه أن يعتنقها ما لم
يعلوه من كتبهم وأقول أنبيائهم . أما المنكرون والملحدون فبه لا يقبلون
دعوى النبوة في هذا العصر ولا في غيره من العصور

نحن اليوم ننه أن الفترة بين إبراهيم وموسى وبين موسى وعيسى وبين
عيسى ومحمد سنوات الله عليه قد طال حتى حسب سنوات السن . ففي
اعتقائنا على لزوم أن ظهور الاساء حادث طر لا يتكرر في كل حر ولا مراه
الإنسان في عمره مرتين .

نحن اليوم نعلم من تورخ كبار الأنبياء أنهم أقاموا على مصعب خفيف
احلدمين عندها وشقو بدعوتهم طرقا لا يسبل تذليلها . لأنهم حضمو الهة
وسلخوا أحلاما وعبروا العقائد التي دحرت عليها الأمم عصورا بعد عصور
وأقاموا عليها سلطان ذوي السلطان كما أقاموا عليها شرائع لعاكمين
والمحكومين . كذلك صنع محمد وكذلك صنع موسى عليهما السلام . من تولى
الهداية إلى دعوة على هذا النحو فهو منعرض للعدوان والبغضاء مقتحم على
الناس طريقا لا يقبلون قسحامه من أحد . ولا يرون أحدا يقتحمه عليهم إلا
أعتوه . وأقاموا له العراقيل

أما أحوال النبوة في بني إسرائيل فيسفر أن ننصوهم على غير هذا النحو
لأنها تخالفه من حملة وجوه .

يستطيع ليرى صيرنا عاليا ومن كان يحسه إلهاما أو هدية أو رؤيا صالحة ،
وغلبا ما كانوا يقصرون رسالتهم على النذير بالعقاب كله ، خرج استعجب عن
الأنبياء والحوار - عن سواء - لعبادة كما تلقاها أنارهم من الأنبياء السابقين .
فد تكن النبوة اقتساما رلا مدعة مستفزة - ولم يكن فيها خضر على النبي إلا
حين يتمنى للملوك والأمراء فيأخذ عليهم مخالفة الشريعة أو مخالفة العائور
عن السلف ومن هؤلاء الملوك والأمراء من كان يعدد إلى التكيل بالنس في هذه
الحالة ليثبت للناس كذبه وأنه لم يبق من عد الك . إذ كان موت النسي الكاذب
إحدى العلامات على بطلان دعواه .

ولمنا نصف الحالة حق وصفها حين نقول إن القوم كانوا مسحون عن الأنبياء .
ويرقبونهم ولا يعتبرون ظهروهم خارقة يستبولونها ويسخفون تكرارها .
وأن الإنسان الذي يبيى للنبوة كان يخشى أن يسكت عن الدعوة متى جاءت
ضمانه بجوافزها وألحت عليه أياما بعد أيام ، حتى يصبح السكوت في حكم
سريره عصيانا لأمر الله وتكولا عن إرادته ، ومتى استقر في سريره أن طلب
لذية تجربة له وخسف في الإيمان فأسلم الأمور عنده حيث تجيش نفسه بروح
الله أن ينذر ويبشر ، وعلى الله بعد ذلك أن يثبت نبوته وأن ينيه وينى الناس
إليه كما يشاء .

وفي عصر الميلا . ذلك العصر الذي برقت فيه نفوس بشر الدعوة
الإلالية من كل جنب كما يترقب الراصدون كوكبا من موعظ طلوعه - لأجره
تفتح الأذان أصوات المبشر الموعود ، ولا جرم كذلك أن يكون البرهان
المنطوق منه على من أرجاء في الذر المنتظر ، وأن يحتج ذلك فنعسروا
غاية العسر في امتحانه ، خوفا من سهولة الدعوى على الأعياء ، وخوفا من
بطلان الرجاء في بين اللؤفة على الرجاء ، فهو رجاء عطيد سلق المرتجون
على برهان عظيم

الطوائف اليهودية

في عصر الميلا

كان العالم اليهودي في العصر الذي ولد فيه السيد المسيح يشمل على
ضوائف مختلفة ، لكل منها مذهبه في النظر لمسيح المخلص المزمع .

والتعريف بهذه الطوائف ضروري لتقرير مكان العقيدة الجديدة بين العقائد
التي سبقتها في بيئات بني إسرائيل

وضروري من جهة أخرى لأنه - فيما نرى - أقوى دليل يرد به من النافذين
المحدثين الذين ظهروا منذ القرن الثامن عشر وحيث بهم شدة النقد
والتشكيك حتى جازوا الشك في التصوي والروايات إلى الشك في وجوا
السيد المسيح نفسه ، كانه في زعيم شخصية من شخصيات السامير
وتسقط دعوى هؤلاء النافذين بمجرد الإحاطة بأصول المذاهب التي كانت
معروفة في عصر الميلا . لأن الدعوة المسيحية كانت قد ولدت في
هذه المذاهب في ناحية من نواحيه . وكانت هذه الميلا في سياقات
التي حدها مناسكة من القاعد والعقائد التي كانت لها سمعة مسيحية
عن هذه المذاهب . فلهذا في عصر الميلا وعقدت على محل
واحد متنازع الفكر والإيمان

ونكتفي من الطوائف الدينية التي كانت معروفة في عصر الميلا بـ خمس منها ،
وهي طوائف الصدوقين والفرسسين والآسين ولعلاء والسامريين - وكل طائفة
من هذه الطوائف لحسن مهمة في تاريخ العصر بتحية من السراي التي تتوقف
عليها قوة المذاهب الدينية .

والصدوقيين هم في دعواهم اتباع صدوق « واسرته الذين توارثت الروايات
بأنهم كانوا يتولون الكهانة في عهد داود وسيان

وكانت مهمتهم مهمة يماركز أصحابها . لأنهم على الجدة أنصرا له حافظة
والاستقرار وأصحاب الوجاهة والثراء

وقد كانوا منشدين في إنكار البدع والتفسيرات . متشبثين بـ زعيم يؤيدون
سماح الهيكل والكهار ويقبلون أقده الكتب التي احتوتها التوراة وهي كتب

مدى عنه السلام ، ويرفضون ما عداها ولا سمعا لندوات المنقولة
- - -

وتعبر هذه المحافظة على المضاف القائم إلى مبدأ يناقض عقيدته فيما هو
ضاهر من لوازمها . فلهذا كانوا أقرب بهوى إلى الأحد بالحضرة ليونانية
وعادات تعبثة في السنين الرومانية ، ومنهم من كان يبيع بعض المذابح
غسقية كمذهب أبقر كما كان مقبولا في ذلك العصر . وقد كان نشاطه
يؤيد في مذهب اللذة تجسده والمتعة بالترف وتعيم . ولكنهم في الواقع لا
يتقصدون ستمهم وسنة أساليبهم في كل زمن . فانهم يحفظون على مذهب
النجاسة لأنهم أصحاب اليد لتولي عب . ولهم بحب من متعة وتعب وويلتون
يسمى بين أصحاب السمان السياسي وقد كان يومئذ من ثوبان للرمز ،
ومنى له في هذه الطريقة أنهم يهتفون أن تكف لنبوة الذي لا تكرر المعنى
ولا ليوم الآخر ولا تعد الصالحين حياة بعد هذه الحياة . خلافا للمعريف
الأخرى التي تؤمن بالله والحساب

وقد كانت الحجة على حشد التعميم بقيادة اثنين من كبار كتبة الصدوقيين
في ذلك العصر . وهم يكره في ذلك عهد لأن خصمهم حشد
حفظ على سلطان الهيكل ويضافون على سخاء القدم ولا يستريحون
في القوة والادب

خلاصة الآراء الصدوقية أنهم حريصون في مسائل تدين منسجون في
ماتن المعيشة . وأجد يهشرون الأحاديث ولا بد لونه كسر أب ، قرومهم
أن أعدائهم وقد كرهه بصفة سوى سلطان

ويقال الصدوقيين طائفة أخرى في طائفة الرئيسيين . وهي أقوى من
طائفة لصدوقية بكثرة لشد وشروع أجيال والأراء . ومن اسمها سن
سواد شعب وعليه تقوم الدين لا يداخون الأحاديث . وإن د يكن من أراء
كروم في مرسى الروساء ولرجاء

والأمر بين مأخوذ من كلمة عبرانية تدرج كلغة نغز . لغزة في
حضاة معناها ، فهم مفروزون أو استمزيون . وخصوصية خلقهم على هذا
لاسم تيكما وتحقيرا . اعتقدتهم أنهم فرزا أنفسهم عن الصف وأعملوا ضيق
الجماعة الأولى . أما هم لمذ كانوا يصفون لقب الرئيسيين و المفروزين على
تتميمه ويريدونه إلى حضاب الله لبنى إسرائيل جميعا كد يرونه في الإصحاح

اعشرين من سفر التوراة . فهناك يخاطب الله الشعب قائلا : « وقد ميزتكم من
الشعوب لتكونوا لي . فبهذا عند أنفسهم لتمييز المنضين

لهذا كانت تلازم في بعض الأحيان صفات الادعاء والتمالي التي تارة كل
طائفة تستأثر لنفسها بزيادة بين الطوائف الأخرى ، وكان بعضهم مدفا
لحالات السيد المسيح تدب بها يهتفونه من الثقة والكثرة .

في أنهم كانوا يقبلون هذه الكبرياء كبرياء الوجافة وأشرية التي كانوا
يستنكرونها على خصوصية استمزيون . وكانوا يثرون على السمان
الرسمي . حيث كان في الهيكل أو في المراجع الأجنبية . كانوا يتركرون على
الكبار استمزيون بالشعائر والمراسم ، ويكررون في نوقت نفوسه ذات
الأجانب والمتشبهين بهم مدانة للحكام والقسطنطين .

وقد كانت تؤتمم الأولى في البدع الأجنبية التي كانوا يرفضونها كل رفض
ولا يسمحون من يقبلها . فسا أمر الملك . أن يخوض . كامن الهيكل أن يخض
في مذهبه بالخلازير (سنة ١٦٨ قبل الميلاد) قاموا قيامه رجل واحد وعرضوا
أنفسهم للموت والسنات والتوف كراهة لهذه البدعة النجاسة . وحدث في عهد
الرومان أن الوابي . بترونيوس . حجب من عاداته في مقاومة الدولة الرومانية مع
ضعفهم وقوتها . فسأل رعاياه كيف يحزنكم أن تحاربو فيهم وسنتم
أكما ، لقوته ؟ فقالوا : نحن لا نحارب قنصر ولا نزع أند أكفاء لذته . لكننا
نسوت على بكرة آيينا ولا نعدف الشريعة . وكشفوا رقابهم مستعدين لأن مات ما
يعد

ومن نقائصهم أن ثورتهم على استبداد الهيكل ورغبتهم في تعميم الشعائر
التي كانت محصورة في سحاريب هي التي دعتهم إلى إقامة هذه الشعائر في
البيوت بغير حاجة إلى الكسان الرسميين . ولكنهم لم يلبثوا أن جعلوا من كل
بيت هيكل مقدس المراسم . فكانوا على ميلهم إلى التسامحة ومقاومة
الاستبداد . الرسمي أشد من المتشددين .

إلا أن الغالب عليهم حب بيتهم عن الأمور التي تتعرض لهذه لقائهم
أنهم أقرب إلى التصرف والقياس . أو أقرب إلى تحكم المثل في مسائل
الصوم والتقليد . فكان الصدوقيين مثالا يصرون على شريعة العين بالعين
ولسن بالسن ولا يقبلون أية . وكان الرئيسيين على عكس ذلك يفضون الدية
وليسامحة على القصاص . وكان الصدوقيون أقرب إلى المادية والقوام

العربية وكانوا هم أقرب إلى الروحانية والأدب النظرية أو أدب خيال والتفكير . وقد كان إنكار البعث والحياة الروحية أشد ما يتكون في خيالهم المبدئيين . ومن أجل هذا سبقوهم مراحل إلى انتصار الخلد أو تناسخ النسخ المتخلص في عالم الروح ، غير مفيد بشروط الصلوة وحمل الحزن وإدراك وصف الصوفيين عن الإجمال بأنهم طلبة «الاستغفار طين» فالذين يستحقون وصف الديمقراطية دون غيرهم من مؤلفي العهد في ذلك العصر هم الفريسيين .

وقد جاء عصر الميلاء وهم ينقسمون إلى فرعيين : فريق منساق يتبع الحكيم . هلل الذي قدم إلى فلسطين من بابل وهو الفريق السبع النور في مواصلة الأحكام والفريق الآخر يتبع الحكم . شمام . وهو أقرب إلى التحريج والتضييق ورد الراغبين في دخول الدين من غير البيروت . وكان شعار هل الاعتدال بين الزهد والمتاع وكلمته المثيرة «إلى الزيادة في اللحم زيادة في الدود» . وشريعته في المعاملة أن الشريعة كلها كلمة واحدة وهي ألا تسبب أحدا بما نكره أن تصاب به ، وكل ما عدا ذلك من الأحكام السهلة فهو مفسر وتمصل . وأما الحكم شمام فقد كان الاعتدال بين الزهد والمتاع أكثر منا بطيئ . وورى أنه كان يحترف التجارة ليعيش من كسبه عمل . وإن غيرته على القديم كانت أقوى من إقباله على التحدث والتصرف في تأويل النصوص .

ونقول التراجع بين المؤرخين أن معلم السيد المسيح في هذه كانوا من طائفة الفريسيين .

والطائفة الثالثة التي تقل عن هاتين الطائفتين في العدد كثيرا وتساويت أو تزيد عليها في القوة والأثر هي طائفة الآسين أو الآسيبيين كما يكتسب رواية الأخبار عنها في عصر الميلاء .

عدها كما قدره المؤرخ يوسفوس والفيلسوف ديون لا يزيد على أربعة آلاف يعيش أكثرهم في جنوب فلسطين

ويصدر لوتهم صرامة العقيدة وتنظيم الخطة . وقد تكون لأنهم أعطى من قوتهم . لأنهم طائفة من صميم الأمة الإسرائيلية قد استقلت بشعارها وعبادتها وأرائها وأسرارها وأوشكت أن تستقل عن الهيكل . كما في علاقتها بالدين والقومية . ولولا أنها تمترفت بتقريب اقربائهم في الهيكل لما حسنت من مؤلف البيروت . ولكنها مع هذا تنكر ذبح الحيوان ولا تقرب اقربائهم من غير البيت

واسم هذه الطائفة مختلف عليه . ولكن المرجح من الأقوال المتعددة أن الاسم مأخوذ من كلمة «آسى» بمعنى أصيب أو الصبي في اللغة . رغبة وهي تفيد هذا المعنى في اللغة العبرية التي تعد لغة الأرامية أقرب لغات لسانية إليها . ومن المعقول أن يتسلسل أصحاب هذا المذهب بالأسبى لأنهم كانوا يتعاملون طلب الروح ويحدثون بين . ليرضى الصلوات والأور . كما يدعون العلم بخصائص العقاقير

وعد نشأت معاندة على الأغلب بالإسكورية في القرن الثاني قبل الميلاد واقتبست من مدارس الإسكورية كنس من أنشطة العبادات السرية وبعض المذاهب الفلسفية . كمذهب فيثاغورس الذي يحرم ذبح الحيوان ويدعو إلى لتقشف والقدرة بالقليل

وكان حراما عند أسماء هذه الخطة أن يمس أحداهم زوجين أو زوجين من النعال أو يدخر الأمتعة والأقوات . وكانت الرهبانية غالبية عليهم إلا من أدن له بالزواج ويعفى من قيود الشك والنبوة

وكانوا ينضمون في الخطة على ثلاث درجات . درجة التلمذة وبقول فيها . لصبيان فساد دون الخلد . ثم درجة التلمذتين وهم الذين يقسمون اليمين ويقضون سنة في أريضة . تحرب عن العبادة . لأصلاخ على الأسرار . ثم ينقل المريد إلى درجة الراضين ويقضى فيها سنتين . ثم يلبس شعار الطائفة وهو ثوب أزرق ورنار وجمال الخدس في يده . كناية عن العمل الشاق . ونهج بين المرحلة الأولى - والمرحلة الثانية شعار منقوش بقود بها الأسادة . منها الانغماس في ثلاثة من السور . ونفسه أحدهم مرة واحدة يمس الأمانة والمحافظة على سر الجماعة . ويحرم عليه القسم بالحق أو بالباطل مدى الحياة . ويحرم فصل العضو بعد رسمه إذا حث في ميمته وانفق مدته من الإخوان على إعادته . بل يجبر الحكم منه بالصوت إذ بلغ الميث حد العناية والكر بقرع الإيمان

وهم تظهرون من الحدث . ويصلون عند الفجر . ويحافظون على أرواحه في يوم السبت . ومنهم من لا يتسبح في ذلك اليوم إلا في الضرورات

وليس منها رئاسة ولا سماء . والرق عدهم حرمة . وعلمهم المفضل الزراعة والصناعة البسيطة . أم التجارة . فهي في مذهبهم عمل خبيث أو غير لائق . وأخذ منها حمل السلاح للفد .

وامادة عنهم مصدر الشئ كله . والسرور بها سرور باندس و لسانه . وكان يغلب عليهم من أجل هذا وجوم انصمت ولندم ، وكل ما يباح لهم من السرور فهو سرور الروح أو سرور الاتصال بعالم الأرواح ، وهو عالم سماوى فى أعلى الأثير يرتفع إليه لتزمن بالعبادة والرياضة والفنرت . وكانوا يتأخون وبصطحبون اثنين اثنين فى رحلاتهم ، ولما كانوا يشاهدون فى المدن الأمة بالتكار أو فى الأحياء التى يرتادها إحصاء للفرجة وإزجاء الفراغ .

وهم مؤمنون بالقيامة والبث ورسالة المسيح المخلص . معتقدون أن الخلاص بعث روحانى يهدى الشعب حياة الاستقامة وإصلاح . ورائهم فى طلب الرضى من اله هو التى عامون الذى كان يعلم الشعب أن التقرب إلى اله بالعدل والرحمة خير من التقرب إليه بالذبائح والهدايا

ولا يبعد أن يكون الغلاة أو الحيليين أتباع يهودا الجليلى فرقة منطرفة من فرق الأسين ، لأنهم بسكون مسلكهم فى التقشف والقناعة ويزيرون عليهم بالخص على العمل لتحقيق الثروة وتقريب يوم الخلاص . وهم الذين شرو وبضوا العصابات فى السنة السادسة أو السابعة قبل الميلاد وتمردوا على أمر الإحصاء الذى صدر من كورشاس . حاكم سورية وأصبح اليهود بموجبهم معبردين فى رعابا قيصر . أو عبيده الذين يدينون له بالسبابة . وحينهم أن طاعة القيصر من عبادة الأوثان . وأن إحصاء الشعب لأعتباره من عبيد القيصر مروق به من الديانة ولما رفع السك هيرود تمثال النصر القيصرى فوق هيكل بيت المقدس ذهب ثمان من الغلاة إليه وانزعاه عنوة وأذّر إخوانهما من بعده إلى مكانه بانمرت . وقد ثار هؤلاء فى سنة الإحصاء بقيادة يهودا الجليلى ومات هو وأبناؤه ونووه فى بان الثورة . وكانت الدولة الرومانية تحذر الفتنة فى هذه البقعة المتوسخة بين القارات الثلاث . فكانت تؤثر النقية والمداواة فى معاملة الثائرين . ولا تأخذهم بالقبح والسوء إلا إذا ضاقت بها سبل الحزم والأمان

والصانفة السامرية خليط من اليهود والاشوريين كانوا يقيمون فى مملكة إسرائيل القديمة . يقال إنهم قبائل آشورية أرسلها ملوك بابل إلى فلسطين ليسكنوها فى أماكن القبائل اليهودية اتى نبيت إلى ما بين النهرين وسميت من

أجر ذلك بسبب بابل . ويقال إنهم اختلطوا باليهود الذين بقوا فى بلادهم ولم تخلطهم النوبة لبابية إلى بلادها مع القبائل المسيية . فوالق من عن الاختلاط فى السكن وسبب اختلاط فى العادات والعادات . وبعد البدء فى رجوع من السرى بعد سقوط بابل فأنكروا من السامريين شعائرهم المخصصة لتقائدهم وتعمدهم بمادة الأوثان . ورفضوا مشاركتهم فى بناء الهيكل الجديد . فبعد سامريين فى بناء هيكل خاص لهم فى جرزمه وجعلوا يتعمدون أن يدنسوا هيكل بيت المقدس ويحصروا القبة فى هيكلهم وشاية حجبهم وعديتهم . وقد حتى مدفس هيكل بيت المقدس زهاء مائتى سنة حتى هدمه رسل كهان بيت المقدس حدير كائوس قبل الميلاد بأكثر من مائة سنة . ولكنه عادوا بناء . رضى قنما حتى هدمه الرومان بعد ثورة اسامريين فى القرن ادم من الميلاد . وقد قدم مع حيار مريسم وأقام على أنقاضها مدينة سماط . مدينة الجنوب . جيوبيليس . وبالس المعروفة اليوم . ولا تزال بقايا اسامريين تحتفظ بتقاليدهم ويعتمد على نسخة النوراء المكتوبة بلغتها . ولا يعرف بكتاب بعد تكتب الخسنة التى تعرف بالكتب الموسوية . ولا تدعى بعاصمة مقدسة على سطر هيكل المهدوم جريدم . وقد ستحكم اعداء بين اصحاب الهيكلين فى عصر السادة حتى بض الأمان فى السفر بين السامرة و بلاد الأخرى . يعرف للاعبه والمكرك من خمر بالسفر إلى السامرة من بلاد الحجاب .

ومن السحق أن هؤلاء السامريين كان لهم شأن فى تطوير فكرة المسيحية . فكرة الخلاص المنتظر على يد الرسول الموعود . ويرجع شأنهم هذا إلى سرائع الفهم بين مملكة يهودا فى الجنوب ومملكة إيسر من التى ورثت لسامريين . وهم ينتسبون إلى يعقوب ويدعون أنهم نون عشرين الجدود باسم الأسباطين

فإن اعتد اصحاب مملكة يهودا فى الجنوب أن عامينهم - بيت المقدس - فى سفر اعل المنتظر . وأن هذا الملك المنتظر سيكون من سلالة داود - لا اعتقاد يرهبهم ويرد المح إلى دولتهم ويجعل الخلاص على أيديهم . وكان السامريين بناء الشمال كانوا يسجون فى عرائهم لداود ونووين ويشيرون السرى لتقديم بين الأسباط . وينكرون على الأقل عقيدة الخلاص على يدى ملك من

سيرة الملك في يهودا ويبحثون بذلك السبيل إلى الإيمان بالانجيل الروماني
والإبادة الشعبية ، ويغزغون الثقة في أخبار الهيكل اجنوبي وقيم عسى أن
يدينوه بالملك ، إذا حان لمعد المقدور .

ولم تغل البلاد جميعا - مع هذا - من ناس هنا وهناك ينسوا من جميع
الطوائف والنحل واعتزلوا الدنيا وعاشوا في السواصح بمعزل عن العمران ،
وارتفع شأنهم في أعين الشعب لسوء منه بالدعاة المغامسين لدنيا في بيئات
الساسة والكهن ، ومن هؤلاء «بانوس» الذي تتلمذ عليه يوسف المورج
الكبير ثلاث سنوات ، وكان هذا انسانك الثائر بعيش في عزلة ويأكل سما يتفوق
له بغير سعي ولا مضافة ، ويكثر من التطهر بالماء والتزكى بالرياضة والبلادة ،
وكان عي مثال بانوس ساك متعددون يشبهونه في شعائر الاعتزال والاعتسال ،
وأشهرهم يحيى المقنسل المعروف في الأناجيل باسم يوحنا المعمدان .

أم موقف الهيكل من هذه الطوائف والفرق فهو الموقف «الرسى» المبيد ..
أو موقف المسؤولين الذين يحاولون أن يتجنبوا التحيز لهذا أو لذاك ،
ومحتشدون غاية اجتهدهم أن يكسبوا ثقة الشعب ولا بغضبوا سلطان الدولة ،
وقد أيسر النجاح في هذه المهمة . ولا سيما في أوقات القلة والتطوع والتبرم
بكل موجود .

كان الهيكل خيمة في عهد البدولة ، وكان الشعب يعتقد قديما أن الله يتجلى
في هذه الخيمة للأنبياء والكهان ، ثم بنيت الخيمة من خشب ينك وينقل في أيام
آتية ، ثم أقام سليمان الحكيم هيكله بديلا من الخيمة والمعدن الخسسى ، وقيل
«أنفق على بنائه ألف وزنة من الذهب وألف ألف وزنة من الفضة غير ما
جمعه أسلافه وأعقبه» ، وبغلت تكاليف بنائه بحساب أبامنا العاشرة نصف
مليار من الجنيهات وضعف ذلك في حساب الآخرين حسب تقدير المثقال في
العمولات الرسمية وغير الرسمية ، وصلمت هيبة الهيكل وأرفعت أقدار كهانه
وأحباره ودحا من الزمن ، ثم هدمه الساسانيون بعد أن قام في مجده أكثر من
أربعة قرون ، ثم أمر كيرتس الفارسي بإعادة بنائه في سنة ٥٢٦ قبل الميلاد ،
وحاء تلك هروود بعد خمسة قرون فجدد بدنه وأنصاف إليه . وتم ذلك أو كاد
في عصر الميلااد .

لكن الهيكل بعد نقلاب العصور وبمنظرة الدولة على مناصب الكهانة خسر من
السكنة بمقدار ما كسب من الفخامة ، وبدأ عصر الميلااد وسلطان ليهيكل

ينداس في الحقيقة الواقعة ويتسكن في الصورة الظاهرة : يتدعى لأنه يقوم
على غير ثقة ، ويتسكن لأنه كان الموبل الوحيد الذي يقر لقومه بعد رول ملكهم
والذين من إعادة ذلك الملك ، مع غاية الرومن على المشرق والمغرب في عصر
الميلااد .



وقد كانت وظائف الهيكل كلها محصورة في أصحاب الكهانة ، وهي وظيفة
دينية كانت موقوفة على سلالة هارون أو قبيلته يتولاها غيرهم من أسباط اليهود ،
ومن أعمالهم في الهيكل إمامة الصلاة والإفتاء في مسائل الفقه وتقديم الذبائح
والخدمة لآبائهم في الأعراس والمآتم والعناية بالآنية المقدسة ، وقد تزايد
عددهم مع الزمن حتى قيل إن القائل رزيابيل (نبي السورود في بابل) كان معه
عند عودته من البلاد المأبلة نحو أربعة آلاف وثلاثمائة كاهن غير السابقين
والمتحلفين ، ولهذا كانوا يقسمونهم إلى فرق تقوم كل فرقة منها بالخدمة أيما
من الشهر ، ويقسمون جميعا في النذور والمرتبات .

ولما تطاول الزمن وتكاثرت ذرية هارون وجد منهم الرف بغير علم وبغير عمل ،
يتعاطون صناعة الكهانة ويفتسمون النذور ولا يشتركون في تعليم الشعب ولا
في إقامة الصلوات ، ووجد إلى جانبهم أماس يعرفون الكتابة ويسجلون الأسفار
الدينية ولا نصيب لهم من وظائف الهيكل ولا منوره وأوقافه ، وهؤلاء هم جماعة
«لكتب» أو نقباء الدين ، وكانوا جميعا من القريسيين لأنهم هم الذين يقبلون
الأسفار الحديثة ويعتمدون عليها في العبادات والمعاملات ، خلافا للصديقين
الذين كانوا - كما تقدم - يقصرون تلاوتهم على الكتب الموسوية الخمسة
ويرة يرون كتب الأنبياء من بعدها ولا يعتمدون من تم على جماعة الكتب
والنقبا .

فلما جاء عصر الميلااد كان كثير من الكهان يشتركون في صناعة الكهانة
ولكنهم لا يعملون في الهيكل ، وكان كثير من الكتب والفقهاء يشتركون في
العلوم الدينية ولكنهم لا يحسبون من رؤسائه الدرايين ، وشاع بين الشعب
إعمال الكهان في المسائل الدينية التي تحتاج إلى التعليم والإفتاء على
أخصوص رشاخ بين الشعب كذلك الإقبال على الطباء غير الجرايين أو غير
الرسميين . لهذا في المعضلات والاقتداء بهم في مسالك الحياة ، فأصبحت
أماكن «التقليدية» بضرية قوية وانفسح الطريق للدعوة الدينية غير مصحوبة
بالمراسم الكهنوتية والشعائر «الهيكلية» على الخصوص .

وولد السيد المسيح ووظائف الهيكل على أشهر الروايات مصنفة في المجمع
لنقدس الذي صنف عليه اسم «السندريين» .. وعدة أعضائه واحد وسبعون
عضوا منهم ثلاثة وعشرين يبالغ منيد المجلس المخصوص وتغلب عليه
الصفة الرسمية للتقليدية ، ويتصل «عضاؤه برجال الدولة في الشؤون العامة
وما يرجع منها إلى تنفيذ الأحكام والمحافظة على الشريعة السلية أو الشريعة
للسندريين» .

وعلى حسب المؤلف يحاول أصحاب المناصب في «السندريين» أن يرجعوا
بأنه إلى أقدم «يهود» وكانوا يزعمون أنه هو المجلس الذي ورد ذكره في
سفر العدد إذ ينص : «فقال الرب لموسى اجمع إلى سبعين رجلا من شيوخ
إسرائيل الذين تنعم أنهم شيوخ الشعب وعزماؤه وأقبل بهم إلى خيمة الاجتماع
فمنحوا هناك معك ، فأنزل أنا وأتكلم معك وأخذ من الروح الذي عليك وأضيت
أيهم فبحملون مع ثقل الشعب فلا تحمله أنت وحدك» .

غير أن المراجع التاريخية ومراجع الكتب الدينية نفسها تخلو من ذكر
السندريين ، لا إشارة إلى ذلك ، لا استفاد منها تقديراً عنده ولا
تقصيص حقوقه ووظائفه ، ولا كان في عهد السيد
المسيح قد سب حق الم
وبعده سنة ، وكانت أحد
لرومانى يرميها وينقذ

وإذا نظرنا إلى موقفه
فيها باعنا إلى الترحيب
والإس من صلاحه وأنه
لا يستطيع أن تتكرر ليد
والمترفين ، في في مو
يديه ، أو موقف من يتغير
في تبوعوا وانشاءه ،
مقصود على التمهيد
الفريق الذي يستريب بال
مفسدون ، لاند آخر الزمان الذين
احساب

ولا يستوفى الكلام على القوى الدينية التي كان لها عمل محسوس في بوطن
السيد المسيح فقبل ميلاده عليه اسلام بغفر الإشارة إلى طائفة تسمى أو
المنذرين الذين هموا أنفسهم أو وهمهم أهلهم حياة لغداسة وحدة الله
والتمسك بالود لموعود يوم الخلاص من الظلم والجور وتطهر من
ولم يكن هؤلاء المنذرون طائفة تجمعها الوحدة التي تتبع بين أعضاء المجلس
والمراسد الاجتماعية ، ولكنهم كانوا أحدا مفترقين ينظر كل منهم نفسه أو
ينظره أهله على حدة ، ولا ينتمون إلى جماعة واحدة غير جدعة الأمة بأسرها

والكلمة باللغة العربية ترجع إلى مادة تفيد معنى التجنب واستعيرت على ما
يظهر للجهد في سبيل الدين ، يقال نذر أحسن الرجل جعله نذيرة أي غيبة ،
وربما كن من عمله أن ينذر قومه بالعدو ويدهم عن المضطر والفجاءة ، ولا
شك أن العادة نذرت حول هذا المعنى في العربية مع اختلاف الحروف والوزن .

ولا يشترط في النذري أو المنذور أن يهجر العالم ويعتزل الناس في السواصح
ولكنه يراعى في حياة التقطس فلا يجوز له شرب الخمر ولا أن يلبس حشده
وفاء نذره إن مما لا بد فيه أن المجلس البان مندورا لأجل مسمى ، وقد ينذر لطلا قبل مولده وينذر
عزل حياته ، كذا في أجواب الكبرى قبل هذا .
عماموس بسامام الكبرى في اسم المسيح . . . في قرار الحار
حسب تقسيم النذيرين خمرا وأوه ، يتبع الانبياء أن ينذر نبوءه
لمنذرين . . . السيد المسيح المنتظر ، لم يكتف شعبي الأندلس بما سيكون .

فما كان من ذلك السرى ، لأن الحكم بفساد الزمان قد يكون قبل ميل السيد المسيح لأنه واقع نهاية الألف ثمانية
في سنة سبعمائة على مذهب السندريين ، ولكن ما هي من حساب التهويم العسرى . وهو امر عند الذي كان منتظرا
سنة خمسة مائة الدعوة لأنها هي باب لهدل ارحيا في سنة التوعم لموعود ، لأنهم كانوا ينتفرونه على رأس كل ألف سنة ومنهم من
كان يقول إن خوف الخائف من رجاء الشعب كله ان يتحقق على اليوم الإلهي كاتف سنة كما جاء في المزامير . وأن غير الدنيا
أسبوع النبي ب للبحث بالدعوة على . لا يقال علما ومحال لا تنقضي سنة أيام منه في العذ واللقاء ويأتي اليوم السابع بعد
ذلك كما ينظر وهي إذا افتتحت لم يكن انتشارها في مثل ذلك يوم السبت للراحة والسكنة ، من يوم ألف سنة كاملة هي فترة
الخير ، لسلا . لأن الأفعاء والعفاء والسكنة . ولا يزال الأوروبيون يعرفونها باسم الثانية mel-
سندريين ، ولا حاتم أن يحسب فيهم أنهم كبد مسدتها على كل عصر موعود بالسعادة والصلاح .

فالذين قدروا أن القمامة تقوم بعد مائة ألف سنة من بدء الخليقة كانوا
يؤجلون قيام ملكوت السماء على الأرض إلى نهاية الألف السادسة ، وبومئذ

شرد دولة المسيح الموعود ، ولكنهم كانوا كبيرهم في انتظار رسول من عند الله كلما انتهت ألف سنة من بدء الخلق ، وكانت بداية الألف الخامسة موعدا منظرها أو منورا يكثر فيه النذيرين ، منهم يحسبون من جنس الخلاص و لعل واحدا منهم بسعده القدر ليكتب الخلاص على يديه .

والمهم في أمر النذيرين بأنهم إلى السيد المسيح أن النبي يحيى المفتعل (يرحبا المعتقدان) كان علما من اعلامه ، معبودين وكان ليس المسيح بمحمد على يديه أو يأخذ العهد عليه ، وأن بعض المؤرخين يحسب السيد المسيح من النذيرين ويلتبس عليه الأمر بين النذيرين والنصرى وهما في اللفظ العسرى متقاربان ، ومن هؤلاء المؤرخين من يزعم أنه لم يكن من الناصرة بل يزعم أن الناصرة لم يكن لها وجود لأنها لم تذكر قط في كتب العهد القديم ، ولكن الأرجح في اعتقادنا أن الناصرة نفسها كانت تسمى نذيرة بمعنى الطليعة عندما كانت على تخوم الأرض التي فتحها العبريون قديما ، وأنها كانت مرقبا صالحا للاستطلاع لأن التلألؤ التي تحيط بها تكشف جبل الشيخ والكرمل والمرج المعروف باسم مرج ابن عمير ، وبهذا تزول الصعوبة التي اعترضت المفسرين الغربيين عن الخصوص ولا سيما الناظرين في اللغة اليونانية ، لغة الانجيل ، فلا عجب أن يضلوا مع التعريف الساتى فلا يفرقوا بين النسبة إلى النذيرين والسمة إلى النذيرة ، وبخاصة إذا كان اسم النذيرة قد عرض له التصحيف عن أسنة العبريين والعرب ، على طول الزمن ، منطوقه نارة بالصا وتارة بالسند

وليس النذيرين طائفة موحدة كما تسلفنا ، ولكنهم ينتمون إلى كل مذهب برامق حمية الشباب ، وهذا الذي جعله قوات ذات بال في عصر الميلاد خاصة ، لأنهم جميعا فتيان معمرورة قلوبهم بالآثر معنوية نياتهم على الإصلاح ، يؤمنون بأنهم رؤد لدعوة إلى المسيح الموعود ، ويتوقون ظهوره للترحيب به والإصغاء إليه ولا تحيط بهم طائفة أو مذهب محصور

الثالثة السياسية والاجتماعية

في عصر الميلاد

تحدث سورية والسفطين للدولة الرومانية على يد القائد الكبير ، يرمي الذي نفس على ثورة العبيد الثالثة بقيادة سبارتاكوس ، المشهور

وقد حسنت خزيمة سبارتاكوس ، من العظام التي أضافت إلى محد يومباي وضدت ذكره بين أصل الرومان ، ولكن هذه العظام تضاف على لأبطال رسول مجا لا يخفى على خير كبير ، فمن دلائل القوة أن تستطيع دولة قمع فئة كذلك القصة لجبارها التي نه يعرفه له ، مثل في ثورات العبيد الأقدمين ولكنها لا ريب دلائل لقوة التي تقابلها دلائل الضعف من جانب آخر ، فلو لم يكن في مية الدولة صراع مخيف بما استطاع عبد أن يجمع سبعين ألف عبد ويظهر به جيوش روما زهاء ثلاث سنوات ولولا خلل في كيان المحتج لما شتم على أضداد هذا العدد من الأرقاء المسخرين الذين يفترون في محد روية نضرة الحق ، ويحاربون بالحياة ليهبطوا بها إلى الحضيض .

وقد كان سبارتاكوس من أهل تراقية ولم يكن أول «عبد» شرقي شمر على دولة الرومانية ، بل سبقه رفيق آخر من البلاد الشرقية إلى الثورة في صقلية سنة (١٣٢ قبل الميلاد) واستطاع أن يقيم له عرشا استقر في الجزيرة عشر سنين ، وهذه هي الثورة التي تحلى قائدتها «أونس» لاتباعه في مسيرة النبي الحرام وفي شدة البت المتوح ببد الله ، وكان أصله في سورية وكثير من شاعه شرقيين

وقد سبقت ثورة أونس السوري وجمعت بها ثروات من قبيلها لم تبلغ مبلغ من العنف ، ولد نخل إحداهما من صبيغة دينية فيما يدعيه لقائدها ، وأحدة منها في سما الصفري تنشر لها حكومة تسميها حكومة الشمس رمزا إلى عبادة النور والحرية ، وتقيم هذه الحكومة والشوار المنزموين في مقلية يطلقون بالآلاف على أخشاب الصليبان

ولم يكن هذا الخطر الكمين خافيا على المصلحين من سياسة الرومان في الأجيال القريبة التي سبقت ميلاد السيد المسيح ، فأرادوا إصلاح العيوب

الاجتماعية بالرحمة إلى الشريعة التي تنبذ الدواوين وتحرر زيادة الميراث على خمسائه فدان . وظن كابوس جراثيس (Goths) أنه يبالغ الأفة بإسداء طبقة جديدة من المصارمة والتحرار يحد بها من نفوذ النبلاء وأصحاب الضياع المتهملين ، واضطر هو وأخوه إلى تمرين المتمردين بأغذية تبديلها لبولة بأقل من تكاليفها . ولكن عوامل الخراب كانت في تلك الأجيال أعمق وأفضل من عوامل العمار والصلاح ، فلما حول يولسوس مسس في سنة (١٠٤) قبل الميلاد) أن ينظم الإقطاعيات بتشريعاته الزراعية فأن في خطابه «التفسيرى كما روى شيشرون» إن ملاك الأرض في مدينة رومة لا يزيدون على ألفين . وازدادت هذه الحالة سوءا في عصر أوغسطس لتجسد كما يوصف في التواريخ ، فالت المستعمرة الأفريقية إلى قبضة سنة من احتبطين ، ولها أول من الأرقاء المسخرين .

وعصر أوغسطس المجيد هذا هو عصر الميلاد الذي قال فيه السيد المسيح في رواية الحواري متى «إن للشعالب أوحرة وللطير السماء وكارا» . وأما ابن الإنسان فليس له أن يسند رأسه .

وأوقع أنه كان عصرا محيدا بنوة السف دي كن قوة أخرى من القوى الإنسانية ، وقد أخذت رومة من قوة السيف كرم ما تعنيه فتوح واسعة وسطوة تصد الأعداء وتقمع الثوارين . وألقت رومة بكل اعتمادها على هذه القوة فأصبحت لها سدا لا غنى عنه ، وانتهت بها الحاجة إلى تلك القوة لها ألقت بنفسها على مذبحها ، فباعتها حريتها وكرامتها . وصيغت الجمهورية في سبيل القيصرية المطلقة ، بين وقت القيصر إلى عهد الربوبية المعهودة ، فخلقت على القيصر أوغسطس لقب إله ، وقررت عبادته مع الألهة برصدت له شهرا في السنة لا يزال معروفًا بنسبه إلى اليوم . تناهت بعده عبود القياصرة العسكريين من أمثال هراجان وهاريان وغيرهم من المتشبهين بهم ، حتى عز عليها آخر الأمر أن تحد القياصرة العسكريين .

وكان لقانون والنظام مغر رومة الأول ، فضاع تعاون مع السلطان المطلق ، وضاع النظام مع التفاريت البعيد بين الحاكمين ولحكوميين : ثروة وتراف وصفيان من ناحية ، وفقر وضئك وهوان من ناحية ، ولا نظام للدول مع اختلال التوازن في المجتمع ، بل لا نظام للحياة نفسها ولا قيمة لها مع إفراط النعيم

حتى السوء من لجة . وإفراط الشقاء حتى التفتة على الحياة فصدق في رومة كلب وصف السيد المسيح لذلك الرجل لخاسر الذي كسب لدنم وضعف

وله مستقر الأمر دولة لرومية في فلسطين دفعة واحدة على أثر افتتاحه . لأن اجتياز بين الرومان والفرس لم يتزك لبلاد قرارا في مدى عشرين سنة . وانقسم ترائى في فلسطين بين الوثنيين منهم من يشايح الفرس ومنهم من يشايح الرومان . ولشد التحارب بين الفريقين اشتددا خرج بهم إلى ضراوة الوحشة في مناصب الدين فضلا عن مناصب الدنيا . ومن أمثله أن أنصار الفرس تطلبوا على حصار رومان في بيت المقدس . وكان أنصار الفرس يرشحون لروسة كنيهة انتحوس بن أرسطوبولس . فقبض هذا بيديه على مر حمة فيركوس رقصم . به بأخته ، ليحول بينه وبين وظيفة الكتابة طول حياته . إذ كانت هذه الوظيفة محرمة على المشوهين ودوى العاهات

وكان في الأداة الجنوبية من فلسطين زعمه مشهور بالمصافة والمزعم على رأس قبل موسى . عرف غراسه وبعد نظره أن الكفة الراجحة في النزاع على فلسطين تعود لرومان . فنصرى إلى السا واستبسل في معيها فكافأه على خدمته بتخصيه ملك على اليهودية والمسامرة والجليل حيث ولد السيد المسيح . وكافأه هو بالتصدي في محاكاة المدينة الرومانية ، وأوحى إليه حصانته أن يدهف السلطة لدية ويدافع السلطة لذيوية في وقت واحد ، فعالي في تعبيرة ليهودية التي كانت قبلته ندين بها على سبيل العداوة ونعجده . وتدعى في محاكاة الرومان والخرق بالازياء والمساكل والشارات والأحده وتكفل بنام بناء المعكر على لغته ، ثم تكفل بترشيح رؤساء الهيكل من بين أعوانه . لتروم من إن صبح هذا التعبير ، لعلهم يارون شططه في محاكاة الرومان ومحاكاة لتفانيد الممرانية ، كلما احتاج إلى التوفيق بين الشعب

ومع هذا نجهد بعضي في التفرير بين لطيف مات هيرود وهو مفضوب عليه أشد الغضب عن أبيه . وبينه . وحدث قيل وفاته أن طائفة من الغلاة ثارت في مبابب وأنصبه لتنتع منه معالم الوثنية ، فعقد لهم محكمة علنية وأمر بضاد فحلوه في المحكمة ، حيث قضى عليهم بالحرق وهم أحياء ! وقضى على الزعماء النخبويين بحبسهم وأوصى أخته أن تقتلهم إذا مات قبل إعلان

وفاته ، لتذهب حمرة الشعب عيנם بفرج الشمامسة فيه ، فلا يستعهم في ذلك اليوم بالفرح الذي ترقوه

وقعت اللة بتقسيم البلاد بين أبنة هيرود الثلاثة ، فوعلت الجليل - حيث ولد السيد المسيح - في حصة هيرود الثاني انتيباس ، ووقعت ليهودية في حصة ارخلاوس ، ووقعت مشارف الشام في حصة فيليب . وكان من مراسم الولاية أن يتعيب الملك إلى روما لبتلي عهد الإمارة من يدى القيصر . فهذا الذى يشير إليه السيد المسيح في مك المشجر كما رواه الحواري لوقا حيث يقول ما قحواه : « كان إنسان شريف النسب ذهب إلى كورة بعيدة ليأخذ لنفسه ملكا ويرجع ... وأما أهل مدينته فكانوا يبغضونه فإرسلوا رماة سداة يقولون : لا نريده ملكا علينا ... »

ولكن القيصر أقر الأبناء الثلاثة في ولاياتهم ، وخرجت البلاد ممزقة بين أبناء هيرود وحكومات النبطيين والمدن العشر . وقصدت روما بهذا الترتيب أن تخيف ولاية بولاية وتلجئهم إلى التماس منهم في مرخاتبا ، وتتخذهم جميعا درما تدفع به غارات الصحراء وهماج النعصين

ومن العتوانر - مع تصحيح تاريخ السنة كما سيأتى بعد - أن السيد المسيح ولد في أعقاب ثورة جدثة اشتعلت في أقاليم فلسطين اليهودية على الخصوص ، واهوت فيها دم الآلاف من الغلاة وأتباعهم لأنهم هبوا في وجه الدولة الرومانية محتجين على صدور الأمر بالإحصاء العام . وليس الإحصاء بضيعة الحال صبا من الأسباب لإشعل نار الثورة بين أبناء أمة مطمئنة . ولكنه أشعل نار الثورة فعلا لأنه أثار بين الإسرائيليين خاصة مشكلةين قديمين من مشاكل فلسطين إحداهما مشكلة الاعتراف بملك غير « يهوا » الذى يؤمن الشعب اليهودى أنه هو الإله وهو الملك . وأن مبايعة الشعب لغيره كفر وخيانة يعاقبه سبها بالضربات والمحن ولا يغفرهما له إلا بعد كفارة تضيق فيها الأرواح والأموال . فإذا دان يهودى لملك غير « يهوا » أو غير مسخانه المختارين فهو مطرود من رحمة الله مسحق للذئاب والحرمان . وقد حسب الشعب الإسرائيلى أن الإحصاء مقدمة للرضى السيادة القيصرية عليهم فردا فردا وتقييدهم عبيدا للقبصر مطالبين بعبادته وافتتاح الصلوات باسمه . وكان فة هاء اليهود بذعور نجزية وهى تؤخذ منهم غرة عن طريق الالتزام الذى لا يخفى الأفراد بالأسماة به يؤخذ حملة على الأكرار والأقاليم ، ولكنهم كانوا ينكرون أداء الجزية من ناحية المسأ أشد الإنكار ،

ويمكنون بكفر من يجيزها ويشترك فى تحصيلها وينبذونه من الجماعة وينبذون معه من يعاشره ويتحدث إليه . ولهذا - روا مكيدتهم للسيد المسيح تساكوه أمام جمهوره الشعب عن أداء الجزية هل يجوز أو لا يجوز - فأرسلوا إليه تلاميذهم من اليهوديين قائلين : « يا معلم : إنك صااق تعلم بالحق ولا تبالى أحد ذلك لا تنظر إلى وحوه الناس فقل لنا ماذا نطق ؟ أيجوز أن نعطى جزية لقيصر أم لا يجوز ؟ » كان جوابه المشجر : أرونى معدنة الجزية . ومطر إلى الدينار الرومانى فسأله : لمن هذه الصورة والكتابة ؟ فلما أجابوه أنها لقيصر قال لهم : أعطوا إذن ما للقيصر لقيصر وما لله لله . وسكتهم جواب لأنهم لا يرفصون لعمله القيصري مع رجود العملة اليهودية . ولو كانوا يستنكرون أداما حقا لأنكروا كسبا وأحاراف . وقد كانوا يكسبونها وسخرونها ما عدا ملانة عملة منهم . وهى التى ثارت عند تقرير الإحصاء العام

أما المشكلة الأخرى التى أثاره تقرير الإحصاء فهى مشكلة الضريبة وعصف الجباة فى تحصيلها . فقد كن اليهودى يؤدى ضربيتين إحداهما للهيكس والأخرى للدولة . وقد جاء فى الأناجيل أن رسل الهيكل كانوا يطلبون ضريبة من الرب المسيح وتلاميذه . وأنه عليه السلام سئل مرة أن يؤديها فقال لتلميذه سمعان : « ما تظن يا سمعان ؟ » ممن يأخذ ملول الأرض اجباية أو الجزية ؟ أم يسلم أم من الأجاس . قال له التلميذ : بل من الأجانب . فقال السيد المسيح : إذن أنت الجيب آخر . ولكنه عاد فأمر تلميذه بأداء الضريبة عنه وعن معه من التلاميذ

وقد كان أداء ضربيتين عمنا لدى طاقة الفقراء . ولكنه - مع العسف لى نحصل ضريبة لدولة - كان عبنا لا يطيقه لموسرين فضلا عن الفقراء . لأن لدولة كانت تحصل الضريبة بطريق الالتزام والعزايده . فإذا حان الموعد السنوى منع باب السرايدة ومنع صاحب المراء الزواج حق التحصيل طوال العام . وكان تحبابة أو العشارون يتخذون لأنفسهم شيئا غير الذى يسلموه للملتزم . وكان عاتوه يأخذ لنفسه شيئا غير الذى يسلمه لخزانة الدولة . فكان المال المحصل يربى على ضلعى المال المطلوب .

ولهذا كانت صانقة العشارين بغيفه إلى الشعب وكان الشعب الإسرائيلى لا يغفر لأمانت أن يتجردوا لخدمة ملتزمين الأجانب ويبتزوا المال هراما من أرواق لموسرين . ومن ثم كان إنكارهم على السيد المسيح أنه كان يخاضب

العشاريين ويدخل بيدهم ويستمع إلى مناجاتهم ، ولكنه كان يستمع لهم ويوصيهم بالأمانة في الجانية .. يسألونه يا معلم ! مات غنبل فبقول ليد : لا تستوهوا أكثر مما فرم من ليد ، ويقول للجن الذين يصاحبونهم : تفضلوا أحدا ولا تشربوا خمر ، واكتفوا بملابسكم .. لأن الدولة كانت ترسل الجنود يجلسون ضدهم ويملأون مطاياهم من الناس !

فما صدر الأمر بالإنصاف العام توهم الدهماء أن الدولة لا يترك في يدها تحصيل جنة وتنتهي أن تزد عليه ضرائب تستوفيها من لآخذ فردا فردا مع شطط في تحصيل ضرائب الالتزام ، فاستحبوا داس الشدة من الغلظة ، وغضبوا لعفائهم كما غضبوا لأوراقهم ، حين أمرت بالعودة إلى بلادهم نسجوا أنساجهم حيث ولوا أو حيث يقبضون

وسا لا خلاف عليه بين المؤرخين القريبين والأقربين أن بداية السباسبية في فلسطين خاصة كانت على أسوأ ما تكون . ولكنها على إفرطها في أسوأ ند تبلغ مبلغ الحالة الاجتماعية في الدولة على القنوط وعسود لبلاء . وحسب تقاربي أن يتصفح الأناجيل كائنا ما كان اعتقاده فيها من الحجة الدقة لكي تمثل له حالة البرزخ والبس التي كانت قرين على القرى وسكن في قبايل فلسطين . ولا سيما إقليد الجليل الذي نوارث الروايات عنه . فحيثما سجل الإنجيليين رحلة من رحلات السيد المسيح بين القرى فبك حير عن هجرة وأمرضى الذين يتعرضون لطب الشفاء بعد البس من كل علاج . وبين هؤلاء متلولون ومراوغون ومجانين ومصابون بالخرس والصمم والمغنى وبسر فافصل والأخراف . بينهم من يقال عنه أن جسده تسكه الشبطين أو يتأوب ككناه جمعة من الشبطين بالليل والنهار . وكان بعض هؤلاء المرضى أطفالا وبعضهم من الشبان والكبل في مختلف الأعمار . ومن إلى أمراض برص ولاريف والصرع الذي لا يقتن بالجنون

وإذا كانت هذه الحالات الجارزة قبالى جانبها ولا شك حالات أخرى دونها في اتمد والبرزخ تتم على الآفات الجسدية والنفسية التي نشأت في ذلك المجتمع وتركته مهيبض الأعماس عرصة للسخط والهياج . وبضاف إلى هذا أن عصر السلاط قد شهد في فلسطين طوائف شتى من الأساق الذين يعجبون تعرضي بالعلاج الروحاني ويعتمدون على قوة الإيمان وطهارة سمعيتة في التمتع بالعلاج ، وإذا قلنا إن عصر الميلاد قد شهد عصرا مبض للأعصاب فتحن

ملفت القنات حاسبا إلى هذه الضائقة التي تشتر إلى الحالة النفسية في حملتها قلبي أوج من عصر كدك لعصر إلى السكتنة وثقة بيمان وليس أشد منه شطشا إلى التسليم والتضيق متى استرحت النفوس فبه إلى الهادي الذي يرجي على يديه التسليم والتضيق ، فم يأت أوان الرسالة المسيحية حتى كانت قد سبقتها رسالات تمهيد لها وتعم في وجبتها عمل الروا السابقين . وقد كان أقوى هؤلاء الرواد يحيي لنفسه أو يوحنا المعمدان ومن لم يكن هو الرائد الوحيد في طريق الرمال واللاية ، فجهل المتحيزين ومزا من الاعتزاز بالنساء وتاريخ ذلك شعوا على بيرة النساء في رمة وهو بلاص على هيرودس سائها البيرة التي استبح فيها الضمير بالمعصية والبناء بهن على غير شريد وقتل الأخوة والأبناء وتدنس العادة وتقاسة بالنسخ والمسايرة في المنكرات فكانت جسارة النبي على التعبير كنفا لحسارة الضائقة الأشد على الدين والخيانة ، وقضى على الرسول أن يكون عاجلا الرسالة في حسته لصراح وخرج من الميدان شهيدا بجر وراء جنة ميت بقيد الحياة ، فلب جسده هيرودس قد أكله الود قبل يقته ، وإن عهده قد وصف نفسه أصدق صدته حين بذل رأس الذي ديرة أو أفضة مباذلة الجسد ، ولا جرم يكون عصر يحيي لنفسه عصر رسالة عاجلة أو رارواودة بيرة فحتم من في وجهه من هناك ، فت تبدأ المعركة التي تستوفي الميثاق كذا ولا سباسبية من صااح ومساء

الحياة الدينية في العالم في عصر الميلا

بلغت الدولة الرومانية على عهد الميلا غاية مداها ، وولدت في حوزنها أعم الدائم المعمر كله ، ما عدا الشرق الأقصى ، وأصبح من رعاياها أساس مختفون في الجنس واللغة والعقيدة ، فشوهت في رومة والإسكندرية ونابلس وبيت المقدس كل عبادة يدين بها الشر من تخوم الهند إلى الشواطئ الأطلسية ، وكثر الحديث بين الناس عن الأرباب والديان والذاهب والعقائد ، وتبادل المفكرين والفلاسفة البحث فيها بعد انتقال مدارس لحكمة والعلم إلى الإسكندرية ، وتلاقى الحكماء والعلماء فيها من كل مذهب وكل عقيدة ، وتعود الناس أن ينظروا إلى الأمور نظرة عامية وبخاصة بين أهل الدرس والتفكير والمطالعة الروحية

وأعظم من هذه النظرة العالمية أثرًا في موضوعنا - حياة المسيح - أن عصر الميلا قد شهد عدة موجات دينية تعمرى من الشرق وعصر بلاد أسوة لرومانية نفسها ومنها العاصمة الكبرى ، خلافا لما يستحق إلى نص من نظرية العقائد تبعاً لقمة القوة السياسية .

فلم تكن سيادة الدولة الرومانية على الشرق مقدمة لسيادة الديانة الرومانية كما جرت العادة في كثير من أموار التاريخ بل حدث على عكس ذلك أن عقائد الشرق هي التي غلبت على رومة وأتباعها ، وهي التي انتقلت من الأمم المحكومة إلى الأمة الحاكمة وجاءت المسيحية بعد ذلك ثم تكل استمضاء من هذه القاعدة ، بل كانت تطبيقاً جديداً لها أعم وأوسع من كل ضميق متقدم عليها

وليس في الأمر مخالفة للسند الطبيعية كما يبدو إلى الذهن لأول وهنة ، فإن سريان العقائد من الشرق إلى الغرب في تلك المرحلة كان هو السنة الطبيعية التي توينها جميع الأسباب ولا ينقضها سبب واحد صالح لتعليل

كان اتخاذ النحل الشرقية موافقاً للقباسرة وموافقاً للرعايا في وقت واحد . فقد كان القياسرة يطعمون في الربوبية وكانوا يسمعون أن كهنة المعابد هي

الشرق يعلنون حلول الآلهة في أجسام حلك ، ويرشحوهم للعبادة ولو تزل امتداداً بالإسكندر ابناً للإله أمور ، خيراً يتناقله المظلمون على سيرة ذات الفاتح ويتشبه به منهم من يفتح مثل صوحه ويفتح مثل فتوحه . وجر هذا المظلم الغريب إلى فتنة عبدة في وطر لسيد المسيح حين نصري الملك ابيوجس - خليفة الإسكندر - بصب الربوبية وسمى نفسه بالإلهي وصاحب الشارة الآلهية .

وقد كان رعايا الدولة الرومانية طيف من الشعوب المختلفة ، ويرى هذا الاختلاط إلى الحداث التي كانوا يسوقون إلى الشرق ويتركونها فيه وعناش يتعبدون إلهاماً شمة بعض لأحيان الله لمنازعات كلما أطالت نسقا في العاصمة ، ولم يكن من شأن هذا الخبيد أن يتعصب لعبادات رومة أو يعرض عن عبادات غيرها موافقة أن يشبه بالثرفة كما حدث في عهد الاسكندر وأن يظلم الربوبية من قباصرة .

ولم تزل سمعة الشرق عند الغربيين من القدم أنه هو مهبط الأسرار العوي وأنه تعلم من خير السماء ، لا تعنه الأمم الغربة . وأن كهان الشرق سحره يثمنون على الغيب وينفذون إلى دياطن ديانات ، وكلمة السحر عدهم ديانة متسوبة إلى لمجوس ، وسحر لباس في كل لغة مضروب المشرق في الزمن القديم إلى الزمن الحديث . وتولت أريمن ماساببي التي يرمض كوكب من الكواكب على كل يوم منب تراث شرير مولف في التقدم ، لا تزال حيازة في التقويم الأريمن من أقصى حذر إلى أقصى الجنوب

ملا عجب أن يؤخذ القوم بهذا سحر يسلموا لأنه الشرق بأخضر السماء وأسرارها ، مدامت الأرض في يديهم محكومها كما يشاؤون ، ويجدون من انكبان والسحره من يبابعد غيب باسم السماء

لهذا زحمت على المهند الروماني رحلة «مسترا» ونحلة «إيزيس» ونحلة المستطسين كما زحفت عليه نحو أوريوس اليونانية من أسبانيا نصفري ويرجعنا هي أيضا إلى الشرق طيرم

وعند شوهدت آثار العبادة الوثنية في أقصى أقطار الدولة الرومانية من المغرب شوهدت في آثار لسور الروماني للميلا الإنجليزية كما شوهدت في غربا ، وشاعرة العبادة من شأن العمل لأن «مثرا» كان شخصية مزووجة تجمع بين صفتين محبوبتين ، حداثا صفة لبر الذي يبدد الضلام والحق

الذي يسمى الماضى ، و أخرى صفة المتأصل رب الجود الذي ليس فى كتاب
 لتحيى المعروف بكتب -الافسند- أنه يسوق جماعته منتصب الخيى إله
 الخير ورمزه على إله لشر أفرسان ، وهو كذلك إله محبوب من غير جنود
 كثره و لعاملين بالليل ، يعمده الرعاة والسلاحون ويهتدون بمره فى أعمالهم
 ليلية ، ويعتقدون أنه يؤد فى الحسد الأذى كما يؤد الفقراء فى كهف مبيجور ،
 وهذا استخذون له المعابد من الكهوف ، وربما صبه إلى العبد ذلك الخيى
 محبهم فى الناس إنى استطلاع الأسرى والصوح إلى التفرق من -رحات
 هم -مجبور ، فقد كانت لعباده درجات سبع ينتقلون فيها من درجة إلى
 درجة على أبدي الأئمة المختارين ، ويتعاضون الشعائر فى كل حفال سرا و
 حبر على ملا من الصفوة المقربين ، ومنها تارل الخير واعتبار تشبه
 تخدم الذى يوضع على المسان رمزا إلى حلالة الإيمان

وأمرت نحة -إيزيس- المصرية بحلة امثرا الفارسية فى غروب بلاد رومان
 و ليون ، فسمها اليونان -ديمتر- وخطوها صلتها المصرية وهى صفة
 -أموب الكبرى- أو صفة الطبيعة الأم ، وكان عبادها يوحون سنا وبين القدر
 ويعتبرونها من ثم رب البحر والملاحة ، ويرسمون لها صورة حاملة تنم على
 حصيرة والعنات وفى حشنها طبل وضع بشع لور من وجهه رمز -أموب-
 و -إيزيس- المرافة ، وكان كهانها يطلقون رؤوسهم فى العود محاكاة لكهنة
 المصريين ، وكان لب بيتهم عابدون وعابدات يسمونها حامية بيت و -أموب- ،
 ومن -شبه- عبادتها من الرومان الذين اشتهروا بقتال -أسيرة- وتقدس
 حلقى الآباء ، ولأشك أن المراسم السرية التى تلازم حلة -إيزيس- كان لها
 ثرد فى تشويق الناس إلى اشتغالها كما كان لها أثر فى عبادة
 مثل وما شابهها من العبادات .

وخرجت من مصر أيضا نحلة نوبة على قله عدد المنتمين إليها ، وهى نحة
 -ثيسين- Thais التي ذكرها الحكم الإسكندرى اليهودى فيلون ، وقال
 -ثيسين- ناعيا كانوا يجتمعون يوم السبت ويتفرقون بعد ذلك فى لصوامع للتمل
 والرسمة الفلسفية ورياضة الروح والحسد وسمهم اليونانى معناه الأساة أو
 المنسجون ، وأكثر صوامعهم كانت على مقربة من الإسكندرية حول بحيرة
 مبريط القديمة ، ويظن بعض المؤرخين أن هؤلاء المنسجين هم أساتذة
 النساك اليهود الذين يسمون الأسين أو الأسبنيين ، وأشرد إليهم فى الكلام
 على فرق اليهود

ومما يلاحظ أن نحلة -أورفيوس- الديانية لم يكن لها من الأشعة من
 لرومان ما كان للحل الشرقية الخالص ، ولعلمهم كانا يحسبون -أسرار-
 لدينية اختصاصا للشرق القديم ويرجعون إلى اليونان فى مسائل الفلسفة
 والفن والخضرة ، وبخاصة بعد أن تحولت الديانة -الأورفية- إلى ديانة شرقية
 تحرى على سمة الشرق فى النقش و -أخوة- الروحانية ، وقد نشأت -أورفية-
 ليونانية نشأة فنية وقيل فى رصف -أورفيوس- أنه كان يعزف على أودره فيقبل
 عليه الوحش والنعم والخيبر وتتسنى ضرباتها وهى يصغى إليه ثم أصبح -أورفيوس-
 بين الصراير والسعم ومرا إلى التخليق بين لقلوب وعزاج الشرع من موسى
 الأقباء ، وحاء عصر اعبال والأورفيوس يدينون بانزهد والنقش ويحرمون
 للصوم وينسبون الثياب البيض ولا يرقون الخمر ، لا فى مراسد تقريبان ،
 واحتفظوا بقية البودس الأقدمين فى -ساطيرهم- عن -أورفيوس- الفان فرغموا
 أنه مؤيد عائد الصوتى ويعود منه وحيد لهم موعد حزنون فيه على موته
 وموعدا يحتفلون فيه معته ، وشابه الاحتفال بمعته و -أورفيوس- يبعث -أورفيوس- إله
 الربيع ، وكثيرا ما قيل فى كتب المقدس بين الأديان أن أتون الإله المصري
 وأورفيوس الإله اليونانى وأودوى بمعنى -سند- أو الرب باللغة العبرية أسماء عدة
 ترجع إلى مصدرها المصري القديم .

ومن الواضح أن هذه الحل لى كانت تسمى الأعضاء والمريدين وتحتفظ
 بالعبادات والرموز للصوت السري -تكن- بيانات عامة تمشى الأمم كافه
 مظاهرها وخوافها ، وإنما كانت فى حرمها أشبه بالروابط والجماعات التى
 تضم إليها المشتغلون بفرض واحد أو لمتفقين فى لزاج والعائفة ، وكانت
 أقرب إلى الجماعات الفنية لرياضة التى تقوم على نطر الأدواق ونوحس
 -العلاقات- بين الأشياء والنظر ، فكان طلابها خنسما من الشبان الذين
 مستطعون حقائق حياته المحبولة ويعتقدون أو يرححون أن هذه الحقائق سر
 من أسرار العلم والذراية يهدسهم إليه حكماء المحبرون المدربين وكان لها
 طلاب من الكهول والشيوخ بعث عقيدتهم فى الشد من الدمة فأنصرفوا عنها
 إلى حيث يلتصقون الحقيقة وينعمون براحه الضمير فى حر من الأنفة وتفاق
 لمطالب النفسية والفكرية ، فمن له هذه البحر عنده حقائق رياضية أو
 فنية فهو عنده بمثابة الأندية التى تصور روادها من الأخلاط والأغيار ولا
 سيما الأعبار من قوى الجهالة والإسود

ولكن ادلالة الكبرى التي تتجمع من شيوع هذه النحل في عصر الميلاد أنبأ
«أولا» علامة على طلب الاعتقاد وإحساس المخلصين الله «مؤمنين لإيمان به»
يحييهم من الأرواح في جو التقاليد والمعتقدات .

وإننا «ثانيا» علامة على الوجهه العالوية التي أخذت يسرى في أنحاء العالم
المعصور وتزلف بين أبناء الأمم المختلفة في طلب لعقائد الروحية . لأن هذه
النحل السرية لم تكن مقصورة على أمة ولم تكن محرومة على أحد من أجر
جنسه وأمه . فكل من يفتق وجدانه لتفكرها وأدائها فهو مقبول فيتم برشح
درجاتها من أدائها إلى أعلاها

أما جماهير الشعب فلم تكن بحقل كثيرا بهذه النحل الخاصة المتصورة
على ضلالتها ومريديها . وكانت على أدبها سريرة في عاداتها ومعتقدات
ولكنها لم تخل في هذه العادات والمعتقدات من وجهة خالية من زرع القوروس
أقبح الرذائل المختلفة ويضمهم جميع بين حين وآخر إلى محافل الأعباء
العامة التي تقدم لهذا «الرب» أو تلك «الربة» أو تتروى في حواسن الطبيعة
بصفتها التي كانت تمتاز بالدين على عادة الأقدمين . وكانت سياسة الدولة
الرومانية تساهل هذا الشعورين تشجيعه وتحفيزه . إذ كانت القاعدة السنية
عند رومانيين السياسة من الرومان أن السحب لا يهتم بها سوى رواد
النسب واللعبة بين يديها ومن اللعب الذي لا يكلف الدولة شيئا . تعبر
جماهير العامة بالأعياد وتسابق في السواحد والمولد وتصبغها كما تشاء
بصبغة القداسة . فذلك أسلم من التنازع والفقة والصداء

وحيلة ما يقال عن حياة السنية يومئذ في لعالم المعمور أنها كانت حياة
تقليد أو حياة تطلع ورغبة في الاعتقاد من جهة وبينه أنفة من عقائد الخلق
وأما كانت تجري في مجراها إلى «العالمية» التي نعم اندس ولا تخص كرامة
بعقليتها على حسب جنسها وأصلها . وهم من هذه العالمية في النحل
والسافل «العالمية» في اللغة والثقافة حضنت أقوى الحويز التي كانت قديمة
قبل ذلك زهاء عشرة قرون : فقد كان العبرانيين يؤمنون أن العبرية هي لغة
«يهو» الذي يخاطب به الأنبياء ويخاطب به الكهن في المحاريب . فلم يبنوا أن
قبلوا الدعاء واستمعوا إلى كتب الوحي باللغة الآرامية . ولم يشبهها من
اللغات الميريانية ثم سمحت طائفة كسرة منهم بترجمة التوراة إلى اللغة
اليونانية في القرن الثاني قبل الميلاد . ثم استمرت هذه الحركة في مداها

في عصر الميلاد وما بعده . فكانت آرامية هي لغة التلمذ يسوع المسيح
والتلاميذ . وهذه اليونانية هي لغة الأجيال القادمة المسيحية لعدة لتوراة
والإنجيل مع رجا بتقضى أكثر من قرن واحد على مائة السيد المسيح

وأحد الظواهر التي تسجل في سيرة الكلدان على شتات الخيرية لعدة قبيل
الميلاد أن العقائد الوثنية كانت في حالة أشبه - تكون بحالة التسفية قبل
شهر الإفلاس . فقد روى المؤرخ سويسرس أن النيسر أنسطم جنج في سنة
(١٢ قبل الميلاد) قراءة ألفي قرطاس من النارات . أصوات المكتوبة باللاتينية
والأعرة . وروى في حرقه وإلا . وانحصر كثير من المخلوقات لساتورة
فوضعت في صندوقين مذهبين ونقلت إلى معبد إله أبولون . وفي هذا الخبر
خلاصة أخبار العقائد الوثنية في ذلك الجيل

«... اقترن بالمادة والشهوات لأنه كان يعلم تلاميذه أن السرور هو غاية الحياة وأفضل السرور ما لم يعقب ألماً ولا شماً ، ولذا كان يجنب الشهوات ويمنع ويحفظها من قبيل السرور «المتحرك» وهو السرور الذي يقترن بالجهد ويعقب الناحة والعناء ، وقد كان يقسم السرور إلى نوعين : سرور متحرك وسرور مستقر أو ساكن ، وأفضلهما كما يقدم سرور السكينة والاستقرار ويعتبر به سرور التأمل والراحة والنعاعة .

وكان أبيقور يقبل في مدرسته المبيد والرافسات والتنجورات ولا يرى حرجاً في حب السرور حيث يوجد برزخاً من الألم والعناء ، بل لا يرى كيف يتخيل ، لحكيم «الخير» إذا أخرج من حساباته سررات النوق والنفس والسماع . ومن تعرض عن سرور يستطيعه في غير ألم ولا عناء فهو أحق وليس بحكيم .

وقد اتحى أبيقور على الديانات البوذية وغيرها من ديانات زعمائه أنما محشوة بالخرافات والأكاذيب ، وعلم تلاميذه أن الآلهة موجدة ولكنها مشغولة بأمورهم عن شؤون الدنيا فلا قدر لها فيها ولا قضاء ، ولا فرق عده بين الأرباب والمخلوقات إلا في لطافة المادة وتقوية التركيب ، فكلها من المادة وليس لغير المادة وجود .

ومن هنا كان يقبل كل تفسير لظواهر الوجود يرجع بنا إلى أسباب طبيعية ويرفض كل ما كان مرجعه إلى الأرباب والآلهة . ويرجع إلى أسباب طبيعية على مذهبه في السرور والألم ، فإن لم يكن في الموت مسرة فهو خلاص من آلام الحياة ، ولهذا شاع مذهب أبيقور في عصور التدهن والفساد ، وفقدان التقين والإنسان بالعناية ، وفضله المكذبون بالديانات على مذهب الرواقسيين - الأبيقوريين - خلافاً للرواقسية لا تعفى أممها من تكاليف ولا تفرص على عقوبتهم أو ضمايرهم وإحساناً مثقل على كواحلهم ، ولكنها مع هذا كانت تجتنب قواعدها ووصاياها في أصول منطوقه أشبه بالآراء الدينية التي يستظهره لغيره ويتبرسه تربية الإنسان والعبادة

وإذا أردنا تلخيص المذهب الرواقي في كلمتين اثنتين فيأتان الكلمتان هما المبر والعفة

المبر على الشدائد والهمم عن الشهوات ، ولا سعادة للإنسان من غير نفسه ، ضيقه ، فمن رضى نفسه على مغالبة الألم والحزن وقبح الشهوة والنجوى فقد

بلغ غديه السعادة القديرة لأبناء النقاء ، وهم يؤمنون بالقدرة ويؤمنون أن الكون كله نظام متناسق يجري على حسب المشيئة الإلهية ، والخي والروا والقال وطوال الوجود من وسوس العدم بأسراره وخفاياه ، ويلتفت الإنسان بالعقل مع الآلهة وبالاحسد مع الحيوان الأعجم ، وفضيلته الإنسانية هي أن يطيع العقل ويحصى الجسد ، وعصية الجسد من منالوة الشهوات ، وطاعة العقل هي طلب المعرفة وسعادة الإنسان كلها هي سعادة التي تنبئ له من الاستمتاع عن شهوة وتحصيل العلم ، فما زاد على ذلك من السعادة فهو زهد لا يدرك أو هو فضول لا خير فيه .

وقد بدأ الرواقيون الأول ما يبين يؤمنون بأن الوجود كله أصل واحد ، ولكنهم تدرجوا في الروحانية واتسب خلفاً في عصر السيلاد وما بعده إلى الإنسان بحرية أرواح في مواجهة المادة ، فبدأ «لاكبير» «زيوس» لا يستطيع أن يجعل الجسد حراً من قيود المادة ولكنه يعصيا قبساً من روحه الإلهية تصبح بعصمة إخوانا لا يفرق بينهم وبين ولا جسد ولا لغة ولا نطق ولا نطق ولا نطق مع الله ، لا حاجة بهم إلى هيكل ومعدن ، فانما القداسة في النفس التي تعبد وليس القداسة في مكان للعبادة يصنع البناء والحد ، ومن هنا واتسم المذاهب الثلاثة التي أثرت عن زعيمهم كساتش قبل السيلاد (٣٦٠ - ٣٢٠) حيث بدأ حتى زيوس قائلاً : «أهدني يا زيوس» أيها القدر خذ بيدي إلى حيث أردت أن ترماني ، خذ بيدي أنتخذ غيري كمن ولا دخل من خاطري للرب فأحمت وترشت فمن أتبعك لا مهرب لي ولا نجاة ..

ويتسم الرواقي طريقاً للقدرة لأنه من خير وليس هو لضرورة ولكني . فإن الإله الأكبر لا يريد شرراً ولا يحلقه ، وبه هذه الشرور التي في الدنيا إلا نقائص محترمة يستلزمها وجود الخير ولا يمثل الخير بغيرها ، فلا محل لراحة بغير التعب ولا محل للشبع بغير الجوع ولا محل للرحمة بغير القسوة ، وإذا كانت القسوة رذيلة فالرحمة التي تسلم النفس للحزن والغد ليست بلفضيلة الإلهية ، وإنما تكون الرحمة فضيلة إذا بصرت كما يتصور الإله في قضائه ، فتتكرر القسوة ولا تخفف الحزن والغم بغير حيلة ، فإن الحكيم يحسن في حكمته تزييق كل سم واداء كل فلاح

وقد أخذ الرواقيون من الهند - بسيل فيثاغوراس على ما يظهر - أن لعالم يقضم ويعود في دورات أبدية لا تعرف لها نهاية ، واعتقد بعضهم أن أرواح

لتقليدية . وقال في كلامه عن خلق العالم إن مسمى علمه السلام لم يأت
بأسلوب كسلوب أصحاب الشرائع الذين يحصرون أحكام قومهم في الحلال
والحرام بغير تصرف ولا تنقيح ولا بأسلوب كسلوب أصحاب الترانع الفبهة
التي تعيط بها الألفاظ والزيادات وإن روى قصة الخليفة وابة تتضمن أن
الدنيا مصابة للنظام (أو الشريعة) وأن النظام مطابق للدنيا ، وأن الإنسان
الذي يتبع النظام ، موافق صانع العالم كله ، مسر في عمله وفقا لمشيشة
الطبيعة التي تدير الدنيا كلها وفقا لمشتبه .

وقد كان فيلون رواقيا على حافة الأمهوية ، فقال في كلامه عن إبراهيم
مفسرا اسم إسحاق ، إن معنى إسحاق في لغتنا الضاحك . ولكن الضحك هنا
غير الضحك الذي يأتي من سرور الجسد ، فهو سرور المعرفة الصالحة ، هذا
هو الفرح . هذا الفرح الذي روى لنا أن الحكيم إبراهيم قدمه قربانا إلى الله
مبيناً ذلك في هذا الرمز أن الفرح على صله وثقة بالله وحده . إذ الإنسان
عرضة للحزن والخوف من الشرور الحاضرة والمفتحة ، وليس الحزن ولا
الخوف من طسعة الله .

ومذهب فيلون في الصلاة أن الإنسان يصلي شكرا لله على ما في الكون كله
وخلائقه كتب منها بنو آدم جميعها رجالا ونساء وبنات وبرابرة ومنها ذات
المصلي جسدا وزود ومنطقا وعقلا وحسنا . فإن الصلاة على هذا المثال
حذيرة أن تستند

ويتعمم الانسان عند فيلون إلى ثلاث أسماء : وليد الأرض ووليد السماء
ووليد الله ، فولد الأرض من بطن متاع الجسد ، ووليد السماء من بطن متاع
الفكر ، ووليد الله من تحرد عن الدنيا راقلا بحملته على عالم فوق هذا العالم
معصوم من الفناء براء من العادة ، في رمة الهداة والمرسلين .

وليس فيلون من دعاة لعزلة في الصوامع ، لأن اختلاف المكان لا يصنع
شيئا وإنما لخير كه من الله حيث كان ، وهو كائن في كل مكان بهدي وكتاب
الروح إلى حيث يشاء

كذلك لم يكن يستعظم ضحية القرابين كما قال في كلامه عن الشرائع
الخاصة ، إن الله لا يفرح بالضحايا وأرحمت بالعمات لأنه مالك كل شيء
ومعطي الناس كل شيء ومن عطاياء تلك الضحايا وقد يكون التقرب بغير
الشعير أقدم عنده من التقرب بالنفاس والدخائر ، بل من تقدم إليه بنفسه لا

بحقن شيئا غير المسن وغلوس أية أحكام عنده من يبدل الأمر ويسره
الأقوال والأفعال .

وقد كان فيلون عالما بخاص بنى الإنسان كالة . وكان يقول : إسرائيل
إنما سمي بهذا الاسم لأنه ينظر إلى الله ، فكل فاطر إلى الله إسرائيل . ولكن
هذه الدعوة العالمية لم تصرفه قط عن العصبية القومية ، ولم ينس قط في
كلامه عن بنى إسرائيل أنهم هداة الأمم وأنهم أحق عشائر الإنسان بعجاب
جميع لعشائر فإن الأثينيين يرفضون شعائر اللقدمونيين كما يرفض
لقدميون شعائر الأثينيين ، ولم يهمل في المصريين أنهم يأخذون بتقاييد
السيثيين أو في السيثيين أنهم يأخذون بتقاييد المصريين . وفي أرمه
يعرضون عن عادات أهل آسيا وأهل أسيا يعرضون عن عادات أهل روم .
ولكن اليوم السابغ الذي يستريح فيه اليهود مرعى الحرمة عند جميع الأقسام ،
ويوم الكرامة من كل سنة أقدم من الشهر الحرام في عرف الإغريق . إذ هو
شهر يطل فيه القتال ولكنه يفرى الناس بالإنراط في الشرب ولعناء
وشهوات الأحسام ، وثان هذا من موسم الصيام عند بنى إسرائيل

يقول هذا عن قومه ، في كلامه عن حياة موسى عليه السلام ، ولكنه يقول في
كلامه عن الشرائع الخاصة أن إسرائيل بين الأمم كالبيت المضيء بين الغرباء .
لا يأخذ بناصرهم أحد إذا نالبت الأتوام ونصحت العشائر ، وذهبت عن الناس
أنهم يبيتون أنفسهم بأفرائض الصرامة ويقامتون في المعيشة . ونصرامة
تقبل على الطبايع والترت مفيض إلى النفوس ومع هذا يقول لنا موسى إن بنى
إسرائيل يستجلب لها شفقة الله سببر الكون الذي وقعت إسرائيل من نسيجه
وفرزت من العانة كما تفرز بواكير الثمار هدية للخالق والاب الرحيم

تلك غاية الشوط الذي انتهى إليه فيلون في زمنه ولا يعتبر فيلون من الأنبياء
نوى الاتباع في الحياة الموسوية . ولكنه يعتبر نموذجا صالحا لتد الحياة كما
يلهمها الحكيم المصلح السدين في أوائل عصر الميلاد .

أرض الجليل

وك السعيد المصباح بأرض الحليل - أو جليل الأمم كما كان سميها
الإسرائيليين لأنها كانت إثميا مفتوحا لجميع الأمم الشرقية والعربية . ولم
يخلص سكنة للإسرائيليين وحدهم في زمن من الأزمان

ومن الجليل بالمعبرية الدثرة ، يعنون بها الإحاطة . لأنها اتسعت لكثيرين
ومن يحال بينهم وبين الإقامة في بلاد أخرى من فلسطين ولا سيما الجنوب
ركانت الجليل جزءا من أقليم الشاطئ الشمالي التي عرفت في لتاريخ القديم
باسم كنعان . ثم أطلق عليها اليونان اسم فينيقية . من اللون الأحمر على ما يظهر ،
وهو لون الصخور والحبال .

وقد امتازت كنعان قديما بالموانئ المصالحة ووقوعها على طريق التجارة من
البحر الأبيض إلى خليج فارس إلى أقصى المشرق واشتهرت في هذه الموانئ
صنعا وصورا وحيفا . وكانت تجارة المشرق والغرب تنحصر في صيد وصور ،
لأن الشواطئ الجنوبية خلقت في الزمن القديم من الموانئ المصالحة . ولم تكن
ورعها مسالك معروقة للتجارة غير مسالك الصحراء وفي يومنا قليلة الأمن
كثرة التكاليف

ولهذا الموقع الغريد حفلت أرض الجليل من قديم الزمن بالسباح والمقيمين
من جميع أهم الحضارة في المشرق والمغرب ، وتوثقت صلاتها بجميع
الحضارات الإنسانية ، وراحت فيها الصناعات والمعارف العلمية والنظرية . ولا
سيما المعارف التي لها عذمة بالملاحة كفن بناء السفن وهدد الكوكب والكتابة ،
حتى تواتر أن تجار الفينيقيين وملاحهم هذ الذين نشروا الأبجدية في بلاد
البحر الأبيض . ومنها انتقلت إلى سائر الأمم الأوروبية .

وقد دخل بعض بلاد الحليل - أو كنعان - في مملكة داود بعد إنشائها ،
ولكن العلاقة بين الجليل واليهودية ظلت على انشوام علاقة حذر وجماء إن لم تكن
علاقة حرب وعداء ، وكان أثر السيطرة اليهودية على بلاد الكنعانيين أن اليهود
أخذوا من الكنعانيين معالم حضارتهم وعولوا عليهم في الصناعة والتجارة ،
وجاء في العهد القديم غير مرة ذكر الاستعانة بالصناع والخبراء من أهل

كنعان في شتيين الهياكل والفصور البسيدي ، ومن ثمة في سفر نبيات أن
سبعان أرسل إلى حمراء بنت الكندس بركوه أن يضر بقطيع حنث لثماء
نهمكر ويقول له : « إنك تعلم أنه ليس بيننا أحد يعرف قصي حنث .
كالصبروتين » . ومنه وصف النبيذ الذي كان يوه من مصر ومنه من
سبط نفتالي - وكان مملنا حكمة وفيت ومعرفة لكل عصر في النحاس

وقد جاء في الإصحاح السابع والعشرين من سفر حزقيال أنه كانوا
تعمرون بالحضة والعمل والترب والبناء والطوى وغيرها من مقولات الأمم
أخرى

واعتمد ثيودور على الكنعانيين في شتيين الثقافة والفن ولم يته انسادهم
عنهم عند مطال التجارة والمطعة ، فنقلوا عنهم الكتابة ووزار شعر
والمشيد الصاوات . وحدهم عبر مرة أنهم تركوا عتدهم وحذروا عبا إلى
عقائد الكنديين . وإلى ذلك يشير العهد القديم في سفر القضا حيث يقول :
« فعل منه إسرائيل الشر في عني الرب وعمدوا البعد تركوا إله آباءه الذي
خرجه من أرض مصر » وإلى ذلك أيضا يشير العهد القديم في سفر الملوك
أول حيث يقول نبي إيب : « إن بني إسرائيل قد تركوا عياله وبقصو سابعان
وقدتمو حنث » إلى أن يقول : « وقد آمنت في إسرائيل سمعة لاله إلهكم كل
لوكن التي لم تحت بسفر لاله فم دقت »

ولقد سكرت عدا اليهود حفيعين في الأهاليه الشدية من معبر كليل
والسيرة . فميرت عام سده واثور تهد ونظر إله آباء اليهودية مصرية إلى
البحر الأبيض فظفوا عن أصواته تابعوا الغراء على عادتهم وآباءه وكان
ثوابه أن عل تحلل ضامة تميدوا الكلام بالأرامية وهي لغة أهل سورية
والخسة . وبالوالية . وهي لغة فناء من البحر ومن أسبا الصفوي .
من مشورت الفرس والسد والعراق . لأنهم كانوا يلتقون بأبناء
البحر الأبيض مع الفرس الشرقية . ويرجع بعض المؤرخين أن حنيقيين
أقدم حنث كندا من فاضل أحصح فخارسي التي حنث عنه وبارت مع طريق
نقوام حتى استقرت على شاطئ بحر الروم وظلت مدعضة بعدد من على علاقيا
البحر الشرقية

ويبلغ من بغض أهل اليهودية لأبناء منتهم في الشمال أن «حنا ميركانوس» تمكّسى ثمار عنى الأقاليم الشمالية . ومنها بلاد في السامرة وبلاد في الحليل . فعاد من فيها من اليهود إلى الجنوب وخير القيسين في الشمال بين الهجرة أو قبول القتال وشارات اليهودية ففضلوا البقاء على المهاجرة من بلاد آبائهم وأجدادهم أو من البلاد التي سكنوها منذ زمن طويل . ولبت السامريون متفردين متفانيهم . ولبت أهل الجليل متبعين متفردا إليهم بعين الريبة والاستعراب

ومما اتفقت عليه أقول المؤرخين وتردد كثيرا في روايات التاريخ أن حميرة كبيد من أهل الحليل كانوا عربا يتكلمون لأراسية ويلفطون العبرية بلهجة 'حشبية' يلحظ أهل الجنوب ويميزون المتكلم بها من كلمات قليلة تسير مع مرضا على غير روية . وكذلك عرف الحباريون في الهكل كما كانوا يعرفون في كل فلسطين

وقد كان من الأمثال السائرة في السنة اليهود المتعصبين لتفاليدهم وعاداته . أنه لا خبر يأتي من الجليل وفي إحييل يوحنا أن نشايل عصب حين قال له صاحبه : «أنا وحنا الذي أنشدنا عنه موسى وأنه من الناصرة في الجليل . فأجابهم يستغروا : «أمن الناصرة يجرى شيء صالح»

وفي إنجيل ماثث يروي عن رجال الهكل أنهم كانوا يقولون متيكمين إنه لا يقيم شيء قط من الجليل^(١)

كانت الساحة الدينية وقتة الحرح هما سبب هذه لفظة على الجليل وأهل في نفوس أبناء اليهودية المتكلمين بكثر مسأحة والجامدين على كل حرج ولكن هذا السيد بعينه هو الذي جعل أرض الحليل أصلح مئبث للدعوة الإنسانية التي ترقبها انعلم في ذلك العصر . فما كان من اليسير أن تثبت دعوة الإخاء بين الأمم في كنف البحر والجمود

وقد تفق بمولد السيد المسيح بوضع سنوات أن الجليل خرجت من سلطان ملك يهودية على أثر وفاة هيرود الكبير . وأنها دخلت في البادية المحاذرة له في نصيب ابنه هيرود نيباس وربما كان عليه السلام في العاشرة من عمره حينما هذه الرومان عاصمة الأمير الجديد . وبنيت العاصمة

لعدة صرية على مقربة من الناصرة حيث نشأ عليه السلام . وإن شك أنه في نحو العاشرة يسمع أخبار هذه خضربة ويسمع أخبار الثورة التي تقدمتها وأعقت بعدها ما أعقبته من جربها . وقد كانت مشكلة التمسك أو مشكلة السماح لربيته حديث صباه وأول ما طرق مسامحه من مستندات السياسة والدولة . ولما عصب العاصمة الجديدة باسم العامل الروماني ميريوس سمع ولا شك تغليب الأخبار على ذلك الذي الروماني وشبه العيب من عرى السياسة والإمارة من الأولان . وأدرك أن مواضع تهدم وتشي . وأن النير تحول . وأن الطاعة يتزلزل واحتزلف يطفئ . وأن مجد الزياء زيف وخواء . فصبحت نفسه الريبة في خلق غير هذه الأفاق وصور لفؤاده الذكر ملكوت السيد في صورة غير لصورة . تخالفا ولا تزال تخلف عنها كلما تقدمت به الأيدي

(٢) الإسحاق اساع

(١) إسحاق الأول

حتى ولد المسيح

يفهم من رقم التقويم السلاوي أن السيد المسيح ولد في السنة الأولى للميلاد . وعلى هذا الحساب جرى العمل من الأمم الأوروبية منذ سنة ١٥٨٢ للميلاد وهي السنة التي دعا فيها راهب دبنوسس الصغير (Erasmus) إلى تأريخ الأيام من السنة الأولى للميلاد ، وصحاح احسب على تقديره ثم جرى العمل على حساب إلى الآن .

ولم يكن الرجل صغيراً في مكاتبه الدينية ، ولكنه أطلق لقب اصغير على نفسه من قبيل التواضع والانكسار . وقد حقق بحوثه ومرجعاته ما استنصاع في زمانه فلم يسلم من الخطأ في حساب بضع سنوات ، ثم تعذر إصلاح هذا الخطأ عند ثبوته فقرر استدراكه بإضافة أربع سنوات إلى التقويم القديم الذي يحسبه أصحاب منهج الخليقة ، واعتبروا أن السيد المسيح ولد في سنة أربعة آلاف وأربع مئة حساب ذلك التقويم .

أما أقول الرابع في تقدير المؤرخين الدينيين وغير الدينيين فهو أن ميلاد السيد المسيح متقدم على السنة الأولى بضع سنوات وأنه على أصح التقديرات لم يولد في السنة الأولى للميلاد .

ففي إنجيل متى أنه عليه السلام لم يولد قبل موت هيرود الكبير . وقد مات هيرود قبل السنة الأولى للميلاد بأربع سنوات .

وقد جاء في إنجيل لوقا أن السيد المسيح قام بالدعوة في السنة الخامسة عشرة من حكم القيص طيبريوس وهو يومئذ يناهز الثلاثين ، وقد حكم طيبريوس الدولة الرومانية بالاشتراك مع القيص أغسطس سنة ١٤ من تأسيس مدينة روما . ومعنى هذا أن السيد المسيح قد بلغ الثلاثين حوالي سنة ٢٩ رومانية ، وأنه ولد سنة ٧٤٩ رمانية أي قبل السنة الأولى للميلاد بأربع سنوات .

ويذكر إنجيل لوقا أن القيص أغسطس أمر بالاككتاب - أي الإحصاء - في كل المسكونة ، وأن هذا الاككتاب الأول جرى إذ كان كيرنئوس والي على سورية ، وهذا الجنب لكتبتوا في مدينته ، وصعد يوسف ... من مدينة

ناصرة إلى اجنوبة . . يكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهي حبلية . ولدت أيامها هناك فولدت بنتاً الذكر .

والمتصور بالاككتاب هنا - على ما هو ظاهر - أمر الإحصاء الذي أشار إليه المؤرخ يوسفوس وأرخه بما يقابل الستين السادسة والسابعة للميلاد ، ولا يمكن أن يكون قبل ذلك لأن تاريخ ولاية كيرنئوس معروف وهو السنة السادسة . فيكون لسبب المسيح إذن قد ولد في نحو السنة السابعة للميلاد . وتكون بعثته قد بدأت وهو في الثالثة والعشرين أو الرابعة والعشرين . وهو تقدير بحالف جميع التقديرات الأخرى ويخالف المعلوم من مشورات الإسرائيليين ، فإن الكاهن اللاوي عتدهم كان يباشر عمله بعد بلوغ الثلاثين . وكان الأخبار المجتهدون عندهم يلفون الخمسين قبل الجلوس لتفسير وإفتاء في مسائل الفقه الكبرى . ولهذا قالوا عن السيد المسيح أنه لم يبلغ الخمسين بعد . يدعى أنه يرى براميه ويستمع إليه . ولأنه بدأ الدعوة قبل الثلاثين لكن الأخرى أن يعجبوا بكلامه قبل بلوغه سن الكهنة اللاويين .

ويطلب على تقدير المؤرخين الثقت أن الإحصاء المشار إليه هو الإحصاء الذي ذكره تيرتاليان Tertulan وقال أنه جرى في عهد ساترنشس Saturnus ولي سرية إلى السنة السابعة قبل الميلاد ، فإذا كان هذا هو الإحصاء المقصود فالسيد المسيح كان قد بلغ السابعة في السنة الأولى للميلاد .

ومن القرنين التي لا نريد أن نهملها قرية الكوكب التي قيل إن كهان المحوس تبعوه من المشرق لينشروا به إلى المكان الذي ولد فيه . نسب المسيح

بمن المعروف أن خبراء لبيقية فارس كانوا يشتغلون بالفلك والتنجيم . وأنهم كانوا في عصر الميلاد يرقبون حاداً جلالاً في التاريخ البشري حوالي سنة الميلاد . وكانوا كذلك يرصدون النجوم ليعرفوا من من لها شأن ذلك الحادث الخلل المشرق من حين إلى حين . وكان قران امشترى وزحل من اضرائه الهامة عند سكان المشرق على البحر حيث ترصد الكواكب للملاحة والتفوق . وفي داخل البلاد الفارسية حيث ترصد الكواكب لعبادة واستبحا . الإدارة الإسلامية . وتكفي أن تذكر مقاما هذه العادة في النعمة الفينيقية إلى ما بعد أيام المعرى لنظم شأن الأرصاد هناك كما كانت في الزمن القديم . وقد

كان المعري يصرح بمعنى نلسه بهذه الأرصاء ويقول عن قرآن المشتري رزحل خاصة في لزومها

قرآن المشتري وحلا يرجى	إبقاء النواشر من كراما
وهيهات انبرسة في ضلال	وقد فطن للبيب لما اعتراها
وكم رأه الفراند والثريا	قبائل ثم أفضحت في ثراها
تخفى الناس جبلا بعد جبل	ونقلت النهوم كما تراها

فإن كان هذا ما تخلف من العناية بالأرصاء في البقعة الفسيفسائية إلى أيام المعري فليس من الأمانة للبحث أن نسل قرائن الأرصاء كل لإعمال الأسا ترفض التحجيم وترفض دعوى المجوس فيه

فمن المعتقد أن تفكر على المنجسين علمهم بالغيب من رصد الكواكب وطول الأملاد ، ولكن لا يلزم من ذلك أن تنفي ظهور الكوكب الذي رصده ، وأن تبطل دلالة مع مائر الدلالات ، وبخاصة حين تتفق جميع هذه الدلالات .

وقد ذكر فردريك فرار في كتابه « حياة المسيح » أن الفلكي الكبير كيلر حقق وقوع القران بين المشتري وزحل حوالي سنة ٧٤٧ رومانية . ويقول فرار في وصف هذه الظاهرة : « إن قرآن المشتري يزحل يقع في المثلث نفسه مرة كل عشرين سنة ، ولكنه يتحول إلى مثلث آخر بعد مائتي سنة . ولا يعود إلى المثلث الأول بعد مرور فلك البروج كله إلا بعد انقضاء سبعة وأربع وتسعين سنة وأربعة أشهر وألفي عشر يوما . وقد تراجع كيلر بالحساب فبين أن القران على هذا النحو حدث سنة ٧٤٧ رومانية في المثلث النونين أو الحوتين وأن المريخ لحق بهما سنة ٧٤٨ رومانية

يظهر من هذا الحساب أن تاريخ الميلاد يضاف إلى التاريخ الذي يستخدم من لتقديرات الأخرى على وجه التقريب ، وأن السبد المسيح ولد في حدود السنة الخامسة أو السادسة قبل الميلاد .

ونعزو يقول إن إثبات الرصد لا يستلزم الإيمان باطلاع المجوس على نعيم من مراقبة الأفلال ، وكل ما نفهم ، ولا يجوز أن يهمل أن الذين كتبوا تاريخ السيد المسيح بعد عصره بنحو حيلين كانوا يتناولون خبر لك الظاهرة

(١) الجزء الأول صفحة ٢٩ لطبعة الثانية من مطبعة كنس

ويؤمنون بدلائلها على أنها حدث عظيم ففروا بينها وبين ميلاد المسيح . نعتلور ، ونعني لأناجيل قد درست والناس يتحدثون بقران فلكي من قبيل ذلك قران في حكم لتصور هادريان ، فقد صير يوسف مسيح كتاب أمن به إلى في عقبة ليحمن يعون لتسحس . بعد من الكوكب في كوكبه . ومعنى على العنق لنى سكبها صورة كوكب . فعادت الذاكرة بكتاب الأناجيل إلى تلك الظاهرة الفلكية النادرة ، بعد الدعوة لمسيحية منحور سبعين سنة

على أن الدراسات الأخيرة في علم المقابلة بين الأدیان تصدق تنوخ الذي يكتب عن تاريخ المسيح حتما إلى بحث عويس أمي جدا من النسخ الذي يدر حور السنة الميلادية . فإن القرن الثامن عشر قد أخرج لنا مدرسة من عصر في هذا . لقد تحدثوا مع المباح . هذا من شأنه في وجود الأنبياء والمسلمين وكان الشك يتناول كل نبي وكل صاحب دين غير محمد عليه السلام : شكوا في بوذا كما شكوا في إبراهيم وموسى وعيسى ، وسرى الشك إلى الأدب كما سرى إلى الدين ، فشكوا في شخصية هوميروس وفي شخصية شكسبير وفي بعض المثبتين للشخصيات المناشرة في التاريخ بنا وحدت فعلا ونكبا لم تضع ما نسوه إليها ولم تنكب ما نشر - سماتها .

نذكر في هذا الصدد - إسم الشاكن - بلاد الإنجليز فوجدت في مدرسة - قدمت بعامة لسيارة في شهبانها عن وجود السيد المسيح . وكان الذين يسأل العالم الألماني ويلهلم - هل يعتقد أن المسيح - ليس تاريخي وحدها وصلوه . وجاء القرن التاسع عشر وقد طبع على عدد الدراسات الحديثة موجات من الكتب التي ألفها الألمان والدنمركيون والفرنسيون والإنجليز غنوا بها أسوال المزمحين ويرجحون أن السبد المسيح شخصية من شخصيات الخيال . وليس من المستطاع في هذا الحيز أن نرد أقوالهم مفصلة ومجيلة في هذا الموضوع . فإن أسماء المزمحين والدؤفات وعناوين نمناس التي طرأوا وخلاصة البراهين التي شملوا بها شأن السبد تستغرق وحدها كتاب كذا الكتاب . ولكننا نحترق بتلخيص الأساسين : « يمين اللذين قامت عليهما مدرسة الشك في وجود السيد المسيح ، وأحدهما أنه عليه السلام له ذكر في التاريخ القديمة التي فصل أخبار عصره والأخرى روايات التلاميذ عنه قد سبقت روايتها عن شخصيات أخرى عن شخصيات لزم من القديم وبعضها ألحظ إلى الأساطير والفروهر

ما المؤرخون الذين خصومهم بالذكر فهم يوسفوس Tacitus و سينيوس Seneca وكلهم ممن أرخو عصر المسيح ولم يثبتوا وجود السيد المسيح بما كتبوه عن أبيه

نعم وزنت في نسخ من تاريخ يوسفوس إشارة مفتضية في «عيسى القديس» ولكن المقاد التاريخيين يجرمون كتب مضانة إليه . ويؤكد أنها أضيفت بقلم أحد القراء المتأخرين الذين عجبوا لغو التاريخ من الإشارة إلى أعظم أحداث في ذلك العصر ، فلما حاولوا أنفسهم أن يصفوا تلك الإشارة كانوا من كلام يوسفوس على اعتبار أن التاريخ التاريخية عامة مع من يعلمها وليست أدلة المؤلف وحده سواء عرفها أم أنه يعرفه ، وما كان من المعقول أن المؤرخ اليهودي الذي شكر المسيحية مكتبته عن رسول هذا الدين فيقول : «إنه في ذلك العهد عاش عيسى ذلك الإنسان القديس - إن جاز أن يسمى إنسانا - بعدما أتى به من المعجزات البينات وظل الناس يتلقون الحق فيستبشرون به ، واتباعه كثير من اليهود والإغريق ، وكان هو المسيح» .

قالوا : إن يوسفوس اليهودي الذي مات في سنة 100 م لا يكتب هذا ولا يؤيد بيان المسيحية ، ولو أنه آمن كما آمن لما كتب في تسجيل ذلك الحادث ضمنه في ثلاثة أسطر حات عرف بغير تحجب أو تقصير .

ومن اللاهوتيين الذين عجبوا على هذه الملاحظة نفس مورن Parny الذي ألف كتابه مقدمة لأرأسه القديمة وتعريف الكتب المقدسة ، وأورد به حجة شكون الأولى في سنة 1826

مقد ذكر مورن أن هذه العبارة موجودة في جميع النسخ المخطوطة والمطبوعة التي حفظتها مكتبة أكاديمية في ترجيته لغيرية ، وأن العبارة ليست موجودة في النسخة العربية التي تحفظ في مكتبة لاهوتية في لبنان ، وأن كتاب القرن الرابع والقرن الخامس من نسران والإغريق والمصريين قد ملأوا غلب واستشهدوا بما إن يوسفوس قد أشر في موضع آخر إلى عيسى بأنصف أورشلين حيث قال : «إن هذا عقد مستهزئين اليهودي وأخضر أمامه جيمس أخا عيسى عيسى بالمسيح ومعهم آخرين ثم أمر بهم أن ترجعوا عذابا بهم على عصيان الشريعة» .

THE UNIVERSITY OF CHICAGO LIBRARY

قال مورن : ولو أن أوسيان Eusebius أو من استشهد بالعبارة القديمة كان قد أثبتها مستقلا له لما عدم نائدا بكشف دسيسة من المطبعين عن كتاب يوسفوس وهو كتاب له مكتبة موقرة من الرومان من فيه الزمن ، وبفضل هذه حكاية كتب يوسفوس شرف الرطنة الرومانية ، بل كان من الواضح جدا أن يتصدى البيعة لمن يدس تلك العبارة في تاريخهم الأشهر فيفضحونه تغلبا له بتغلبا للديانة التي يعبده .

والتي مورن إلى شكوك التي تحيط ببناء العبارة لأنها لم تذكر قد في كلام معروف قبل أوسيان . فقال إن هذا الشكوك لا تغيب حجة لأصحابنا لأن قطب المسيحية كانوا في غير عن الاستشهاد بأقوال المرحبين مع استطاعتهم أن يثبتوا رسالة السيد المسيح في نبوءات كتب النوراد

وهم مورن ردوه بتوجيه عبارة يوسفوس إلى معنى لا يستلزم أن يكون المؤرخ اليهودي مؤيدا للمسيحية أو برسالة المسيح المنتظر ، ولعله سماه «المسيح» رواية عن أتباعه الذين كانوا يدعونه مسيحا ويعرفونه بشهرته الغالبة .

أما المؤرخ الروماني ديسيد الذي كتب تاريخه حزن سنة (١١٤ ميلادية) فمقدم ما ذكره عن السيد المسيح لا يرجع إلى أقدم من سنة أربع وسبعين ميلادية ، وقد يذكره مباشرة من أنصار إسمه في سيباوي الكلام على حرق روما حيث قال إن الإمبراطور نرون قلقه اتهام الناس إياه بأحد في المدينة فآلقى النسبة على طائفة العامة الذين يسمون بالمسيحيين ويشيرون إلى المسيح الذي حكم عليه ستاس سلاطس بأحد في عند المنصر صيربيوس

ولا يعرف الآن عدم استند تاليس في رواية هذه نسبة ، ولكن كانت على كل حال رواية شائعة بين قدامى كثيرين لم يشهدوا عصر المسيح

وكذلك لم يذكر سويتبوس خبرا مباشرا عن السيد المسيح ولكنه قال في تاريخه للقيصر كورديس : «أنه في من رومة جماعة اليهود الذين كانوا على الدوام بشرون الشعب شمرين كرسستن» وكتبها هكذا باللاتينية Chrestus لأن الاسم النسخ عليه من كرسستن بمعنى الطب وكربستن بمعنى المسيح .

وأيا كان مستند هذا المذبح فلا يستفاد من روايته إلا أن العاصمة الرومانية كن فيه أساس يعرفون باسم المسيحيين عند منتصف القرن الثاني للميلاد . وأنه كان يحسب أن الزعيم كرسستن كان يحرض أتباعه بنفسه في ذلك التاريخ

وقد عاش في عصر السيد المسيح نفسه كتاب ومؤرخون من اليهود مثل
الغيسوف فيلون الذي سبق ذكره والمؤرخ جسنس لطبري الذي عاش في
الخليل أيام الدعوة المسيحية وكتب تاريخ قومه عن عهد موسى إلى نهاية القرون
الأول للميلاد ولم ترد في تاريخه إشارة مباشرة أو غير مباشرة إلى الدعوة
المسيحية .

تلك خلاصة الحجة التي تقوم على خلو التاريخ من ذكر الدعوة المسيحية في
عصرها

أما الحجة الأخرى وهي حجة التشبيه بين القصص المروية عن السيد
المسيح والقصص المروية عن الأرباب في العبادات الشرقية القديمة فهي
تعتمد على تفصيلات كثيرة تحيط بأخبار المعجزات والشعائر في ربانات
الأقدمين من المصريين والبابليين والفرس والهنود والكنعانيين ، وأكثر النقاد
المتشبهين بهذه الحجة من علماء المقابلة بين الأديان المظلمين على أديان
المشرق في لغاتها . ويغلب عليهم ترجيح القول بأن أخبار المسيح بقية من
بقايا الديانات الشمسية يدل عليها عدد "أثنى عشر" الذي يشير إلى البروج
ويشير إلى عدد التلاميذ ، ويدل عليها الاحتفال بالميلاد في يوم الاعتدال
الخريفي على حساب الأقدمين ، و الاحتفال بيوم الأحد الذي اعتقدوا قديما أنه
يوم لثمة من يعرف حتى اليوم في اللغات الأوربية بهذه الشبهة وذلك مما
المشابهة في اسم الأم والولادة في المذود وركوب الحمام بين الأتان وغير
ذلك من الشعائر والمحرزات

والغريب في شأن هؤلاء العلماء أنهم لم يكلفوا أنفسهم تفسيراً مقبولا لوجود
المسيحيين بهذه الكثرة بعد حل واحد من عصر الميلاد ، فإن التفسيرات التي
فرضوها تتسع لشكوك كثيرة ككل "غرب من القول بشخصية المسيح التاريخية ،
ولا يكفي أن يقال إن أخبار المعجزات والشعائر قديمة لتفسير الدعوة
المسيحية بغير داع وبغير محو معلوم قديم عنه ، وقد توفي بولس الرسول في
نحو سنة سبعة وستين ميلادية وعاش قبل ذلك نحو ثلاثين سنة يشير باسم
المسيح ، ولم يكن قد طل لمع بتاريخ الدعوة ولم يحدث خلال ذلك ما يفسر
تكوينها من المعجزات والشعائر التي طلت قبل ذلك مئات السنين متواترة على
الأسنة وكان تواترها قديما أقوى وأشيع من تواترها بعد تقادم العهد وتتابع
السنين .

وكل ما يلهي من سكوت المؤرخين المعاصرين على سبيل تجزئ أن
لنؤرخ لم يدركوا خطرهما ولم يمدروا من الحركات المتفرقة التي كانت
تحتلج بها صوائف اليهود على صفه عامة ، ويعزز هذا أن الطائفة النجديية لم
تذكر باسم خضر في الأناجيل جميعا غير ثلاث مرات ، فذكر أنس السيد
لمسيح باسم المسيحيين في الإصحاح الحادي عشر من أعمال بولس الرسول
حيث قيل إن الدلاميذ دعوا "مسيحيين" لأول مرة في مدينة (أنطاكية) ثم جاء
في الإصحاح السادس والعشرون على لسان الملك غرياس أنس أنه قد سمعنا :
"هون بما نقول" به أن أصبح مسيحيا . وجاء في الإصحاح الرابع من رسالة
بطرس : "إن غيرتم باسم المسيح لضربي لكم .. إن أخذكم لا يتألم لأن قائل أو
سارق أو فاعل شر . أو صاحب فضول . فإن تألم لأنه مسيحي فلا يحل ."

وحصل ما يؤخذ من الكلمة في هذه المواضع الثلاثة أنها كانت نسبة ازدراء
وتعبير على البغضاء المسيحيين . وليس من الصعب أن يضبج الكلام عن
طائفة لا عنوان لها بين ما يكتب عن جماهير ذلك الزمن في غمار النواحي .
وبخاصة إذا كانت لم تبلغ من الخطر ما يدركه مؤرخ الحوادث الكبرى . وكان
من هذا أولئك المؤرخين أن يستهفروا شأنها لأنها طائفة مفضرب عليها في
مراحع الدين وسر حيع لدولة ، فالبكر ينكرها والحكومة الرومانية ترفع عنها
ولم يحدث قبل . . . أن ضافه من صوائف فلسطين جمعت بين غرض "سليتين"
وهي مع ذلك غير معروفة بعدان تدور عليه الأخبار

ويبدو لنا أن شوة العلم الجديد - علم المقابلة بين الأديان - هي التي دفعت
أصحابها في قرون الثامن عشر إلى تحصيل التشابهات والمقارنات فوق
مناقبتنا فإننا نرى أساسا في هذا العصر أن هذه التشابهات لا تنفي ولا تثبت ،
بل لعلها إلى إثبات أقرب منها إلى تنفي على الإجمال

نحن نرى في هذا العصر أن أتباع الطرق الدينية يتنافسون فينسب كل منهم
إلى وليه المختر كرامات جميع الأولياء الآخرين لأنه يؤمن بتلك الكرامات ولا
يشك في وقوعها ولكنه يعتقد إن وليا واحدا هو الجدير بإتيانها وهو الولي الذي
اصطفاه ولقب على عباده من الأولياء

ونحن نرى في هذا العصر وفي جميع العصور أن المشهور في صفة من
الصفات تضاعف إليه نواير تلك الصفة وعجائبها ويصبح علما لتلك الصفة في
كل ما يروى بها وينسب إليه ، فالمشهور بالكثرة تنسب إليه المكارم جميعا

بغير سند ، والمشهور بالشجاعة ينكر بعد ذلك كأنه هو صاحب تلك النادرة أو صاحب نادرة مثلاً إن لم تكن توقعها وتزيد عليها في بابها

وينبغي أن نذكر أن المسيحية وجدت قبل أن تقترب بها تلك المراسم والتقاليد ، وأن المسيحيين الأوائل أعرضوا عن كثير منها واستنكروه ومنهوه ، ومنهم من كان يحرم الاحتفال بسواد المسيح في يوم كائناً ما كان ، وعلى رأسهم أوريجين الفقيه العظيم . وقد مضت ثلاثة قرون قبل أن تحتفل كنيسة من الكنائس المعتدلة بعيد الميلاد في تاريخ من التواريخ ، ثم اختلفت الكنائس فاحتفلت لكنيسة الشرقية بالميلاد في السادس من شهر يناير واحتفلت به الكنيسة الغربية في الخامس والعشرين من شهر ديسمبر ، ويرجح أنها اخترت هذا اليوم لتصرف مسيحيين عن حضور التحافل الوثنية التي كانت تتخذ عيداً للشمس وتعلن فيه الأفراح بانتصار النور على الضلام ، لأن الاعتدال الخريفي هو اليوم الذي يقصر فيه الليل ويطول النهار .

ولا يخفى أن مولد الرسول قد ولد في مرسوس وهي مركز من مراكز الديانة النثرية ، وليس من المستغرب أن تعلق بذهنه بعض مصطلحاتها وعاداتها ، وأن يكون قد تقبل بعضها تبسيراً لإقناع أتباعها بالدعوة الجديدة ، فلم يزل من سياسة التبشير في جميع ادعوات أن تيسر في هذا الباب ما يستطاع تبسيروه ، وقد ظلت هذه السياسة مرمية مدة قرون ، إذ نقل الراهب Bado في تاريخ الكنيسة الإنجليزية خطابه لفريغوري الأول (تاريخه سنة ٦٠١ ميلادية) يستشهد فيه بنصبحة المستنير بالبابوي ملتبس McTaus الذي كان ينهى عن هدم المذابح الوثنية ويرى الإبقاء عليها - وتحويلها من عبادة الشياطين إلى عبادة الإله الحق ، كي يهجر الشعب خضاباً قلبه ويسهل عليه غشيان المعاهد أخرى تعود أوتيادها (١) .

ولا خلاف في تكرار العدد «اثني عشر» في كثير من الديانات ، ولكن تكراره هذا لا يستلزم أن يكون كل معبد به خزانة أو أسطورة غير تاريخية ، وقد كان حليفاً بأصحاب المقارنات والمقالات أن يذكروا هذه الحقيقة بصفة خاصة ، إن أقرب المؤرخين إليهم موتيسوس صاحب تاريخ «القيصرية الاثني عشر» وكلهم من الشخصيات التاريخية ،

(١) كتاب من الوثبة إلى المسيحية في الحقبة الرومانية (المجلد الثاني)

Paganism into Christianity in the Roman Empire by H. de

وفي تاريخ الإسلام تفصيل مذاهب التسمية الأمامية وهم يدينون بالولاء لاشي عشر إماماً معروفين بأسمائهم ليس منهم من يمكن أن يقال فيه إنه شخصية غير تاريخية .

على أن النقاد الذين شكروا في وجود السيد المسيح قد شكوا كذلك في وجود يوشع بن نون وظنوا فيه كما ظنوا في السيد المسيح أنه رمز من رموز الديانات الشمسية لأنه يسير الشجر ويألفها عن مسرها ، ولم يصر إلى علم هذه البداهة أن اسم يوشع بن نون وجد منقوشاً على حجر عند «ومبسيا» بشمال المدينية حيث أقام نصيفيقيون مستعمرتهم (قارة حداثه) التي عرفت قبل بعد باسم ترماجة ، وعلى ذلك الحجر الذي كشف (سنة ١٤٠٠ ميلادية) كنيسة بالفرنقة بقول كاشيما «إننا خرجنا من ديارنا لنجو بأنفسنا من قاطع الطريق برشح بن عي» . وليس كاشيما هذا الكلام عن النسي الأسري بل من ينهون بانحصر في إثبات وجوده ونفى الشبهات عن سيرته وتاريخه

وقد تعجب أصحاب المقارنات والمقالات كثيراً في اصطلاح المذاهب من هه وهناك ولم يكنوا أنفسهم جيداً كما فيما هو أولى بالجهد والاجتهاد ، وهو استخدام المقارنات والمقالات إثباتات سابقة واحدة مطابقة لما يفرضونه عن سنة المسيحية ، فمضى حث في تاريخ الأديان أن أشتاتاً مبعثرة من الشعائر ومراسم تعلق حشاً وتخرج في صورة مذهب مستقل دون أن يعرف أحد كيف تنفقت وكيف انحصرت كل مذهب عن عبادتها الأولى ؟ ومن هو صاحب «نغي» أو صاحب المصلحة في هذه الدعوة ؟ رأى شاهد على وجوده في تاريخ «عامة» «مصاصين» سنة الميلاد ، وكيف برز هذا العامل التاريخي سبباً خطير على حجة فجأة قبل أن ينقضي جبل واحد ؟ ولماذا كان يخفى مصادر شعائر والمراسم الأولى ولا يعنها ؟ لا منسوبة للسيد المسيح ؟

إن استخدام مقارنات والمقالات في تحقيق هذه المسابقة أولى بساخر أديان من كل ما جمعه أو فرقوه ليتنبؤوا به إلى فرض منقطع النظر

على أن صناعة النقد التاريخي تنهد نفسها بالعجز البالغ إذا لم يستعز بمسند على الكلام المروي في تقرير «شخصية القاتل» وتحقيق مكانه من التاريخ ، وبعبارة «دينا» كلام السيد المسيح كما روت الأناجيل نبشاً في هذه الناحية عن كثير

(١) العصر الرابع من السنة ثلاث من مختلف شعائر

فلم يمكن من فصل القول في سفلال فكر إنجيل أو اعتناء بعضها على بعض لتلك علامات واضحة لا يمكن أن يقصدها كاتب الانجيل لأنه علامات تفهيمها أن رفاقا لما درساه من تصور الدعوة النسيجية ، ولم يكن له محل في نفوس الرواة أمشاهين أو الناقين

فإن روايات الانجيل تطابق التطور المعقول من بداية الدعوة إلى نهايتها ، ومن تطور المعقول أن تبدأ الدعوة قومية عنصرية ثم تنتهي إنسانية عالمية ، وأن تبتدئ في تحفظ ومحدمة ثم تنتهي إلى الشدة والمخالفة ، وأن تبتدئ بتقليل من الشدة في شخصية الداعي ثم تتجلى بالثقة التي لا حد لها في نفوس الأتباع والأشباع ، وهكذا كانت الدعوة النسيجية كما رونها الانجيل دون أن يعتمد كتابها تطبيق أحوال التطور أو تلفت أذهانهم إلى معنى تلك الأحوال .

وربما كان أوضح من هذا في الإبانة عن شخصية الداعي أن اقواله تتضمن نقدا لجميع المذاهب التي كانت شائعة في عصره ، وأن هذه الأقوال تشير إلى وجهة نظر واحدة لم يكن لها وجود في غير تلك الشخصية

فالأقوال المسيحية تنتقد الفريسيين ولكنها لا تصدر في مقدمهم عن وجهة نظر الصدوقيين أو السامريين .

وتنتقد أصحاب اليهودين ولكنها لا تصدر في مقدمهم عن وجهة نظر الإباحيين والتحلين

وتنتقد الأسس المنعصبة ولكنها لا تنبذ الفلاسفة أو الأسقريين والزرادشتيين وتنتقد السامريين ولكنها لا ترفض السامرة مطلقا ولا ترفض غيرها من لتحل كل أرفض من جانب محدود

وتستشهد بقول موسى وإبراهيم والأنبياء ولكنها لا تتب كل قول منها متعب لمحاكاة ولا تقتدى بها اقتداء التابع لمقتوع .

وإذا جمعنا هذه النقد حمة واحدة أمكن أن نردها كلها إلى وجهة نظر مفسدة وقوام شخصي مرسوم ، وقد يقع فيها الاستثناء حيث ينبغي أن يقع ، لأن التناقض الذي يجري محرى الأعمال الآلة وثرة واحدة لا يوافق ضمة الدعوات الحقة لمنقذة ، ولا سيما الدعوات في عصر الهدم والبناء والمراعاة والتثبيت

هذه علامات موضوعية لها شأنها الأكبر في الإبانة عن شخصية السيد المسيح وأصدق تلك العلامات ، بعد هذا كله أن الدعوة جاءت في إباننا وفاقا لمطالب زماننا ، بحيث تكون الغريبة أن يخلو الزمن من رسول يقول بالدعوة ويصلح لأمانتها ، لأن الواحد أو رسول وتستغرب أن يكون ، ولو أن مؤلفا بعد ذلك العصر أراد أن يخلق رسولا يرافق رسالته المشهورة لوقف به الخيال دون ذلك التوفيق المطبوع

صورة وصفية

من قدم لصور غوصفية التي حفظت للسيد المسيح صورة تداولها المسيحيون في القرن الرابع وزعم روايتها أنها كتبت بقلم بيليوس نيبولس صديق بيلادس حاكم الجبل من قبل الدولة الرومانية ، رفعتها إلى مجلس الشيوخ الروماني في عصر الميلاء ، وجاء فيها : إنه في هذا الزمن مبر رجل له قري حرقه يسمى يسوع ويدعوه تلاميذه بأبن الله وكان للرجل سمب نيل وقواه بين الاعتراف - فيجب وجهه بالحنان والهمة معا ، فيجب من يراه ويخشاه ، شعرة كوين الخضر مسرح غير محقول . ولكنه في جب الأذن أحد ناع ، وجهه صلت ناعم ، وليس في وجهه شبة ، غير أنه مشرب بنضرة مثيرة ، وميلاء كبا صدق ورحمة ، وليس في لمة ولا أنفه ما يدب ، وعيناه زرقاوان تلمعان بخفف إذا لام أو أنب ، ويبيع محبوب إذا دعا وعنه ، لم يره أحد يخطئ ، وراءه كثيرون يبكي ، وهو طويل له بذان حميلتان مستقيمان ، وكلامه موزن رصن لا ينسج إلى الإطبات ، وملاحظته في مرآة تفوق شعوره في أكثر أحوال

إن هذه الصورة متكون فيها وفي أسنادها التريجية ، ومتبا جميع الروايات التي شارجا النسخ في ذلك العصر أو بعده ، ومنها ما لا يعقل ولا يقبل به إلا أنه مدسوس عن أعداء المسيحية في العصور الأولى ، فنقول بعضهم إنه كان قميص أحمر دمية الصورة ، فإن الشريعة الموسوية كانت تشترط في الكهنه سواء الخن وسلامة الجسم من العيوب ، ولا ترسم لخدمة الدين من يعيب بقص أو تشويه ، فمن غير المعقول أن يتصدى لرسالة من يعاب بالحدب والقامة والنفاء معا ، وأن يخلو الكلام المنسوب إلى خصومه أو أنصاره من الإشارة إلى ذلك في معرض المدح أو معرض العجب ومدارة العيوب الجسدية بالنحاسين أو الوجه

نعم إن الأنبياء في بني إسرائيل لم يكن لهم راسه يرشحهم النبوة بشروط معومة كشرط الكفاة . ولكن اتصاف النبي بالدماة والحدب لا يبقى في مكي الكتمان مع التحذير عنه وعن المشوهين وأصحاب الآفات الذين يبرهنهم وساقون إليه ليشبههم من الشومة والآفة .

وليس في الانجيل إشارة إلى سمات السيد المسيح تصريحاً أو تلميحاً يفهم من بين السطور ولكن يؤخذ من كلام تلاميذ حين رآه لأول مرة أنه رائد المنتم ملكي الشارة . إذ قال له أنت ابن اله . أنت ملك إسرائيل . وأراد المسيح أن يفسد ذلك بأن تحبة يجيب بنا لفتى على حوته . ولكنك على ية حال تحبة لا تنال للأعز ولا للدميم المشنور .

أيضا لا تستغرب ان يقال ان قريته ببطرس كانت محطو قريته ان من ذل
باسم صالح ان يطلب محبة سحوى على مكة الدنيا في خرس ١٠
محرب زينة الحياة ومنهن الغزنى لوانى تسديعين الحبة كرى يد نغ
بها

وشيك أن يتحررها ، وأنه كان يقول لتلاميذه : «نفسى حنة حزينة .. امكثوا هنا معنا واسهروا» . وأنه كان يعت عليه حين لم يمد يدهما على مقربة منه وهو يدعى برهماه وأشجانه ويقول لهم : ما قدرت أن تسهروا معى ساعة واحدة ؟ . ثم قال لهم آخر الأمر وقد هم اقتضاه : الآن ناموا واسهروا !

ليس الإقدام على الجهاد أن تتجرد النفس من ضيقاتها في وجه المخاوف والمخالف ، ونس محطورا على النفس في سبيل ذلك الجهاد أن تأخذ بالحسنة أو تكون ممن تحب وتستمد العون من عصف الحنين ، وإنما المحذور عينا أن تخشى الخطر على الجسد حيث تحب لخشية على الروح ، وفي عمر ذلك لا خشية ولا مخاطرة ولا ملل .

ومن تحصيل الحاصل أن يقال إن السيد المسيح حلو على قطرة أمثاله من أصحاب الرسالات الكبرى الذين لا يتفهمون لحظة عن الرياضة الروحية ، وهذه الرياضة الروحية هي التي تحضهم منذ صباهم عرضة للقلق ، والانتقاب في أعناق ضمايرهم لعلمهم يعرفون مساهمة من الاقترب أو الاستعداد عن طريقه إلى الله ، فهم يشرفون على أمور حيث يستجيبون عن حيث ويعملون إلى ضايرهم في كل حين يحاسبونها على إشرقت أو احتجاب ، ويستجيبون بركة لا يتم يسبحون مع الله الطريق ، ويحسون على أنفسهم باللائمة نارة لا تبتدئ يهيمون بها بارتق من الجاهل والاحتراف عن لواء ، وفيما بين هذا الملق وتلك الإشارة تنبؤ النفس على الرياضة وتتسلل نشات والاستقرار وتتخذ العدة لتقبل والإيمان .

لا ريب أن هذه الرياضة هي التي عاها كتاب الاناجيل بفترة النحرية في البرية حيث تعيش الشياطين . وهذا للشياطين هذا من وساوس عبر وساوس انفيق وصرع الفسة وغواية الضمير بين الإهداء والإحجام ، حيث نعلم أن السيد ساعة ثم تنتحن هذه الضمائية بالنحرية ساعة أخرى ، ثم تعاف النحرية لأنها تسلية بالش حيث ينبغي التسليم بالثقة لأن رسالة الله حفيضة بكل لواء وأهل لكل شئ وكل حراء ، ولكن من لم أتى الضمير ، إلى أن المختار لرسالة الله أو نطلب لبرهان : فمن أين لك أن تصيح من طلب البرهان وبين مسروق الإنسان

وقد يعجب المسيح على هذه المحنة كما يعجب غيرها الأنبياء المرسلون بعد تلق وجهاء وصبر أليم ، ونحسب بعد ذلك كان يعالج القلق من هذا القليل بالتسليم لواقع ، وكان يستلهم الحوادث إرادة العيب حيث يحجب عنه هذه

إرادة ، هيترك الحوادث لغضبي وبعضى معها ويتنظر ما تحكمه المندبر وفي هذه المواقف بعينه أن يحجم ويتهم ضميره بالإحجام من جهة المواقف لذلك مسعد إلى بيت المقدس في أخريات رسالته مرتين : مرة وهو يطلبها من الترحيب ، وتنبهل ، ويرد وهو يدخلها بين انذر والشباب وخباية الأصحاب ،

كانت هذه الخطوات من خطوات التسليم الذي ينطوى فيه حد الاستلقاء واستطلاع خيرا من طلب البرهان وخيرا من التكاس ما لم يكن هناك برهان ، وما قل قائل في أمثال تلك المواقف : ليفعل الله ما يشاء ، إلا وهو يشاء للتقدير أن يظهر من مبرى الحوادث حيث تحرى بها مشيئة الله

في لحظات كهذه اللحظات يعرف الإنسان كله في أعماق مسيره ، ولعل لحظة من تلك اللحظات هي التي قال فيها الناظرون إليه : إنه غاف عن نفسه ، وهي التي صعد فيها لا يحير حرايا لأنه هو ينزق جواب الغيب لينظروا مما عسى أن يكون عما قريب ، أو هي التي أقدم فيها لا يبالى بسلامته وعاقبة أمره ، ولم يكر فكره لاهرا عن استطلاع لعواقب جميعا في موقف من تلك المواقف خاسمة ، ومن المشكة الكبرى كلها في استطلاع العواقب ، قبل وراء لا خدم على العزم إلا بضمان من البرهان ؟

إن أعمال حساب لرسالات لا تلهم على حقيقتها ما لم نضم معنا هذه قاعدة الاسسية في طبيعة الرسل ، وهي أن الشك أخوف ما مخافونه ، وأن شيقاء الإيمان غاية ما يبتغونه ، وكثيرا ما يقدمون على جسد الأمور لأن تسلية أقرب إلى الإيمان ، ولأن الإحجام شل أو امتقار برهان ، والشك يستلزم البرهان بسويان في بعض الأحيان .

وقد توارثت الروايات على أن السيد المصيح كان يبتهل إلى الله في أخريات سالته قائلا : اللهم جنني هذه الكاس ، لكن كما تريد أنت لا كد أريد

وهي هذا الاجتهال مفتاح كل عمل أقدم عليه بعد ذلك ، أو أقدم عليه في مثل هذا الموقف فإنه لم يتجنب الكاس كما يريد بل ترك له أن يجنسه إياها كما أراد ، وموضع التشبه في نفسه الشريفة أن السلامة هي ما يريده ، وأن لكل هو طريقه إلى اجتباب الكاس ، فليكن مسيره إذن في غير هذه الخرق . ولكن التسليم هو طريق الإيمان

الباب الرابع

الدعوة

تجمعت الثروة والكس في - حية وتجمعت الفاقة والتجبد المرهق في - حية أخرى لفروق المسافة في الترف ، وخرق العبد والأرقاء في الشقاء ، ونسجت حساد حلالا ، وحيا

وتحجر نظام المجتمع فتصبح شكلا ومراسم خبوا من المعنى والنعابة ، وتحجرت معه الشراب والقرصن ، لم يكن غريبا أن تنقش على حجرة وأن يرتفع ميزانها في مدى عدالة معصبة العنسن ، وأن تفرغ الكفتان فتستويان لأنهم فارغان !

وتحجرت لعقائد الوثنية في أدوة الرومان وتحجرت العقائد الكندية بين بني إسرائيل فأصبح لمرق الشعرة بين النصب يقيد الحرب الحامية على قدم وساق ، وأصبحت اتقوى عسا بالصوص وبحثا عن مراسم اشريعة ، وعلى المثبر وإن خلتوا عن النعم والتأني

أشكال وقشور ، لا جوهر مثال ولا ثياب

وساعت العلاقة بين الأمة والأمة وبين المانفة والطائفة ، وبلغ الحس يمتونها غايته ، لأن الذين يدعون من سرب يبعثون في سباق واحد وبخمس من لحكة واحد ، فلا فكك من حال

رب انبعا مظاهر سرف بمظاهر حقيقة ، ومن وراء ذلك باطن هراء وضمر حواء ، فلا حرة بكرن خلاصها من غير ، لا يؤمن بشيء كما يؤمن برباسمة الضمير ، ولا تعرف من شيء كمد تعرض عن المظاهر ، ولا يفسق بخلافه كما نضيق بالخلاف على لصوص الحرفاء وفوارق شعرة من هذا التأويل وذلك التحليل

عقيدة قواعبا ان الإيمان خاسر إذا ملك العالم سميره ولقد نفسه ، وأن ملكوت السماء في الضمير وليس من القصير والعروش ، وأن المرء هنا يضميره ويفكر فيه وليس من ساكته وما يشربه وما يلبسه وما يقيمه من صروح المعابد والمعارف

هل كانت الدنيا أمة غير لغة المدمر والتناحر على المظاهر ؟

ومل كان لتلك الأمة خلاص غير من الخلاص ؟

ومل كانت المسيحية إلا المنسة التي تدعي إلى خلاصها من حيث موحى وهيئات لها في غير خلاص ؟

دعوة المسيحية

تواريخ الأديان جميعا تثبت الحقيقة الواضحة التي لا معزى لكتابة التواريخ مع الشك فيها ، ونعنى بالحقيقة الواضحة مراد السنن الكونية في الحوادث الإنسانية الكبرى ، فلا يحدث طير من أطوار ندين أو الدنيا إلا سبقته مقدمات التي تسبق لحدوثه ، وجاء مزيانه في العلم على وهاق لوازمه ونواعيه .

ولست المسيحية شذوذا عن هذه القاعدة ، بل على من أقوى التواهر التي تؤيدها وتسرى في مسراها ، وسرهما ، وسرى بعد الإحاطة بالمصنوع السابقة والفصول التالية أن المنة له تنطق كل الانقطاع بين العصورين وأن المصري القديم كان يلتفت بنظره شبيها شبيها إلى وجه العصر الحديث ، وسرى غير مرة في هذا الكتاب أن الدعوة المسيحية جاءت في إيمانها وفاقا لمطالب زمانها

وليس أقرب إلى ملاء هذه الحقيقة من ملخص صورة العصر كله في كلمات معدودات تحصر بها افاته المارزة ونسقى سمه الأمانات إلى علامها الموكول إلى

فما هي أفة العصر التي برزت في تاريخ وانفتحت علينا أوصاف التاريخيين الذين توقعوا الانقلاب فيه من طرق الدين أو من غير طريق الدين ؟

كانت له امتان بارزتان : إحداهما تحجر الأشكال والأوضاع في الدين والاجتماع ، والأخرى سوء العلاقة بين الأمم والطوائف مع اضطوارها إلى المعيشة المشتركة في بقعة واحدة من اعداء لعمور وعلى الخصوص تلك الأقاليم التي تسمىها اليوم بالشرق الأدنى

تحجرت الأشكال والأوضاع وغلت المدمر على كل شيء ، وتهاافت الناس على حياة القشور دين حياة اللاب ، فكر معاني احياة عندهم سمت رربية وأبهة ومحافل وشارات ، وانتقلت الحضرة من الداخل إلى الخارج أو من النفس إلى الجسد ، كما يحدث دائما في عقاب الحضارات ، تبدأ في عالم الفكر والوجدان ثم تستفيض العمارة فتتبر إلى التجسم والنضج وتفقد من قوة النفس والضمير بمقدار ما تنفس من مظاهر المادة والمال .

ونقصت الأسباب بين الأمم وبين الأعداء ، وأسعد العصر كله
بأنصية في سائر السود والحاكم والمحكوم

لرومانى سيد العالم بحقه ، والإسرائيلى سيد العدل بحق ، واليونانى
ولأسييرى وانصيرى كل منهم سيد الأمم وكل منهم مدال البيحية ، ونحوهم
يخرج العبد من زهرة الأدميين ، والعبد يفتك لسيد عفت الموت ويقتل
نوت على ارق الذى يجمع عليه بين لذل والألم والجور ، وأبداً لأنه لو حدة
ضائف تنسج بيننا التهم وتممها للبغضاء

ويأتى إلى هؤلاء البشر المنظور لماذا يقول لهم إن لم يقل الله أن حبه رب
بنى الإنسان وأنه هو ابن الإنسان ، وأن أحب أفضل لفضائل وأفضل أحب
حب الأعداء ، وأن الكرم أن تعطي فزق ما تسر وأن تعصى مغير سؤال ، وأن
مكوت لسموات لا تفتحها الأموال ، وأن ما لنصير لفيصر وبه لله لله ، وأن
الحسد الذى يتنازع طلابه لا يستحق أن يطلب ، وأن العبد الذى يستحق أن
يحب لا موضع فيه لبراء

ولم يأت هذا البشير فضولاً على غير انتظار ، شاء قومه مواعيد به في ذلك
زمن ، وأبداً الأعداء ينتظرون شيئاً لا يعرفون ، ولكن يعرفون أن زعيمهم لا
يخاف من أحد بل من حوز

حينئذ بعد ذلك ، بعد أن سمعوا من مسرور ، فمروا إلى
في سائر ، وبعد سماعهم إلا ما هم أقرب من غير من محبة ، بل من
غير

ما بعد ذلك لم يفسر فقد كان من مائة كل سنة مسرة ، وبعد
من بعد ذلك لم يفسر به المسرة ولا يستمره ، بل من
والأعداء ، ليس بعد ذلك من حيل واللعن

قد كانت الدعوة صياق الزمن وقد بدأت في أوجها لم تغد ولم تتأخر ، وكفى
من برهاناً على موقعها المسيحية من التاريخ ، فقد كان يذم الناس أنهم
حربوا باطنهم وعمروا ضاههم ، فجاءهم الرضاء الذى يصح ذلك السلام
شارة لا تقالى أن يخرب ظاهراً الدنيا كله إذا سم للإنسان بأمره

وهذه هي دعوة السيد المسيح كما ساقها الرب ورفقها الله الذى لا يفت
فيه ، ونولم تكن هي طلبت يومئذ لم استول عليه قبل أن تنقصى عليه أربعة
فرون

وقد لقيت الدعوة أشد ما يلقى دين من مفوية ، فلا يسمع من هذا أنها
شاعت في العالم إلا تسمى على نزع منه أو على غير حاجة منه ، فإنها
الدين المطلوب هو الدين الذى يدعو سباب قبوله في أسباب رفضه ، وليس هو
الذى يقبله الناس جميعاً طامعين مستسلمين كأنه غنى عنهم ، عوياً به وما من
دعوة قط تسعى من هذا الأمر عن الدعاة

ولقد بصدى رسول الإخاء : سلام لدعوتهم ومن يعلم أنه أخضر الدعوات
وتباً أخضر حدا من دعوة اليقظة ، والقصة ، بل الذى يدعو إلى إخاء يدعو
إلى اقتلاع جذور البغضاء ، وإلى يدعو إلى سلام يدعو إلى تحميم سلاح
الأعداء ، وليس اقتلاع جذور البغضاء بالأمر الهين ، وليس تحميم سلاح
الأعداء علة عالم وليس السبيل إلى ذلك سبيل رضى والوفاء

لهذا كن يقول «جنت الألفى على الأرض نار محبذا لو تم مره ، .. وكان
يسأل تلاميذه وسامعيه » أتحيوننى أقتل لأمن الأرض بسلام ، ثم يبادر
فيقول : كلا ! وإنما هو لصداء والآلة خفيه في البيت يقدم ثلاثة منهم
على النبي ، واثنان على ثلاثة ، تقسم الأب على حه والأبن على أبيه ، وتنقسم
الأم على بنتي والبنت على أمها ، وتنقسم العماد على الكنة والكنة على حماة ،
ولقد كان ذلك كمالاً في سبيل السلام ، كما كان سبيل السلام
ليس من سبيل كيد بكر سبيل ، وسبيل خداع ، بل من سبيل صاحب
لا تنقوا بصدق وأوصد نيك عن مت التى تضحى في حضن ، إن الذين يبيعون
مستبين ، ون لست على أحب ، والكنة على الحماة ، والباسن من أهل
بيته أعداء

ولكن هذه الأقوال ولم شاكلت كذب وصفها لم حوادث ولم تكن نبوة بعد
سيحدث من الشر في سبيل الخير ، وعن البغضاء في سبيل الإخاء ، ومن
لحب سبيل السلام

وقد صحت نبوة لرسول في بنى قومه فامبروه العداء ، لا سبط لدعوه
في الإخاء ويعم به ، فيور السناء « وقد روى عراق في جميع الأرجاء

ومن الواضح أنه كان يؤثر قديمه بالخبر لو ستمعوا إليه وانجروه ، ولكنهم
مسمعون إلى وليمة يرفضونها من خسرانها بغير دعوه فهو أولى بنا ، وكذلك
صوب ليم امثل بولحة العرس وقد أرسل الداعي عبده في طلب ضيوفه ، فقال
هذا إنى اشتريت حفلاً وعلى أن أخرج ضائفة ، .. قال ذلك : انى اشتريت

فانظر هذا هو القائل :

« ايها السامعون أحبوا أعداءكم ، أحسنوا إلى مبغضيك ، باركوا لاعدائكم ،
اعبوا لمن يبغضون إليكم ، من لطمت على خدك الأيمن فحول له الأيسر ، ومن
أخذ رداك فامسحه بوث ، وكل من سالك فاعطه ، ومن أخذ ما في يدك فلا
تطالبه ، وما تريدون أن يصنع الناس لكم فاصنعوه لهم أنتم : وأى فضل لكم
إن أحببتم الذين يحبونكم ؟ إن الخطاة يحبون من يحبهم ، وأى فضل لكم إن
أقرضتم من يردون قرضكم ؟ إن الخطاة ليقترضون من يقارضهم ، بل تحبون
أعداءكم وتحننون وأنتم لا ترجون أجركم . . . »

وقاس هذا هو القائل :

« إن أحضاً أخوت فويكه ، وإن تاب فاعف له ، وإن أضطاً إليك سبع مرات
وتاب إليك سبع مرات فقتل منه توبته . »

وهذا نقيض ذلك :

« هذه الرحمة التي تعم الأعداء والأحياء نفيع البغضاء التي تشمل بها أحب
الناس إلى الناس الآباء والأمهات والأبناء ونوى الرحم والقربى . »

إيماءاً بنقصان غابة المناقص إلا على وجه واحد ، وهو توجيه النظر إلى
قلبة غير القلبة ووجهة غير الوجهة ، وغاية القصوى غير تلك الغاية القصوى التي
تستدبرها

« وإنما أتتكم الطريقان ووجه عليهما ، أن تمضي هنا أو هناك ، فلا جناح عليهما أن
تمضي حيث سددت خطاك ولزكرت نفسك وحملت صليبك وانقلعت عن ثوبك
وما من أحد يئبى أن يحب دونه وأن يحبه دونه إذا ساروا حيث سار
واستقاموا معه حيث استقام ، فليس عن هذا يجري الحديث ولا في هذا موضع
لنصيحة والتفضل ، وإنما يجري الحديث ويستصح النصيح حيث يتعرض
الطريقان ويتناقضان . »

« وإنما يجري الحديث ويستصح النصيح حيث تتقابل القبلتان ، وحيث تمضي
هنا مع الله وتمضي هناك مع ما يورث »

ولا تنقض في هذا التفريق بين نصيحة من تلك النصائح أو آية من تلك
الآيات ، فكلها على سبيل واحد من أول الطريق إلى غايت ، ولهذا الغاية القصوى
ينبغي أن يتحس من يدها بخطاه وثرها بهواه

« وفي مثل من الأمثلة أتى تعمر بها أقوال المسيح عبر لهم عن الموقف كنه
بأن يحسبوا النفقة كلها قبل بناء حجر في البرج الشمع . »

« من منك - وهو يريد أن يبنى برجاً - لا يحسب ليحسب نفقته ، جسم هل
سفيه بلزم تكاليفه ؟ »

فهذا حساب التكاليف جميعاً قبل وضع الحجر الأول في أساس البناء ، وإلا
فلا حجر ولا أساس ولا برج هناك . فخير لمن تغلبه القدرة وتغلبه عفة أن
ترك الأرض والحجر والبناء .

فمن نظر إلى الأرض فرأى شعاعاً تتقاطع ومفارق تختف هليفره عره من
تلك الشعاع وينظر إلى الأفق الذي تنص إليه المركب ، فهناك النلة التي
يتلاقى عندها ما تشعب ، وينتهي إليها ما اعوج أو استقدم من الدروب

ولقد كان المستمعون إلى السيد المسيح ، وأولهم تلاميذه وأتباعه يمجدون
معه لأميرين يرحبوا بالأطفال الصغار وخطاه للمنبوذين المحقرين ، سخرهم
حين رآهم يمدون عنه أطراف القربى وقال لهم

« ادعوا الأطفال يأتوا إلي ولا تمنعهم ، فمن لم يقبل على ملكوت الله طفلاً
فلن يدخل إليه . »

وقال لقود أنقوا أنهم أترار واحتقروا المشهورين بالنزوب : « صد اثنتان
إلى الهيكل يعليان ، فريسي وعشار »

« فذهب الفريسي نراج يقول في صلاته : حمد لك يا إلهي ! إني لست
كسائر هؤلاء : لخافين الظالمين الزناة ، ولا كمثلكم العشار ، صوم في
اليوم مرتين وأؤدي حق العشر عن كل ما أقتنيه . »

« وما العشار فدققت من بعيد لا يشاء أن يرفع عينيه إلى السماء وقرع
صدره ، وأبصر إلى الله : ارحمني يا إلهي أنا الخاطيء . فهبطاً إلى بيتهما هذا
سحاب وندى غير مبرور . »

وتكررت هذه الآية فتكرر معها العجب من المستمعين إليه من أمراء وأعيان
ومن كثر به وحق عليه ، ولو أنهم إذ كانوا يمجدون ذلك العجب قد عرفوا رسالته
واسبقوا قلبه بما أنكروا عليه أن يشخص ببصره إلى بعيد ، وأرى يمد في
يومه ثم يعتد بالرحمة إلى غده ، فإيماء في الغد يوم أولئك الأطفال عرقتهم ،
وأنه يرجي تعديل الحال من لا يعني من الحاضر إلا أن يزول

وجماع القول أن الدعوة الجديدة ، كانت ككل دعوة جديدة غرساً بقضة ما
حويها ، وتكنيا تنفض عنها كل غرائبها ونة انضجها إذا نظرنا إلى خيلة التي
تستقبلها فيناك تلتقي الشعاع ويحسن الصب .

بِعَمَلِهِمْ فِيهِ قَوْلٌ مُنْتَهَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ فَتُكْفَرُوا بِهِ وَلَا تُدْبِرُوا لَهَا أُخْرَىٰ فَكَفَرُوا بِهِيَ سَاءَ الَّذِي يَفْعَلُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٤﴾

وہ ایک ہی سطور پر

[illegible]

وقد نشأ الطفل منذوا البتة وذلك معنى وصله في القرآن الكريم بالحبس ، وكان عليهما بالكتب الدينية ، يسمعا من أبيه ويكثرا في خلواته ، وكان كثير العزة فسيدها على نفسه في تهجده وسكته ، فيما ظهر بالاعود وراه الناس في شوب خشن من الور بلف حقويه بمنطقة من الحلك ، يصوره أكثر الأيام ويقت

نَجَارِبُ الدَّعْوَةِ

استوفت المدة تجربتها في فترة قصيرة لم تتعد أكثر من ثلاث سنوات ، ولكنها كانت كافية . لأنها كانت في الواقع تجربتين ويعتبر . فانه مهم رسولان مختلفان في الطبيعة والطريقه وهما بوجد المعدادان (يحيى المنتسل) وعيسى ابن مريم

كان يوحنا المعمدان مثال الناس الصغار الذي لا يحاسب ولا يتوسد ، ينز
كثيرا ويوثر قليلا ، ويضع الناس على أصر الشجرة ، ولا يمانى أن يلقى به
حضا في الآتون

ولد لشبختين كبيرين بعدد باس ، كلاهما من سلالة الكهانة أبناء هارون : وهما
زكريا وانصابات

وفي إتصل بقوله شرح لقصة هذا نمل في تايحوة الأب والأم هذه فيه أن
 زكريا كان يتولى لخدمة التبتية في موبه قصاته القربة ليعمل الهيك
 وملاق البخور . فحال مكنه في الحصر ب وجمهور المسلمين يترقب ويتعجب
 حتى عاد إيه قصاته لا يتكلم . فعبرا أنه قد حلت به الرؤيا . خسر الحجاب
 ثم روى أنه بصر على عيسى المذبح خلف وقف فاضرب وهره رحلة فقال له
 احمل : لا تخف يا زكريا . إن الله قد جاب سؤالك وسلك أمرت ولم يفسد
 بوحنا وتفرج به ويفرج به كثير من . لأنه بول من بعض أنه مبتد بالروح المر
 وبنو بني إسرائيل إلى العهد . وينتقم بروي إيليا (إلياس) وقت
 وقد ذكرت قصة زكريا في سورة البقرة من القرآن الكريم

فَتَقَرَّبَ إِلَيْهِمَا

فِي رُبِّهِمْ قَوْلٌ مِّنْ لَّدُنْهُ يُفَصِّلُ الْاُمُورَ لَنَسْفِكَهُ الْاِنْسَانُ وَلَٰكِنْ لَا يَشْعُرُ
بِهَيْبَةِ رَبِّهِ وَكَوَنَافٍ مِّنْ عَمَلِهِ لَنَجْذِِبَنَّ عَنْ رَّوْضِهِ لَوْنًا وَلَٰكِن مَّا جَاءَكَ
مِنْهُ لَنَجْذِِبَنَّ عَنْ رَّوْضِهِ لَوْنًا وَلَٰكِن مَّا جَاءَكَ مِنْهُ لَنَجْذِِبَنَّ عَنْ رَّوْضِهِ لَوْنًا

من الجراد والفعلس البري يهيب بالناس في صوت قوي صارم : توبوا واستمعوا . قد وضعت الفأس في رأس الشجرة وكل شجرة لا تأتي بشئ جيد تقطع وتلقى في النار . صوت صارخ من البرية كما قال الانبياء الاقدمون .

ولم يكن يبقى حرج في كلامه عن ذي حطية أو دس . هراج ينحى بهذا الصوت القوي الصراخ على تلك هيرود لأن قروح من هيرودية أخته وزوجها لا يزال يقيد الحياة ، فلما اعتك الملك وجره به لى حفصته لم يسكت ولم يكفف عن التنديد به وأخته وأمره بتطبيقها فراوا من غضب الله

وفي سيرة من سيرات اليهود اتى نعوذ هيرود أن يحبسها في قصره . رفضت بنت أخته (١٦) بين يديه فاستخفه الصرب ووعده أن يعطيها سؤلها كأنها ما كان ، فلم تسال شيئا غير رأس يوحنا في طبق ، وأصررت على طلبها فأعطاهما ما سألت وهو كره . ونجا بغفلة لأن يوحنا كان شديد اللسان على الكهان والفقهاء ، فقتلوا تلك الجريمة بغير تشهير أو اعتراض .

وقد تنكر الكهان والفقهاء للرسول الشائر قس أن متكر لهم . كما يفعل الدينين . المحترفون . عدة ماوعاه الذين لا يتسمون إليهم ولا يعيشون في زميرتهم . فكان يوحنا به يحبهم . به أولئك الافاعي لا ينجس بنخالكم أنكم تسيبون إلى إبراهيم . إيس قول مكرين الله هاجر أن يخرج من هذه الحجرة أثناء لافراهم .

وكانت هذه اول هيجه من لك الرسول لثامر سمع فيها الناس ان الخلاص مفعلة يستعيا الله على من يشاء ولا يحص بها أسماء سلالة . ووساير السلالات البشرية وكنت علامته على قسول المسيح بن لعدت أن يذكر اسم الله ويرثه بدله ويصبح عي رؤوسه فيهم بعد ذلك أهل لدخول في زهرة الناصين وطلاب الخلاص ولو لم يكن لهم سبب نى أن يعقوب وإبراهيم

هذه لعدة الصدمة لدتسا أن صطربت معية الشبهوات وعند الغرور . ولكننا لم نذهب سدى من أفعاء اخرى لا تضبا أهواء السادة . ومن اسم يوحنا مقدسا محبوبا يخلف الأفعاء أن يحزنوا عنه . فلما أراد الكتبة ولناومسيون أن يجرحوا اسم المسيح بالأسنة والمعينات رد عنهم حرجه وقال لهم أجيبوني (أولا) هل كانت رسالة يوحنا من لسياءة من الناس .

(١٦) الشهيرة باسم : - دوس

فلم يستطيعوا جواب لأني إذا اعترف انهموا انفسهم به . أنكرها حسب سعة سعة لضبا مقصود

ولم يزل على مكنة يوحنا من شدة السؤذ الكبير . وهو شديد الحذر من اغضب نوى الراى فقد قال عنه . إيه كان إنسان صالحد أرضي اليهود أن يبي ومن أن يتفر وهذه شهادة من المزيج يردد بها شهادة ف شهادة للرسول رهبانة على نفسه . وقد رت معوة لرسول الص التجريتين المنى مرت بينا معوة لخلصى من عصره . فخرج الدنس ومن يعلم أن معوة لخلصى فاشعة إذا انحصرت من وأن النلاص مرفون بجر بطله . يوحنا من هيرود . ولو لم يكن من

والسيد المسيح ضيعة اخرى غير من زكريا . قلم يكن متنبيا ولا مافر من الناس من كان يمشى مع والضاطين . وكان يشهد الولادة . لاخر من ولم يكن يكره التح التي تصدر من القلب ولو كانت في لغة وكمة فلا ميده ومنفرا وتزمتو فاستكثروا أن مرقى إحدى أسماء طير من طيور بالساير هذا حرج . فذكر أن اخرى بهذا يعطى سم فالحسد فعد عبا لسم عايلكم ترعج بالحبس لففر . فعدك حرة وغدا وست مفك

من حيرة من حيرة وعناد الغرور كد اصطلحت بهد شة اخرى . وقد حمى الس من عصره هذه حكمة وتلك الصمة مقار يوحنا جاءهم قرب فقالوا به من شيعان لسان أكل شرب محب

خرجت من الشرعيتين معه من الشرعيتين معه عمن أعرض عن دعوتها بل دعوتيه . مشد لغيرة نصارمة الاله لغيرة السمحة مرضية . ولو قدر أن تعترف في قبل واحد لا القليل فاستمر معه مسيح باب الله

لرسول الكريم ، وصورة التوبة مائتة في شخص فداء مضيئة جاثية على قدميه ، تسكب عليها الدمع والطيب وتمسحها بغدائر رأسها

ولمقت السيد إس تلميذه إلى السامعين من حوله ، تسألون : كيف يزعم انه نبى ويجهل أنها امرأة خطئة ، فقل : « أنتظر إلى هذه المرأة ! إني دخت بينك قلم مكن لقدمي فيه مسحة من ماء ، ولكنها غسليتي بالدموع ودمحنتها بشعر رأسها ، ولم تمنحني تلبه وهي منذ دخلت لا تكف عن تقبيل رجلي ، ولم تدهن رأسي بزيت ، وهي قد دفت رجلي بالطيب .. ومن أحب كثيرا فخطره لكثير من خطاياها .. »

دعوة صادقة ورحمة مستحسنة لا غر ، يسمع على السريعة الكتاب من سب ، ويخشى التقوى الزائفة على فخرها وكبريائه ، ويرى لمن يفتح بابا للتوبة والرحمة ولا يبالى الأبواب التي تفتح للثمة والعقاب

منذ الخطوة الأولى التي خطاها السيد المسيح في التبشير برسالة أخذ على نفسه أن يعزل السلطة - ويتخلى لها عن مبدأها - فلا يتصدى لها باسطال أو باقواء ، لا يبدلها ولا يدعى لنفسه ولايتها ، وحق لكر معه دبر أن يملك تلك لخرة في زمنه ، فإن - كما نقده - قد نشأ في منا تشكي الكعة من الشرائع والأوامر والنواهي والحكام ولمتحكمين - ما فاض من ربه ، شرايع تملأ مراسم الهيكل وشعاره ومخللاته ومحرماته ، وما فاض من روبة ومن الهيكل ملأه سيطرة هيروية وأبنائه وأذنيه وتابعيه ، ولا حاجة إلى مزيد من الأحكام مع فساد الحكام ، فإذا وجب إصلاح بعضها دلخير من إصلاحه لا يساوى جبه الحرب التي تشنها صائفة ضعيفة على دولة الرومن ، وعلى الدولة اليهودية اليهودية التي تشايح الدوليين وتغير لحسابها بانه حساب هاتين القوتين . ومن المحقق أن الشر الذي يبعث من دم الجب أخضر وأمرح من الخير الذي يتدفق من روائه ، إن نفى ، وقد برز بإصلاح انصمائر ، تديب آداب الإنسانية وتعمم الآحاد أمثلة من الأخلاق تهدي أصحابها حيث نظمهم انشرايع والفوائين

إلا أنه بهذه الحيدة عن طريق السلطة قد ترك ميدانها قلم تشرك له مبدأه ، وسرعان ما أقبلت عليه الجموع حتى أحست السلطة - سلطة الدين قبل كل شيء - بالخطر المقبل من ذلك الداعية المحبوب ، وكث داعية محارب خطر على سلطة العقائد والجمود .

جاءوا في ميدانه بعد أن ترك لهم ميدانهم ، ووقع الاشتباال الذي لا منه بين سلطة شعارها الحبالة في الآتبه والبحث عن المخالفات والعفريات ، وبين دعوة شعارها نسيو التوبة الخاصين وتميد سبل الزهراء في الغفران

كان التبشير بالغفران والتوبة أكبر ذنوب الله على الجديد ، لأن الخطايا والعقوبات بضاعة السلطان القائم ، وهي على كونها مصلحة مريضة ، باب للفخر والكبرياء

فصاروا يسوقونه إلى حيث أبى أن يساق ، وكان مهم الأكبر أن يجتروا عليه أنه يبطل شريعة أو ينصدي لتبليد ذريعة ، فأعتوا عقولهم في ليحت عن المشكلات والأفاز التي يعنى فيها بما يخالف لشريعة الدسة أو القوانين السياسية ، أو يفتي فيها بما يخالف آداب الرحمة وروبابا السماحة والإصلاح

برز له مرة واحد من جموع السامعين فقال له : أيها المعلم - مر أخى يقدسمنى الميراث ... وظن أنه يتولى هنا سلطة انقسام بحق الكرامة على تلاميذه ومستعبيه ، فما زاد على أن قال : أنها الإنسان ، من أفاضنى عليكما قاضيا أو حشيا ؟

وتعمدوا وهو على الهيكل أن يصحروه إلى موقف الحكم أو إنكار الشريعة فاقتمع عليه الكبة والفريسيون وروسه ودهم امرأة يدفعونها إلى وسط الحلة ، وراحوا يتصايحون : أيها المعلم - هذه امرأة أخذت وهي تزنى ، قد أوصانا موسى أن نرحم الزانية ، فماذا تقول أنت ؟

ماذا تقول هو ؟ ما دلهم سلكونه ويستأذنونوه وهو لا يملك أن يمنعهم لو ذهبوا بها إلى قصباتها ؟ .. إن الشوك مكشوف على وجه الأرض وليس منه مخرج فيما حشوا وخمنوا ... إن قال أرجعوها فلك حل أولاية برعيه ، وإن قال أطلقوها فلك شريعة موسى ينكره في قلب الهيكل ، فكيف الخلاص من جانبى الشوك ولو أنه مكشوف معروف

سوق إلى ضهم كل خاطر إلا أنه ينتهى من القضية إلى حل لا يدعى به السلطة ولا ينكرها ، ولا ينساق فيه إلى محاملة الرباء بالدين والكبرياء بالتقوى ، ولشوا يترقمون ولا سرون كيف يخرج من المأزق الذي دفعوه إليه ، وهو يستمع إليهم ويخط بأسمعه على الأرض حتى فرغوا من جلبتهم وسؤالهم ، فوقف قائما ورد عليهم ربايعهم في وجوههم وكسر الشوك قدميه من كلا طرفه ، وهو يقول لهم : .. من كان منكم بلا خطيئة فليقدم وليرميها بحجر .

لا يتقش شريعة موسى ولا يدعى تلميذها ولا يجعل رياسهم بل مدعهم هم
يحاوون الخلاص من العبرة والخجل بالروغان

وبقيت المرأة المسكينة واقفة وحدها أمامه . فسأها سؤل العرف : أين
المسكين ملك ؟ أما دانت أحد ؟ ... فقالت : لا أحد أبنا السيد . فأرسلها وهو
يقول : ولا أنا أدبتك . فاذمبي ولا تخطئي

نعم . لا بد منها ولا يحسب عليه أنه لا يدينها في تلك القضية ولو كان هو
قاضيا . لأن القاضي لا يدين بغير شكوى . وبغير شهود وبغير بينة .

وتناول مسألة الزواج والطلاق وقد بلغ من سهولتهما في ذلك العصر أن
تتصدع الأسرة وأن تصبح الزوجة أضياع من الخلية في عرف قومها . فقال إن
الزواج ولزوجة جسد واحد لا يفصلهما الإنسان وقد جمعهما الله . ومن خلق
امراته إلا لعل الزنا دفعها إلى الزنا . ومن تزوج مطقة فإنه زان .

ولم نحدث مناوشة قط من هذا القبيل بينه وبين التقيين من متحدى العلم
صناعة وأحيولة إلا ارتدوا منها ملحمين . وخرج منها مجسدا أحسن جواب بل
أكرم جواب

فلم يصعب عليه أن يحكم . الشرك السياسي . الذي نصيروه له ليسموا منه
إشارة بإعطاء الحرية أو بعضها للدولة . وأراهم أنه يتعاملون بنقد قبصر
ويكتفون منها الثروة والمال . فلماذا لا يعطون ما ينقص لتبصر وما له ؟

ولم يصعب عليه أن يسكت الصدوقيين والفريسيين معا والأونان سكرون
البعث والآخرين يؤمنون بأجساديا وروحيا على السواء . فلما قل له من شريعة
موسى توصي الأخ أن يبنى بزوجة أخيه المتوفى حفظ للأسرة . وسأله لمن
توول في يوم القيامة زوجا تعاقبها سبعة أخوة . أخبر إليه أنه إن يستطيع أن
يجيب على هذا السؤال جوابا يرضى الصدوقيين أو يرضى الفريسيين . فكان
جوابه مفحما للؤلاء وهؤلاء . لأن الأحياء في العاك الآخر لا يتزاجون زواج
هذا العالم . ولا يتناسلون :

والحق أن الأناجيل لا تروى لنا من هذه المساجلات إلا ما شهد أمثاله اليوم
في كل درس من الدروس لعامة يتصدى فيه المتعالمون انتمهتقان لتعجز
المعلمين والوعاظ . وإن اغتلتل أحقاد من أسئلة تسألين في كل حلقة على
حسب الموضوع والموضوع :

ولحق أن قدرة السيد المسيح على ردود سريعة وأجوبة المستهتة لبي
دليل آخر إلى جانب أدلة كثيرة على الشخصية التاريخية . وسواء
المتأصلة . لأنها قدرة من وراء صفة التلاميذ والمتبعين . بل هم يروون ولا
يقضون إلى أنه اموات عنها في سياسة الإسكندرية المسيحية . من هذه
الرسالة قدمة على جنتاب التشريع وحتاب تخمضه بالإبطال أو لا .
ووجنتها على الزوا . أنها لا تدعى سلطة من سلطات الدنيا والدين . ولا ملكة
المسيح من غير هذا العام وليست من مداب النول والحكمات . كما قال
لكيان الهيكل وكذب قال ليهلاص حكمه الرومان . وعلى ذلك جرى سيرة في
كل أمر وفي كل معيضة . فهو أسلوب الأدب والنثر لعلميا ولرساوس
النصوص والنواين . وكلامه عن زنى المعصية وعن زنى العين التي نفع إذا
نظرت بظرة استجب . وعن خطية السر التي تخطع بنا وتعب في العشر . لا
يحمه أحد على محمل التشريع وليس في ذلك الله سبحانه كفه في رسله ما
بحر به محروى الإلزام . ومع هذا غلب على الرواية من بحسه تشريد منصوبا
بحروقه . وقل من الرواية من لرق في فهمه بين أسلوب الشريعة المنصوبة
بحروفها وأسلوب آداب الإنسانية لم يرتفع إلى أكمل فالأكمل وظل إلى
الحالي من وراء الخفا . ويرجع الأمر ميب إلى غير بحاسب حاسبه ولا
يرجع إلى غير جيل عينا . وحر في الصور ليس فيها بواعث . نسياء
ولو خلصت هذه المسائل إلى ما يعجب جسد كد عذاب السيد المسيح لما
ثبتت له كما شئت من اختلاف العهد والذيل

ضبه وير الإنسان ما دام للضمير وحيد ، فلن يزال قائما - كما قال اسيد المسيح - ما قامت الأرض والسموات .

ولقد كمل لمسيح شريعة التاموس حقا لأنه جاء بسرعة الحب ، وفي زيادة عليه .

إن التاموس عهد على الإنسان بفضاء الواجب . أما الحب فيزيد على الواجب ، ولا ينتظر الأمر ولا ينتظر الجزاء .

الحب لا يحاسب بالحروف والشروط ، والحب لا يعامل الناس بالهكول والضيور ، ولكن يفعل ما يطلب منه ويزيد عليه ، وهو مستريح إلى العطاء غير متطلع إلى الجزاء .

بهذه الشريعة - شريعة الحب - نقض المسيح كل حرف في شريعة الأشكال والطواهر .

وبهذه اشريعة - شريعة الحب - رفع للتاموس صرحا يضاوّل السماء ، وثبت له أساسا يستقر في الأعماق .

وبهذه الشريعة - شريعة الحب - قضى على شريعة الكبرياء والرب ، وعلم الناس أن الوصايا الإلهية لم تجعل لزهو والدعوى والشيء بالنفس ووصم الآخرين بالتهمة والذنب ، ولكنها جعلت لحساب تقيت قبل حساب عمرك ، وللطيف على الناس بالرحمة والمعذرة ، لا لاقتناس الزلات وسنخلاء العيوب . وفي اعتقادنا أن شخصية السيد المسيح تم تثبت وجودها التاريخي وجلالها الأبدى بحقيقة من حقائق الواقع كما أثبتنا بوصايا هذه الشريعة شريعة الحب والضمير .

فكل كلمة قيلت في هذه الوصايا فهي الكلمة التي ينبغي أن يقال ، وكل مناسبة رويت فهي المناسبة التي تقع في الخدم ولا نصل إليها شبهة الاختلاق .

يلزم في شريعة الكبرياء من يتخذ الدين سبيلا إلى المعالي على الآخرين ، ويلزم في شريعة الحب من يفرل لذلك المتعالي على غيره المتفاني بنفسه . لماذا ننظر إلى اخذ في عين أخيك ولا ننظر إلى اخشاة في عينك .

يلزم في شريعة الفرج بالعقاب واسعى وراء العورات من يسوق المرأة الخاطئة في المراكب ويخف إلى موقف الرحم كتما مخف إلى محافل الأعراس ،

ويلزم في شريعة الحب من ينهى ذلك الجمع المناق وبكشف له ويأمر بجرده إلى الحياة ، وقد ارتد إلى الحياء حين سبب السيد فتاده . من لم يحصا منك فليرسها بحجر .

ويلزم في شريعة الرياء والكبرياء أن يفخر المصلي بصلاته وأن يعلن الصائم من صيامه ويتخذ رياء بدم عليه بعنونه وضجره - ويلزم في شريعة الحب من ينهى الناس عن صلاة الرياء وصيام الرياء لأنهم يحبون أن يحملوا ذنوبهم في المحامع وفي زوايا الشوارع . ومتى صصم أسد فلا تكونوا شابين كالمرائن ، فأنهم يفسرون وجوههم ليظهروا للناس صيامهم فقد ستوفوا أجرهم فلا أحر لهم . وأما أنتم فمتى صصتم فادفنوا رؤوسكم واغسلوا وجوهكم ، لا يضير صباكم للناس بل لأنكم تظن في الصدور .

يلزم في شريعة الرياء والكبرياء أن يفخر المعطي بالعطاء وأن يستصير به على الفقراء ، وأن يصوت قدامه بالأبواق ويعن صدقته في ثمرته والأسرى ، ويلزم في شريعة الحب أن تسر أعمال الحسنيين ، فلا تعلم أشمال ما تفعل البسين .

في شريعة الكبرياء ، ينفي المنكر لمواه ليتكبر بنا على المذنبين ويلوم المورث المصح له بجلسي مع الشارين والضطاء وفي شريعة الحب والضمير يقل للترفيعين بنفوسه ما ينبغي أن يقال لهم : بنا يحتاج الرضى إلى الطبيب وإنه يكون بحسبى أمر يغفر .

وقد بلغت لسة - نظائر والأشكال غائتيا وطعت من الهيكل إلى الميت ، ومن المكتب إلى السوق ، ومن المنزلة إلى المائدة - حتى لفعة الطعام أصبحت لا محل أو تحريم إلا بمقدار ما ترى غشا من الأوزاء والعزائم ، وما تحاط به من الشعائر والمراسم ، وما يرسد الكبان من أحكة الديانج والولائد ، فحق بصضم هذا عالم الموامر وعالم الضمير ، وبحق نقدر لمتطهرين بغسل الأيدي والتأولة على لقم الضعاء وصحاف المائدة : إن ما يدعى الخد لا يدنس الضمير ، وإن السر إسما بحري من القلب الذي به الشر والزور والفسوق والكفران .

* * *

ومحمل القول أن الخير كله كان في حكم شريعة لنوامر والأشكال ، شريعة لكبرياء والرياء ، مساة - امتياز رسمي - يحتكره أصحابه بفضل السلالة والعصر ويرجع الأمر فيه إلى الموروثات والمثورات

فالفضل بين الأمم « امتياز وسمي » مشترك لإمرئيين لأنهم أبناء إمرهم ،
والفضل بين الإسرائيليين « امتياز وسمي » مشترك لأبناء هارون وأبناء لاوي
أصحاب الكهانة بحق النسب والميراث ، والفخر في الدين والعلم حرفة
مستكرها لكتبة والناموسيين أوفقياء ذلك الزمان ، بر كادت محبة الله لشعبه
للمستأثر أن يكون « وثيقة في صدق مرسوم » تضمن الإشارة لذلك الشعب وإن
مبعت به أعماله دون سائر الشعوب . . . فلا لأنكم كثر الشعوب لازمكم الرب
واختاركم فإنكم أقل من سائر الشعوب ، بل هي محبته وحفظه القسم الذي
عاهد عليه أبائكم .

فلما قامت الدعوة المسيحية بطريقة الحب والضمير كانت كلمتها هي الكلمة
التي تقال في كل ما ادعوه ، وما استأثروا به واحتكروه .

ليس الخير حكرا للنسب والصلابة ، بل الذي يعبر بمشيشة الله هو أخى
وأختى وأسى . . . إن كثيرين يأتون من العشائيق والصلاب وينكثون مع
إبراهيم وإسحاق ويعقوب على أرائك الملوك ، وأما بنو الملوك فيطرحون إلى
سبيله بلدر . . .

وإنما الرحمة عمل ، لا نسبة ولا حرفة . . . وضرب نيم مثلا : إنسانا خرج
عليه النصوص في الطريق فلبسه وضربوه وتركوه بين الحياة والموت ، وعبر
به كاهن فأنقذه ومضى في طريقه وجاء لاوي فمضى ولم يلتفت إليه . ولكن
سامريا رآه فأنطلق عليه وصعد جراحه وأركبه على دابته وأتى به إلى فندق
وأولاه عناية ثم أخرج لصاحب الفندق عند سفره دينارين ليشفها عليه ويعسى به
ومهما يتفق عليه فهو موفيه عند مرجعه . . . قال السيد المسيح لتلاميذه وقد
ضرب لهم هذا المثل : « أي هؤلاء الثلاثة أقرب إلى ذلك الصريح الجريح ؟ »
والجواب الذي لا خلاف عليه بدهة أن السامري النبؤ أقرب إليه من أبناء
هارون ومن اللاويين المصطلين !

وداح يجب فطاحل العلماء التيايين بما علموه وحفظوا وتفننوا فيه من الفاز
اللقا وأحاجي الشريعة ، فقال لهم : إن الدين بما تعمل لا بما تعلم . . . حذر
أنتباعه ومريدية أن يقتدوا بهم في عملهم وأن يدعوا مثل دعواهم . . . لأنهم
يمزجون الأرفار ويسومون الناس أن يحملوها على عوقتهم ولا يمدون إليها
أصبعاً يزعزحونها ، وإنما يعملون عملهم كله لينظر الناس إليهم ، يعرضون
عصانبيهم ويظنون أهداب ثيابهم ، ويمسئون بالمسك الأبل في الولائم

والمجالس الأولى في المجامع ، ويبتمنون التحيات في الأسراق وأن يقال لهم :
سسى سسى حيث سسون . . .

ثم بهلف بثلاث السالقين لتياهين ، أيها القادة اعيان الذين وحسين
على البعوضة ويبتمنون الجبل . . . إنكم تتقون ظاهر الكثر والصحفة وقد في
الباضن مترعان بأرجس والساعة . . . بل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون -
إنكم كالغبر المبيضة ، خارجها طلاء جميل وداخلها عظام نخرة . . .

ولما تعاملوا عليه بالأسنة عن أسرار نكت والغاز ففرائض والاصبا ،
وسكروه أيما أعف في التاموس ؟ حسوا أنه سيتقب بين السطور ويضيل
البحث بين الأسرار والألف ، ولكنه ترك السطور والنصوص وجمع إله الذين
كله والكتب جميعا في كلدت معدوات : . . . أن تحب ربك بجماع قلبك وعن كل
نفس وفكر ، وأن تحب رسل كما تحب نفسك . . .

هذا كل ما يلزم العابد اصالح أن يحجب من القماض والأوراق ، ولا تكون
العقوى أنه يهدر الرائض والأحكام وأنه يستمع ما لا يباح ، بل لعله يتشدد
حيث يفرض النصوسين والحرابين . كما يشدد الإنسان حيث يحاسب
ضميره بصنع في سبيل حب ما لا يصنع في سبيل تواجب ، وكل ما هناك
أن تصبغ الفضيل رضى غس وحساب ضمير ، ولا يصبغ فصارات وحي
القانون وحساب نصوك والشروط ، وسالط الوجودان من بين السطور
والحروف

لا جره كانت شريعة حب والضمير أشد وأخرج من شريعة النواظر
والاشكال ، لأن الضمير موكل بالنيات والخواطر قبل الأفعال والوقوع ، ولأنه
حاسب صاحب عى فسد ، ولا يتركه حتى يعفى ، يحصر أو يبر

• قبل للمقدمات لا قبل ومن يقتل وحب عى العتاب ، أما أنا فأقول لكم إن من
يفضب على أخيه باطلا يته ويهزى . . . فإن قدمت قربانك وذكرتك حقا لأخيك
عليك ، فذع قربانك أمام التعبج وادفع قربانك فصالح أخاك . . .

• وقيل للمقدمات لا تزن ، أما أنا فأقول لكم إن من ينظر إلى امرأة فيشتهيها
فقد زنى بها في قلبه ، فإن كانت عيتك ليعنى تلقى يث في العثرت فاعلمها
ولها عك فخير لك أن يسك عضو لك من أن تهلك كلك . . .

• وقيل للمقدمات لا تتحدث . . . وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا . . . وليكن كلامكم كله
نعم نعم . لا لا . وما زاد على ذلك فهو من الشيطان . . .

« وسمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن ، وأما أنا فاقول لكم لا تقابلوا الشر بالشر ، ومن لطمك على خدك الأيمن فحول له الأيسر .. ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه مبلتين .. »

« وسمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عنيك . وأما أنا فاقول لكم أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيك . وادعوا لمن يبغضك إليه ويضربك . لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات ، فإنه يهلك شعبه على الأشرار والصالحين ويرسل غيثه للأزوار والنظالمين . وأنى أجر لكم إن أحببتم من يحبسونكم . اليس المشارون بفعلهم ذلك ؟ فتسلطوا أنتم بالكمال ، فإن الله كامل .. بحسب الكمال . »

هذه شريعة تهدم كل عرف قائم ونصف بكل شكل ظاهر . ولكنها لا تهدم الناموس ولا تعصف بركن من أركانه ، وقد تريد فرائضه ولا تتلمس حرفه . حيث تنقلها من الأوراق ومناظر العيان إلى الضمائر والقلوب . لأن الإنسان بحسب نفسه إذا أحب حماساً لا تتركه الشرائع ولا يطع عليه القضاء .

وقد كان المصطدم بين اشريعتين حيث يتوقع وكما يتوقع . وكان السجال بينهما هو السجال الذي تمليه شريعة الحب والضمير وشريعة الظواهر والأشكال . ولم تسقط من ذلك السجال كنية كانت منظورة من وعاء الرب والكبرياء . ولم يكن الجواب على كلما منه عرضاً غير مقصور في رغبته أو جزأاً بقوله كل قائل ويترى لغير مناسبة . ومن ثم نقول إن الشخصية التاريخية والدعوة المتناسقة لم تثبتا ببرهان صدق من هذا البرهان . وأن المصطدم بين الشريعتين لا يختلف المصطلق إن شاء . لأنه من وراء طاقة السجاسة بلحق بطبيعة اشريعتين : شريعة الحب والضمير وشريعة الرياء والكبرياء . ريدفع بهما حيث تتدفعان ويملي عليهما ما تسألان عنه وما تجيبان .

تلك معالم واضحة ومقاصد بمنة معروفة المنحى . فإذا وقع النبس مرة فليس أيسر من الحسم في مواضع النبس على نوى النية الحسنة . فكل ما وانق شريعة الحب والضمير وخاف شريعة الظواهر والأشكال فهو هنا . وكل ما مشى في سبيل الظواهر والأشكال وأعرض عن سبيل الحب والضمير فهو هناك . ولن يطول النبس في معنى من معاني السيد المسيح إلا على عهد الوثنية والتخصيص . وليس من الإنصاف إلا من حسن الظنهم أن يحكم الألام والنصوص في الدعوة التي تزيدها وترجع بكل شيء إلى مقاصد الحب والضمير . ذلك كما قال السيد المسيح هو وضع الخمر الحديدية في الرق القديم أو وضع الرقعة القشبية على الثوب الرديء

آداب حياة

كان « أوريجين » فيلسوف ملحد الكافة في تاريخ الفلسفة والديانة المسيحية . وصرى كثيرون أنه كبر المفكرين الذين نبغوا بين القرن الثاني والثالث للميلاد . ومن لم يره كذلك فلا خلاف عنه في حساسات بين ثلاثة أو أربعة من كبار المفكرين في عصره . غير مستثنى منهم أساتذته الأولون .

هذا الرجل قرأ في شابه قول السيد المسيح أن أناساً يخصصهم الله وأناساً يخصصهم الناس وأناساً يخصصون أنفسهم في سبيل الله . فحمله على معناه الحرفي وحسب نفسه ليقدم به ذلك على تعليم النساء وهو آمن . ولكنه أدرك خطئه بعد ذلك وعاد عن هذا التهم الحرفي لأقوال السيد المسيح

إلا أن توت هذه الرواية في سيرة رجل من أعلام زمانه يبطل العجب من روايات كثيرة بقيت من أخبار الدعوة المسيحية في عصرها الأول . فقد كان الرجل منقاً عنه إن علم أنه نظرت في امرأة نظرة اشتهاه . وكان يصنع حسده مسخاً إذا وادته التغيرات . حتى لينسقط منه الدود وهو بقية الحياة . فإذا كان شاب في ذكاه « أوريجين » وقوة فطنته يقهم العصاة المسيحية على هذا الوجه . فلا عجب أن يتبع هذا التهم بين طائفة من البسطاء الذين لا يبلغون مبلغه في الفطنة والدرية

لكن « أوريجين » نفسه قد عدل عن خطئه بعد زمن كد أسلفنا . وسيفه وحاء بعده أدنى من طبقته أيقنوا أن السيد المسيح قصد المعاني ولم يقصد الحروف حين أوصى بكف الأعضاء عن نزغات الجسد . ثم يعن بطق العين إلا ما تعنيه بقطع النسان حيث يريد به السمكوت أو الإسكات . ولم يعن بقطع الجسد إلا ما تعنيه بقطع الرياضة والتربية . وكان كلمت الإسكندري يقلل بحق إن السيد المسيح لا يعني بنيد الدل أن ترفضه بتأتاً في جميع الأحوال . إلا لم يكن لإحسان قصيلة من أكبر انفضاض في الوصايا المسيحية . وجاء القديس أوغسطين بعد ذلك فنفى أن الدين يوجب الزهد على كل أحد . مع استحسانه الزهد لمن يقدر عنه

إلا أن الخلاف على فهم وصايا المسيح لم يزل قائماً بيد تفسيرها على هذا الوجه مرات في أقوال حكماء المسيحية ، ولا يزال هذا الخلاف قائماً إلى عصرنا هذا هي الوصايا التي تدير على رفض الحياة خاصة ، وغير قليل من المتأولين ينحروا منحى الدكتور « شويتزر » Schweitzer الذي يرى أن السيد المسيح قد أوصى الناس بتك الوصايا لاعتقاده أن الساعة قريبة ، وأن الدنيا التي ينجرونها مفضى عليها بالفناء في مدى سنوات ، فكر ما أوصى به الناس فالمفهوم منه أنهم على سفر وأن الزاد للعالم الآخر من غير هذا الزاد الذي بدخره المدخرون لدينا الزائدة .

وفي اعتقاده أنه لا محل لخلاف على الوصايا التي أحبها السيد المسيح للتلاميذ ورسلا المتجربين نشر الدعوة ، فإن كل دعوة في عصر المسيح أو في عصرنا هذا ، وفي جهاد الدين أو جهاد الدنيا ، تحتاج من الدعاة إلى مثل ذلك التجرد ومثل ذلك الانتعاش عن الشؤون الأخرى ، ونظام فرق الغذاء في الجيوش الحديثة معلوم لا خلاف عليه ، وأول أحكامه أن يفكر الجندي المجهد في الموت قبل تفكيره في الحياة .

إنما الخلاف على الوصايا حين تتجه إلى غير التلاميذ والرسل : إلى أبناء الدنيا الذين يعيشون فيها ويمثلون لأنفسهم ولعن مدلولهم من أبنائهم وذويهم ، قبل يطلب من هؤلاء جميعاً أن ينقصوا عن شهواتهم ويرفضوا حياةهم ويتشبّهوا بالصير والنبات في اعتمادهم على الغذاء والكساء ؟

أقول حقاً إنني أفهم وصايا السيد المسيح جميعاً ولا أجد في فهمها صعوبة على الإطلاق إذا أنكرنا الجور على الحروف والنصوص كما كان ينكرها على السلام ، وإذا علمنا أنه عليه السلام قد قال كل شيء حين قال ولخص حكيمته كله في هذا القول : « ليس الإنسان للسبب ، وإنما السبب للإنسان »

لقد كان هم السيد المسيح في الإصلاح النفسي تغيير البواعث لا تغيير المقادير .

كان همه أن ينقل الآداب من محور إلى محور ، ولائمة للمسافات ولا للأبعاد إذا كان انتقال المحور هو المقصود .

كانت العروض هي المحور الذي تدور عليه حياة الأمم والأفراد في عصره فوجب أن يكون الجوهر الصميم هو محور الحياة .

كانت الأشياء « مقننة » على النفس الإنسانية ، فوجب أن تكون النفس إنسانية مقدمة على الأشياء .

وجب أن يكون روح النفس الإنسانية هو الغنيمة الكبرى ، لأن من ربح فلا جناح عليه أن يضر العالم .

وإذا كان « انحطام » هو محور الحياة فسيبان الكثير والقليل : سين من يطلب الدرهم الواحد ومن يطلب ملايين الدراهم ، فكلاهما مذاره خطأ وسعي عقيم .

إذا كانت « الشهوة » هي محور الحياة فسيبان من يشتهي بهيمة ومن يهود وية ود ويسهر وينام في طلب اللذة والقواية ، فكلاهما فارغ لهذا المحور متى يدور عليه .

ولكننا نتقل المحور ، أو ننقل القبة كما أسلفنا في فصل سابق ، فينتقل كل شيء ويغير الباب لأصبل من كل خلق .

إذا أصبح كسب النفس الإنسانية - كسب المحور - هو غاية الحياة فلماذا يملك الملايين زائد كل ذي يملك العشرات والذي لا يملك شيئاً من الأند ؟

إذا تغير المحور فمساها الفرمخ والميل كمسافة الشبر والقيراط .

وإذا بقي المحور فالبعيد كالقريب والقريب كالبعيد .

وتغيير المحور هو الذي عناء السيد المسيح .

وتغيير المحور لازماً في ذلك العصر ، لازم في هذا العصر ، لازم في كل عصر ينحرف عنه التجرد عن سوائه ، ولهذا كانت رسالة السيد المسيح توجب الرسائل . ولم تكن آخر الرسائل في الحياة الإنسانية .

لهذا نفتقد أن السيد المسيح كان يغير المحور تغييراً آخر لو أنه حضر الدني بعد عصره ببضعة أجيال ، ورأى الناس يفرنون في تعذيب الجسد ويفرحون بإطعامه لثود ، هم بقيد الحياة

بل لا حاجة بنا إلى الفرض هنا أو الاحتمال الذي يقبل الخلاف . فإن المسيح قد غير المحور هذا التعبير في زمانه : غيره حين إنفاق أمانته في عطر تسمع به قدامه . وحين قبل أن يشهد الأعراس ويضرب المثل لاتباعه في أفراح الحياة . وفي برعة كل فرح يأتي من القلب وسر لجسد ولا يحزن الروح .

وما كان الإصلاح في الدماء الكبرى قطه مسافة مقادير ومسافات : أنت تذهب نفسك لتكثر مليوناً فحسبك أن تهلك نفسك لتكثر عشرة آلاف ، ولا تريد

أنت تتبهاك على جميع المذات في جميع الأوقات ، لهذا طيبا أياما في
الأسبوع ، أو تهاك على بعض أيامها في جميع الأيام

أنت مشغول الدهن بالعنوان والمفضاء فاشتغل بهما قليلا ولا تجعلهما شغلا
شاملا يغير انقطاع

كلا . لم يكن الإصلاح في الدعوات الكبرى قط مسألة مفادير ومضافات ،
وإنما كان على الوام مسألة محور . بنقل ، أو مسألة . باعث . بتفكير ،
وعلى استيلاء بعد ذلك أن تعرف شامها في مساقاتها ومقاديرها ، حتى يبلغ به
الانحراف . عاينه فتعود أو يعاد بها إلى محورها الذي انخرقت عنه أو إلى محور
جديد

إنني لا تنصف السيد المسيح بل تنصف أنفسنا حين نعتقد أنه كان يدرك ما
يقول وهو يقول : « من أخذ منك رداك فاعطه فميصك مع الرداء »

أترى السيد المسيح كان يفوته أن الرداء والقميص اللذين يعطيتهما المعلم
هما الرداء والقميص اللذان يأخذهما ، لأحد أو يسلبهما السالب ؟

كلا . ما كان يفوته ذلك ولا رب ، ولا أدنى رب .

ويكن انفس الإنسانية هي انقصود . وليس انقصود هو الرداء والقميص

المقصود هو أن ترفع النفس الإنسانية فوق أشياءها . بمثل من الأمثلة
يصح أن يكون هذا المثل ويصح أن يكون مثلا مواء

ممكن أن يكون هذا المثل ويصح أن يكون مثلا مواء . نعم ، لا شيء
يعطي يفقد سيد ولا ملك يستحق

وليس كذلك من يعطي لأنه يريد العطاء . إنه يكسب ما أعطاه ولا يضيعه
لأن غير النفس يقاس بما تعضيه ، وغير السيد يقاس بما يأخذه ، ومن كان لا
يبالي أن يعطي العالم كله ليربح نفسه فأخلق به أن يربح نفسه بقليل من العطاء

أ . السيد المسيح أن يعد لأشياء سيدا واحدا ، ولا يعد سيدين ، وهذا
مفهوم

فمن يملك أموال الدنيا غير عاهد للعدل فلا جناح عليه ،

ومن يعبد الله ويستعبد المال فلا جناح عليه

ومن حاول غير ذلك فهو غير مستطیع ، وليس قهساره أنه غير مشكور أو غير

الحار

ونحسب أن انتهى عن عبادة سيدين قد أقام الحد واضحا سهلا في ما هو
مباح وما هو محظور في طلب الدنيا ومناعها وزيتها . فلا حرج على إنسان
يملك المال الغريز وهو لا يعبد لئال ولا يقصد غنسه قريبا على ملكه ولا
نجاة لإنسان ينت درهمين ولا ينالهما بغير عبادة لئال

ويحسن بنا على الجملة أن نذكر أن السيد المسيح لم يقصد إقامة مجتمع
في مكان محتج . ولكنه قصد إلى تهذيب آداب إنسانية يعتصم به سير الفرد
وضمير الأمة ، وأقامها على أساس واضح في وصايا متعددة لا تضارب فيها

فالجسم أغص من الطعام واللباس

والإنسان أفضل من السبت

وغنمة النفس أروح من غنمة العالم .

وممكنة الضمير في قرارة كل إنسان أبقي من بدت العروش والتجدي

وبساطة الإله أن أصلح من حذافة العلماء والخدم . ولولا هذه الحذافة لما
استقصى على أحد أن يفهم ما يسمع من وصايا السيد المسيح وما جرى
مجراها في كل زمن ، فمن رآب الحذافة على الرداء أن تحتهد لكلا تخدم وليس
من دأبا أن تحتهد مرة لكى تفهم . وعندها من كراؤنة سب لتعطر كل فهم
وسب لتعطر كل عمل وسب لتعطر بصرفها عن الأمر عن بواقي الأمور
وهذه الحذافة التي حالت بين الداعين فديف بين كل عمل بكر وصية
ليس عندها مستمع لنبي ولا لحكيم

إن الحذافة هي التي أبت أن تفهم حين قال القديس إن العصفور حكيو يجد
الدودة قبل غيره ... أفس في هذا الكلام شيء بغيره السامع ، في . وفيه
نصح لمن يريد أن يسمع ويعمل . ولكن الحذافة هي التي قامت في جواب تلك
لنصحة : إن الدودة لو لم تنكر قبل العصفور لم تكن العصفور

إن الحذافة تقول هذا لأنها لا تفعل . فهل أراد كسبت شيئا حين خسرت
لعمل ؟ كلا فإن سخريتها تستقيم إذا كان التحير أسلم للدود من التكبر ،
ولكنهما مستويان على الأقل . إن لم يكن التأخر خليقا أن يمرض الديان
لغات المناقير ومناات العيون . بدلا من فرد منقر وفرد عين

كذلك يقول السيد المسيح : من طلب منك رداك فاعطه فميصك مع الرداء
فتقول الحذافة ولماذا يحق للثاب أن يملك القميص والرداء معا ولا يحق لمن
يعطيها أن يحتفظ بهما في حوزته ؟

أفليس في قول السيد المسيح ما يفهم ؟ بلى . فيه ما يفهم وما يحصح فهمه على ضلال ، ولكن الحذقة لا تريد أن تفهم ولا أن تفهم ، ولا تريد أن يفهموا ، على حساب ، الفهم والعمل كما يقولون ، ولولا ذلك لكان غاب عنه أن الجسد في الأمر من امتحان المعطى الذي يفتنى به في الإحسان ، ومن هذا الوجه لا خلاف عليه ولا على قيمة عمله من الفضيلة ، ربما الخلاف الذي يحتاج إلى جديد هو قيمة الإحسان من فضيلة السماحة والإيثار :

لقد كانت الدنيا تدور على محور النعمه والشر ، والبغضاء والنفاق ، فحسب ولا شك أن تدور على غير ذلك المحور ، وإذا انتقلت منه إلى محور النعمة والخير والحب ولصدق فلا مشاحة في قياس المسافات ، لا تقدر المقادير

بل نقول إن الرسالة كاملة وافية ولو لم يكن هذا الانتقال إلى حب وفي حبز محبوس ، فإنما العبرة بإضافة هذه القيم الجديدة إلى حساب الإنسانية ، وشأن الإنسانية بعد ذلك وما تستطيع ، وشأن الرسر بعد ذلك وما يستطيعون من تجديد الرسالة كلما انحرفت الجادة أو احتاج ضمير الإنسان إلى محور جديد

مكتوب السموات

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَتَضِلُّ مَنْ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَفِى هَٰذَا آيَاتٍ لِّمَنْ يَعْلَمُ ۚ ﴾ (القصص ٢٦)

هذه آية كريمة لها مرجع من تاريخ كل دسرة ولا سيما الدعوات الربنية الكبرى ، وما من شيء هو أدهى إلى التدبير الحلويل من المنايعة بين مقاصد أصحاب الدعوات وبين الغايات التي تنتهي إليها دعواهم على غير قصد منهم ، بل على خلاف ما قصدوا إليه ، ثم يمضي الزمن وتنطوي المقاصد والعيات لبيرو أن طريق الدعوات كان أهدى من طريق أصحابها ، كأنما الدعوات والدعاة معا وسيلة مسخرة تسير في عان الحكمة الأبدية ، دون أن يعلم الدعاة أو يعلم المستجيبون لها إلى أين تسير ، وإلى أين يسرون

ماذا لو أن أهل مكة عقلوا فاستجابوا إلى الدعوة السمعية ولد يدخل المسلمون مكة دخول العابدين المنصرين ؟

إن الهجرة من مكة إلى المدينة كانت فاتحة الفتوح الإسلامية ، فلو أنها ارتفعت من تاريخ الإسلام لتغير ذلك التاريخ ، ولكنه لا يستعيد لنا نمطاً مزال ذلك الحادث الذي كان محسوما من العقبات بل كبير العقبات في صدر الإسلام

ومادا لو أن بني إسرائيل في عصر السيد المسيح قبلوه وصدقوه وفجروا له أبواب البهكل مرحبين مؤمنين ؟

كان غاية الأمر أن نسا من الأنبياء يضاف اسمه إلى أسماء الأنبياء في كتاب العهد القديم ، وتبقى إسرائيل في عزلتها كما كانت ، ويبقى العالم كله كما كان من هذه الناحية ، وتبقى الناصرة كما كانت في التاريخ ، منسية لا تذكر ، تذكر كما تذكر أصدر القرى التي تحكمها رومة الخالدة : رومة القيصرية والجبارين المتكلمين .

فمما لا ريب فيه أن السيد المسيح قد أراد إسرائيل بدعوته الأولى ، ومن البدي أن يريدهم قبل أن يريد أحدا غيرهم ، لأنهم عشيرته الأقربون ، ولأنهم أصحاب الكتب التي تبشر بالخلاص وتترقب الرسول المخلص من وراء العيب

وقد كان السيد المسيح يحث التلاميذ ويقول لهم : ماذا تركتم للأسم ؟ لأنهم أبناء أمة أولى بها أن تستمع إلى الحق من أبناء الأمم كافة . وهم غير مختارين

وقد كان يرسل التلاميذ للدعوة وينبأهم أن يدخلوا السامرة ، ويحذروهم على العموم أن يطرحوا اللآلئ تحت أقدام الخنازير .

وعلى رفته في الخطاب كن ينشر المرأة الفينيقية التي أرادت منه كرامة من تلك الكرامات التي يخص بها أبناء يافوق ، لأنه ليس بالحسن أن يؤخذ الخبز من أبناء البيت ليلقى به إلى الكلاب .

وكان هذا الإيثار بديها كما لنا من وحى لفطرة روحى الكتب والدراسة ، وكان كذلك حكمة من حكم الدعوة التي يراد لها النجاح ، فإن المساواة من المشيرة الأقربين وبين الغرباء المؤثريين كانت خليفة أن تقصى الأقربين ولم يكن يقينا ولا شبيها باليقين أن تدنى إليه أحدا من أولئك الغرباء المؤثريين ، الذين يحاربونه ويحربون قومه ويبادلونهم سوء الظن وتارات الانتقام .

فماذا لو استجاب المدعوون إلى الدعوة على أحسن حال وأيسر احتمال ؟ ماذا لو استجابوا بغير عناد وبغير استنشاء ؟

إن استجابوا جميعا إلى الدعوة فقد دخلت الدعوة في نطاق . العصبية النصرية « ولم يتغير بها شيء في غير ذلك النطاق المحدود .

وإن لم يستجيبوا جميعا ، واستجاب منهم فئة من فئات شتى . لغاية الأمر أنها فرقة تضاف إلى فرق الفريسيين والصدوقيين والأسين والعلية ، بل قد حدث فعلا أن فئة من بني إسرائيل قبلت المسيحية على أنها « صائفة يهودية » سميت بالطائفة « الأيونية » أي صائفة اغفراء والخر ويطش ، ثم ذهبت هذه الطائفة في الغمار فلا هي إلى ايمين ولا إلى اسار ، ولم يبق لها نصيب في تاريخ اليهود ، ولم يبق لها نصيب في تاريخ المسيحيين .

بل حدث فعلا أن كنيسة مسيحية يهودية هجرت بيت المقدس إلى شرق الأردن ، واعتزلت كنائس إسرائيل وأقامت شرقا حيث تحرم الإقامة على سائر إسرائيل ، وظلت ردحا من الزمن لا هي إسرائيلية خالصة ولا هي مسيحية خالصة ، ثم ذهبت في الغمار كما ذهب الأيونيون

لقد مر بنا المثل الذي ضربه السيد المسيح للمدعوين المتخلفين : مثل الأمير الذي أولم الولائم ، وأرسل إلى الصفوة المختارين من الأقرباء والصحاب

يدعوهم أن يفرحوا معه ، ويشاركوه في طعمه وشرابه فلم يحبه منهم أحد ، وتسر كل منهم بطة تفرحه إلى ما بعد يوم أولية . فاقسم لا يحضرها أحد بلغت الدعوة ، ولعلنا لم نحضر ، ومن لم يحضر ، ومن تزيه الأرقعة أو تقذف ، الطريق ، وأبى أن يفرح مكان على المائدة خلوا من ضيف ، وأمسح كل طائر ضيفا مقبولا على الرحب واسعة ، وكذا نعيم وليمة السماء التي يتأخر المدعوون إليها ، وشقده السب عن هم أحق بها ، لأنهم يشتهون ما يعافه المدعوون

فإن السيد المسيح لمن دعاهم والحف في دعواهم فأنكروه وألحقوا نكر إنكاره . إن الحجر سي رفضه البنائون صار على رأس الزاوية .. إن ملكوت لله ينتزع منك ويؤم أمة تؤنيه ثماره . من سقط على ذك الحجر روضه وس سقط الحجر سه محقه .. هناك يكون المكاء وصبر الإنسان ، هناك يدعى الكثيرون ولا ينتخب إلا لقليلون .

ومنذ استحكمت النية بينه وبين الجامدين والمتمسكين قلت وصاياهم التي يحسن بها . الأمة « يعردها بين الأمم . وكثرت في صياها الآداب الإنسانية التي يستحق بها الإنسان ملكوت السموات ، فردا فردا كانوا ما كان شأن الأمة التي ينتسب إليه ، وفهم السمعون من الملكوت أنه حق لمن يقصده من بنى الإنسان احسن

غير أن ملكوت السموات لا ينهم على صورة واحدة من روايات الأناجيل . لتعدده ، بل لا يذكر خط واحد في جميع الأناجيل ، فإن مرقس ولوقا يذكر باسم ملكوت اب ، ومن يذكر باسم ملكوت السموات ، ويتفق أحيانا أن يذكر في جميع الأناجيل باسم ملكوت ابن الإنسان .

كذلك يبدو من معنى الأقوال إنه حاضرا على الأبواب ، وإن من الأحب ، لسامعين من لا يدور عت حتى يرى ابن الإنسان آتيا في ملكوته . (١٦) متى

ويبدو من آية أخرى أن المدى بعيد وإن الضلال في دعواه طويل الأمد . لا يخلو من أحد . فإن كبريين سيئون باسمي فيضل بهم كثير . وسوف تسمعون بحروب وأثناء ولا يحين حين بعد .. بل تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة وتحدث مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن شتى . وهذه كلها بوادر الأراجاء ريسلموكم يومئذ إلى تضيق قتلون وتبعضكم جميع الأمم في مسبلى .. ثم تأتي أسماء كثة كثيرون ويضلون كثيرون ، ونفتر محنة كثيرون ، ولكن

الصائرين إلى المنتهى ينجون ، ويتأدى ببشارة الملكوت هذه في أنحاء المسكونة شهادة لجميع الأمم . (٢٤ متى) .

وأحب - يأتي الكلام على كنه مريب ولكنه مفاسد محبب النوع - سبب . إذن لا نكد لا تفلتون في أية ساعة يأتي ربكم . ولو عرف رب البيت في أي موضع يأتي السارق ما سرق . فاستعدوا أتم كذلك . لأن في ساعة لا تخطر لكم يأتي ابن الإنسان .

ومن التنبؤات ما يقول إن ابن الإنسان نفسه لا يعلم باليوم والساعة (١٣ مرقس) وإن برادره وشبكة أن تظهر في هذا الجبل .

ويشير إلى ملكوت أحياء بمعنى مشيئة الله وأمره وفرائضه : « اطلخوا أولا ملكوت الله وبره » (٦ متى) . وقد أعطى لكم أن تعرفوا ملكوت السماوات (١٣ متى)

وأحياء يطلق على الرسالة التي يتعلمها التلاميذ من السيد المسيح : « أجعل لكم ملكوتا كما جعل لي أبي ، ويقول لوقا إن التلاميذ والاتباع كانوا يحسبون والسيد المسيح واهب إلى بيت المقدس أن ملكوت الله عتيد أن يظهر في الحال (١٩ لوقا)

وفد رأينا في كتب التعليقات والتفسيرات أن هذه الصفات المتعددة مستفردة ، تشير نسال من قوى الأرواح ، كأننا أمر غير منتظر في تقديمهم ، وهي في اعتقادات أقرب شيء إلى البهامة وطباع الأمور

فبعد أن نقدر أولا أن السيد المسيح قد أشار حتما إلى الملكوت الذي يفهم كل سامع أنه هو العالم الآخر ، وأنه يأتي في نهاية هذا العالم ، ولأنه إذا أشار إلى ذلك الملكوت وجع السامعون بالبدهة إلى النبوءات التي جعلت له علامات وإلى كلام المفسرين ولترقيين الذين قرئوا تلك العلامات بنهاية الألف الرابعة أو نهاية الألف السادسة ، واختلفوا هل يأتي المسيح المرفق لم يعود ، أو ينتهي تعلم الأرضي بمحدث ولا يكون مرحمه بعد ذلك في هذا العالم الأرضي الممهور .

وطبيعي جدا أن يتكلم السيد المسيح عن ملكوت انسموات بهذا المعنى وإن يرجع السامعون إلى تلك النبوءات ، ولا موضع للاستغراب في هذا الصدد . من العرب : يخط كلام السيد من هذا المدير . كما ظهر في ذلك الوقت ، قد سعه في زمن تتطلع فيه الأنظار إلى النهاية وإلى تحقيق النذر والبشائر والعلامات

فإذا أدخلنا هذا الملكوت بهذا المعنى في تقديرنا فليكن في الحسد أنه يأت من أوجه السريرية ومن الملكوت بهذا المعنى الأخير . ولا سيما أن الذي يقوم عليه رسالة السيد المسيح خاصة ، كما هو ، يأتي في جميع الرسالات

ففي رسالات الأنبياء الداعين إلى العالم الآخر جميعا ملكوتهم - يتحقق في السماء وملكوت يعمل له الناس في هذه الحياة أو رسالة يستعجل لها في هذا العالم فيستعجلون بها الملكوت في العالم الآخر .

هذا الملكوت أيضا - ملكوت الرسالة المسيحية أو ملكوت ابن الإنسان - يقع في الآن حتما أن السيد المسيح قد تكلم عنه ووصف لاتباعه مطابق يومه

ولأن من ليس هنا مع الناس الذي يحدث من توجيه المعنى حينما في ملكوت القياح . وتوجيهه حينما إلى الملكوت قبل يوم القيامة

أما نحن في فهم الملكوت الذي يدور على الرسالة المسيحية - ورساله ابن الإنسان - لمرجع من جهة إلى تطور الدعوة على حسب قول مستمعين لها فالملكوت في الدعوة التي يخص بها الإسرائيليين غير الملكوت في الدعوة التي لا يخصون بها . بل لعلمهم يضربون منها . ونعم الأمم أجمعين

ومرجع البشر من جهة أخرى إلى سمو الرسالة على ماركس لسبعين . ولا مفاسد من هذا المسب إذا دعى السامعون إلى رسالة أسمى جدا منه برفقوه وتضيق أن يفهمه

ولا يرى أن رسالة التاسعة بين نفس السيد المسيح وبين نفوس التلاميذ والاتباع قد برزت في موضع من المواضع بروجها في الأسئلة التي تراءت منهم عليه وفي الحياة التي دلت عليها هذه الأسئلة . حتى نيقوديموس عضو المجمع الأعظم لم يفهم معنى الملكوت الذي يستدعي من الإنسان أن يولد ولادة ثانية ويدخل إليه إنسانا جديدا كما يدخل الطفل الوليد إلى هذا العالم . وحتى بعد بلوغ الدعوة حتامها ظل التلاميذ يحسبون أن الملكوت يأتي بدونة يسى . سرائيل : « فسأله قائلين : ما رب ! هل في هذا الوقت قد الملك لي إسرائيل ؟ فقال لهم ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والوقوات التي يدعها الأب لطفه . لكنكم ستدرون قوه متى حل عليكم الروح القدس ، وستكونون شهداء لي في أورشليم وفي اليهودية جميعا ، وفي السامرة ، وإلى أقصى المسكونة

ومع ذلك فنقول إن المسب طمعي جدا في هذا المرافف بين مقصد المتكلم ومردف السامعين ، وإن هذا تفاوت البعيد هو الذي يبري - إلى فهم

الملوك كما أراد السد المسيح ، لأن ملكوت لم يكن في طاقة التلاميذ أن يخلقوه ويصوروه ، وكل ما في استطاعتهم أن يذكروا له أوصافاً متفرقة ، سمعوا فسطحوا والتقطوا كما يلتقط السامع ألفاظ من لغة لا يفهمها ، فبدأ أمكننا بعد ذلك أن نخرج تلك الألفاظ مفردات متناسقة مفهومة على صورة واحدة فتلك هي الآية على صحة تلك الصورة ، وإنما هي الوصف المقصود

والأنجيل قد ذكرت وصفاً متناسقاً للملكوت في مواضع شتى : ذكرت ملكة ليست من هذا العالم ، وذكرت مملكة قائمه في ضمير الإنسان في كل زمان ، إننا نرجحها فهو الغانم وإذا خسرها فالعالم كله لا يجنيه ، وذكرت مملكة لا يدخلها الإنسان إلا بنفس طاهرة ، صافية كنفس الطفل البريء ، وذكرت مملكة لا يفتحها السيف لأنه ما بالسيف يؤخذ فبالسيف يضيع ، ولما سأله القريسيين متى يأتي ملكوت اله ؟ أجابهم : إنه لا يأتي بمراقبه ولا يقو قس هو ذا هاهنا وهو ذا هناك ، لأنه هو الآن في داخكم . (١٧ لوقا)

فالذين استغربوا الأوصاف ولم يروا فيها إلا التناقض والشكوك : ماذا يسمعون بهذه الصورة المتناسقة ؟ وعلى أية صورة كانوا ينتظرون أن تأتي غير هذه الصورة مع التفاوت بين مدارك المعلم ومدارك التلاميذ ، ومع حضور ملكوت في أذهان السامعين بمعنى القيامة ووروده أحياناً في كلام السيد المسيح بهذا المعنى ؟ بل كيف كانوا ينتظرون أن تأتي على غير هذه الصورة مع تطور الدعوة تصور لإدخاله بين كلام موجه إلى أمه خاصة وكلام موجه إلى جميع الأمم ؟

إن الخلاصة المعربة موجودة بين السناد والحبوب ، ولكن العيب في الغرمان الذي لا يعمل عمله وفي حامل الغرمان الذي يرمى أن الغرمان لازم وأن موضع ترويه على التخصيص .

إذا جاعنا رجل لا يعرف اللغة الصينية ، ووضع أمامنا خطوطاً وأشكالاً ، وسئنا لنا أن نخرج من تلك الخطوط والأشكال كلمات تتم بها جملة مفهومة ، مثل أية الآيات على صدق الصورة المنقولة ، وتلك الصورة إن أحق بالاستناد عليها من كلام الناقل الذي يستطيع أن يزيد على الكلام أو ينقص منه ، أو يدخل عليه التحوير والتعديل حسب هواه .

تحولت لدعوة من خاصة إلى عامة ، ومن أمة واحدة إلى سائر الأمم ، بل لي « الإنسان » فرداً كان ، أو عنواناً يشمل كل إنسان

وحدث هذا التحول والعالم الإنساني متبني للدعوة الجديدة من أعماق وجدانه ، وإن لم يكن بسيراً عليه أن يفهمها حق فهمها ، أو يسير أغوارها .

والعالم الإنساني يتبني لهذه الدعوات على حسب حاجته إليها ، ولا يلزمه على الدوام أن يفهمها كما يلزمه أن يحتاج إليها أو إلى شيء من قبيلها .

مثله في ذلك مثل التربة التي ينفعها المطر لأنها مهيأة له متعطشة إليه ، ولا محل هنا للحديث عن الفهم وسر الأغوار .

كانت العلاقة الدلمية ، أو العلاقة الإنسانية قد وجدت من وراء سائر سائر الأقسام ، ولكنها لم تحدث في بقاء من الأرض ولم توجد في سائر الضمير ولعل الناس قد اختبروا منها أضراراً لعداء والبغضاء وكبرياء الجنس وتغير العصبية ، قبل أن يختبروا منها مزايا الوحدة ويتعلموا من ورائها إلى الأخوة والصفاء .

بل تحطمت أسرار الأمم والأقوام أمام وطأة الشقاء قبل أن تحطم أمام دعوة الأخوة والصفاء ، فانتسعت رقعة العالم المتوحد لأناس من جميع العصب والسلالات ، لا يشعرون بنجم موحدة عبر العبودية والضك ما في رتبة الرق حاراج أو في رتبة أخرى لا تقل عنها في القسوة والظلمة ، وفي رتبة الحرمان والقتل .

وقد كان من العسر أن تنخفض العلم الوثني عن رسول جليل الأثر إلى دين واحد ، لأن تاريخ الوثنية لم يعبر فيه أن يخرج لنا رسالة تليق بالحماسة الروحية وتنفض منهم على من حولهم فضلاً عن البعيدين عنهم ، ولم يعرف التاريخ قط داعية وثنية تجرد لتبشير والإنداء غير حافل بالموت ولا مرتدع مما يلقاه من رواج الإرهاب والوعيد ، وكل ما يحدث في الأديان الوثنية أن تقلد الأولى التي تدين بها على الشعوب المفهرمة فيجعلها على ضاعة أربابها كما تحملها على طاعة قوانينها وأحكامها ، وتفرض عليها لبيات التي تحصل بالشعائر العامة والمحافل الرسمية ثم يترك لها بعد ذلك ما يروقها أن تعبد من الأرباب والأصنام .

أما الحماسة الروحية التي كانت لازمة لترجميد العقيدة في العالم الإنساني فلم تعبد قط في غير الأديان الكنسية أو الأديان الإلهية ، ولم يكن لها رسل قط غير الرسل المؤمنين بآله أعظم من لدنيا وأعظم من البرل وأعظم من كل موجود .

ولحكمة من الحكم الخالدة، وجد هذا الرسول مضروباً في قومه ، ولم يوجد
بجنبه مقصور الدعوة عليهم ، فوجد في العالم بغيرته في سعة الحاجة إليه ،
وانت لآية من الآيات التي تطول عندها تدبر الباحثين والمؤرخين ، لأنها من
التوفيقات التي يكون القول بالمصادف فيها أصعب وأعجب من القول بالتدبير
والتقدير .

يتد على يد هذا الرسول نقض ما يتد على أيدي الوثنية في عسولتها
وسلماتها ، فإن الوثنية تتطلب لأنها دين النوة الغالبة ، أما هذه الرسالة -
رسالة الملكوت السماوي - فقد نشأت في عشيرة قبيلة زبلية ، تمكها تارة
دولة الرومان الغربية ، وتمكها تارة أخرى دولة الرومان الشرقية ، فلم يضر
غير أجيال معدودات حتى غزت الدولتين واستولت على العاصمتين ، رمح ما
ريود بن جوليان - سواء قاه أو لد يقه - لما انتصر . الجلبلى « بملكوته
السماوي على سمالك القياصر ، وضم القياصر إلى حاشيته ، فمعه يأخذون ما
أخذوه باسم قيصر وما أخذوه باسم اله !

● الباب الخامس ●

أدوات الدعوة

وقد كانت هذه قدرة موديرة في تعلم المسيحية ، وبحق سمي المعج وروحي به في مختلف مجامع وتحافل ، لأن مهمته الكبرى كانت مهمة نفع وإحياء روعي حيوي من مريم الميم .

نودي للمسيح بالعلم فيما رونا الأناجيل مرات ناداه بهذا اللقب فاستد كما ناداه به خصومه ومن يستمعون له غير متعلمين وغير مخاضمين

وكان ناداه به بهذا لقب لأنهم يحسون في كلامه علما واسم - لكتب والأساطير ، وبذبة حضرة في الاستشهاد بها والتعقيب عليها ويكفر ما بين أيلينا من الأناجيل للجزء بأنه كـ برتل المزامير وكان يحفظ كـ أرميا واشعبا وحزقييل فضلا عن الكتب الخمسة التي نسبت إلى موسى عليه سلام ، فضلا عن اختراص المذاهب في تصديق الوصايا والاحكام

ويرجح بعض مؤرخين أنه كان يعرف اليونانية وأن الحديث الذي رتبته وبين بيلالوس كان بهذه اللغة ، لأن اليونانية كانت شائعة في عصره من أبناء الجليل ، وكان كثير من اليهود خرج الجليل لا يفقهون العبرانية ولا آرامية ومحتاجون إلى ترجمة الكتب المقدسة باللغة اليونانية ، ومنهم من كان يحتاج إلى بيت المقدس في الأعياد ، ومن أبناء الجليل اليهود من كانوا يذهبون إلى الإسكندرية وبيت الإغريق لا يفقهون بغير اليونانية مع أبناء جلدته هناك . فلا غربة في معرفة اسم المسيح باليونانية كـ كان يعرفنا السريون من أبناء الجليل . ولكن المحقق أنه كان يعرف العبرية الفصحى التي سبغت كتب موسى وداود . ووه كان يعرف الآرامية التي كان يتكلمها كلاد بلعاء . وأنه لم يعرف يونانية لأنها كانت معرفته بها معرفة خطاط ولم تكن معرفة دراسة ، لأن قاله خلف من الإشارة إلى مصدر واحد من مصادر ثقافة المكتوبة بتلك لغة ، ولا العبارات التي جاءت في الأناجيل اليونانية منسوبة إليه تشك عن أصلها الذي يد فيها من اجناب أو من قواعد اللغة وإيقاع الألفاظ

غير أن هم تعلم كلا الثقافة موسوية الإسريلية لم يكن فريدا من احبار اليهود في تلك الأونة ، فربما كان في بيت المقدس يومئذ مئات من الكتبة والفريسيين حفظوا من تلك الكتب ما حفظه المسيح ، وانشروا على الاستشهاد به والتعقيب عليها بحارضة قوية وبذبة حاضرة ، ولدت من لواحد منهم كفاية لتعلم الذي يث الحياة الروحانية في النفوس وسنت في خواص

قدرة المعج

إذا انتشرت دعوة من الدعوات الكبيرة في العالم ثبت من انتشارها شئنا على الأثر ، وهنا أن العالم كان عند انتشارها محتاجا إليها ، وكان مستعدا لسماعها ، وهنا شئنا مختلفان لا يذكران في معرض الترادف والتماثل ، لأن الحاجة إلى الدعوة كلعلة ، والاستعداد لسماعها كالتعدي بالعلة أو كالاستعداد لطلب الدواء وقد يتفان في وقت واحد ، وقد توجد العلة ولا يوجد معها طلب الدواء ولا قبوله إذا عرض على العليل .

وجملة ما يفهم من العصور التمهيدية التي لخصنا الكلام عليها فيما مضى أن العالم في عصر الميلاد كان محتاجا إلى الدعوة المسيحية ، مستعدا لسماعها ، سواء قصرنا الكلام على عالم إسرائيل أو عموما به العالم أجمع

فعالم إسرائيل كان مؤمن بالمسيح المنتشر وبموعه في تلك الحقبة من الزمن ، والعالم المعمور كان مؤمن إيمانا - سلما - بافلاس الرثشة وإفقار النفوس من الرخاء ، وكان ماسية في مؤس ومأس ، وخاصية مستسلمين للمنع أو مستسلمين للتصرف ، من كان منهم فكر دان بالأممورية أو دان بالرواقية ، ومن كان مضبوعا على الدين والبحث في شئون الغيب ، دان بتحلة خاصة من النحل انصرية التي تحل فيها التراسم والشعائر محل الفرائض والعبادات

وقد يكون الكثيرون من الخاصة بمعزل عن الأممورية والرواقية والنحل السرية ، فهم إذن في حالة الخواء الذي يسبق الامتلاء ، وأسلم ما يقال عنه في هذه الفترة أنه لا تمت له في مفاهيمها ، فلهذا قد سطح بقولها فيكون شعور الخواء من أسباب الإقبال عليها والرغبة فيها .

كان العالم في عصر الميلاد محتاجا للعقيدة مستعدا لسماعها ما في ذلك ريب ، ولكنه مع هذه الحاجة وهذا الاستعداد لم يكن حليقا أن ينظر متلك العقيدة عفوا صفوا بفكر حياد من رسلها ودعاتها ، وبفكر كفاية عالية في أولئك الرسل والدعاة

لم يكن احتياج العالم للعقيدة ولا استعداده لسماعها مغنيا للعقيدة عن أدوات الفلاح والنجاح وأولها قدرة الداعي على كسب النفوس واجتذاب الأسماع والقلبة على ما يقاومه من المكابرة والعباد

ثلث الراحة التي تشبه راحة السمرة ، حين تتساقق فيها الأنعام التي كانت متسافرة قبل أن تجمي وتصاع .

لقد كانت اللغة التي حملت بشارت الدعوة الأولى لغة صاحبها بلبر مشابهة ولا منافرة في القوة والفاذ .

كانت لغة فذة في تركيب كلماتها ومفرداتها ، فذة في بلاغتها وتصريف معانيها ، فذة في ضامعها التي لا يشبهه ضامع آخر في الكلام المسموع أو المكتوب . ولولا ذلك لما أخذ السامعون بها ذلك المآخذ المحبوب ، مع غلبته القوية على الأذهان والقلوب

كانت في تركيبها نمطا بين النثر المرسل والشعر المنظوم ، فكانت فنا خاصا ملائما لروس التعليم والتشويق وحفز الذاكرة والخيال ، وهو نمط من النظم لا يتبعه نظم الأعاريف والفعليات التي سرقها في اللغة العربية ، لأن هذا النمط من النظم غير معروف في اللغة الآرامية ولا في اللغة العبرية ، ولكنه أشبه ما يكون بأسلوب الفواصل المتقابلة والتصاريحات المرددة التي ينتظرها السامع انتظاره للقفية ، وإن كانت لا تتكرر بلفظها المعاد

كان أسلوبه في إبداع الكلام أسلوبا بكثرت فيه التريديد والتقرير ، وليس في ترجمته العبرية ما يدل عليه من قريب . ولكنها مع التأمل تدل عليه من بعيد . كما في هذا المثال

• اسكوا تمطوا •

• اضوا تحدوا •

• اقرعوا يفتح لكم •

• لأن من يسأل يأخذ • ومن يطلب يجد • ومن يقرع يفتح له الباب •

• من ينكم يسأله ابنه خزا فيعصيه حجرا •

• أريد • سمكه فيعطيه حب •

• أو يسأله بيضة فيعطيه عقريا •

• فإذا كنتم - وأتمم أشرار - تحسنون العطاء للأبناء ، فكيف بالآب الذي في السماء يعطي الروح القدس لمن يسألون •

أو كما في هذا المثال

• كنا في أيام نوح كذبت يكون في أيام ابن الإنسان •

• كانوا يأكلون ويشربون ويترجون ويترجون ، إلى اليوم الذي يحل نذك وجاء الطوفان وأهلك الجميع •

• كذلك في أيام لوط كانوا يأكلون ويشربون ويبيعون وبغرسون وينسجون • ولكن اليهود الذي خرج فيه لوط من سدوم أمطرت ذرا وكبريتا من السماء فأهلك الجميع •

• هكذا يكون في اليوم الذي يظهر فيه ابن الإنسان •

• في ذلك اليوم من كان على السقف وأمتعته في ابنت فلا يهبط إليها ليأخذها •

• ومن كن في الحقل فلا يرجع إلى البراء • ألا تذكرن امرأة لوط ؟ •

• من طلب الخلاص لنفسه يهلكها • ومن أهلكها يحييها •

• أقول لكم فاستمعوا : في تلك الليلة يكون اثنان على فراش واحد فيؤخذ أحدهما ويترك صاحبه •

• وتكون اثنان تطحمان • يؤخذ إحدهما ويترك الأخرى •

• ويكون اثنان في الحقل يؤخذ هذا ويترك ذاك •

حيث تترك الجثة هناك تجمع النسور

* * *

وقريب من هذين المثالين نذيرد لأورشليم

• يا أورشليم • يا أورشليم !

• يا قاتلة الأنبياء ، وراجمة المرسلين •

• كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها •

• ولم تريدوا •

• هوذا بيتكم رمين بالخراب •

وقريب منه نذيره لبنات أورشليم

• يا بنات أورشليم !

• لا تبكين على • وعلى أنفسكن وأولادكن فابكين •

• أيام يقفون طوبى للعواقر والبطن التي لم تاد والثدي التي لم ترضع •

« أيام يتادون الجبال أن تسقط عليهم ، والأكام أن تكون غطاء لهم
 « إن كان بالغض الرطب يصنع هذا ، فماليس ماذا يصنعون ؟

هذه النماذج فيها بعض الدلالة على أسلوبه في تركيب اللفظ وسياق النذير
 والفنكير .

أما أسلوب المعنى فقد اشتهر منه نمط الأمثال في كل قالب من قوالب
 الأمثال ، ومنه القالب الذي يقول على الرمز ، والهاب الذي يقول على الحكمة ،
 والقالب الذي يقول على القياس ، والقالب الذي يقول على التشبيهات ، وكلها
 تنسم يطابع واحد هو طابعه الذي انفرد به بين أنبياء الكتب الدينية بغير نظير ،
 وإن كانوا قد اعتمدوا مثله على ضروب شتى من الأمثال .

فمن نماذج المثل الذي يقول على الرمز مثل الزارع والبدور « زارع خرج
 ليزرع ، وفيما هو في الطريق سقط بعض البذور فجاءت طيور السماء وأكلته ،
 وسقط بعضها في مكان محجر خفيف التربة فنبتت على الأثر ثم لم يلبث أن
 أشرقت عليه الشمس فاحترق ، وإذا لم يكن له عمق في حواف الأرض حف ،
 وسقط بعض البذور بين الشوك فطلع الشوك وخنقه فلم يثمر ، وسقط خبرا في
 الأرض الجيدة فأعطي ثمرا بصعد وينمو ، فتى واحد بثلاثين وآخر بستين
 وآخر بمئة . من له أذان للسمع فليسمع »

ومن نماذجه مثل فتيات العرس : « يشب ملكوت السموات عشرين عذارى
 أخذن مصابيحهن لقاء العريس : خمس منهن فطنات وخمس غافلات . أما
 الغافلات فقد أخذن المصابيح ولم يأخذن معها زيتا ، وأما الفطنات فأخذن
 الزيت في أنتبهن مع المصابيح ، وأبطأ مقدم العريس فلبسهن النقاس جميعا ،
 ثم علت الصيحة عند منتصف الليل : ها هو ذا العريس قد أقبل فأنخرجن للقاءه
 ، فانتفتحت الغافلات إلى مصابيحهن تنطقن : « سائلن زميلاتهن قليلا من زيتهن
 فأجبنهن : لعله لا يكلنا فاذهبن واشترين حيث يباع ، وفيما هن ذاهبات قدم
 العريس ... وصحبته الحاضرات المستعدات إلى محفل الزفاف ، ثم جاءت
 الغافلات وقد أغلق الباب وطفن يتادين : « افتح لنا يا سيد ... افتح لنا يا سيد ،
 فتجاوبهن : من أنتن ؟ إني لا أعرفكن » .

ومنه قوله : « أنا خبز الحياة .. من يقبل على لا يجوع »

ومن نماذج المثل الذي يقول على الحكمة : « لا تطرحوا الدر أمام الخناير .
 « بالكل الذي تكيلون بكل لكم » ، « أيها السدوي داو نفسك » .. « خمر
 جديدة في زقاق قديمة » .. « لا ترع يسارك تعلم بها تصنع يمينك » ، « من
 شارهم يعرفونهم » .. « لا كرامة لير في وطنه »

ومن نماذج المثل الذي يقول على القياس : « إن كنتم تحبون من يحبونكم
 فإني فضلكم ! أليس ذلك شأن العشارين ؟ »

ومنه في تبيك من يكررون عليه حبة الخاطنين « لا حاجة بالأصدة إلى
 طبيب . إنما المرضى يحتاجون إلى أطباء .. ومنه « إن كان التور الذي فيك
 ضلما فالظلام كما يكون » .

ومن نماذج المثل الذي يقول على التشبيهات خطابه لتلاميذه « أنتم ملح
 الأرض . فإن فسد ملح فجميع يصلح » إنه لا يصلح إذن إلا لأن ينثر على
 التراب ويداس . أنتم مير العالم ، ولا خفاء بمدينة قائمة على رأس جبل . وما من
 سراج سوق ليوضع تحت الكيال ولكنه يرفع على المنار يستضيء به جميع من
 في الدار .

« من نماذجه : « لا تكتنوا لكم كنزاً على الأرض حيث يفسد السومر ويصدأ
 وحيث ينقب السارقون وبسرة ولا بل اكثروا كنزاً في السماء حيث لا
 سوس ولا صر ولا لهووس ، وحيث يكون الكنز يكون القلب » .

وقد اشتهر سيد المسيح في جميع الأمثال حب المقابلة بين الأضد . لجلاء
 المعاني وتوضيح الفوارق من وراء هذه المقابلة « يرون الفذ في أعين غيرهم
 ولا يرون أخس في أعينهم » .. « يحاسبون على البعوضة ، ويبلغون أحمل » ..
 « في الظاهر حدران مبيضة وفي الباطن عظام نخرة » .. « غنى محل باب
 السوء كحبيل غبط يحل في سم خطاط » .

وه عظم هذه الأمثلة ثاني في مناسقاتها عفو خاطر ، جوابا على سؤال : أو
 تعقيبا على حادث عارض ، أو تقريرا لمكابر ، فينبذ أن يسترسل فيب المعلم
 البصير إلى غير المناسبة التي تليها ، ولهذا يرجع بعض الشراح « محدثين
 أن الأمثلة المتراية في المقاصد المختلفة لم تصدر عنه في سياق واحد أو
 جلسة واحدة » وأن الخطبة على الحبل - وهي أحفل الخطب بالمقاصد
 والموضوعات - جمعت من متفرقات كانت منجمة على حسب الموضوعات في
 أوقاتها ومسابقاتها .

وإذا كانت طائفة من عنقات السيد المسيح جاشت بنفسه في أوقات مناجاتها فانطلقت فيها كما تنتظم المعاني المنسوجة في البديهة للبهمة فقد كانت سرعة البديهة تسعه في غير هذه الأحوال ، فتجري كلماته في مجراها - المكورف على نسق سهل قد يظن به التحضير لأن منتظر غير مرسى ، ولكنه في الواقع لم يكن محضرا قبل ساعته ، وغاية ما يفرض له من التحضير أن الفكر الذي يجرد به لم يخل قط من التفكير فيه وأنه تعبد التفكير في المواقف لمتشابهة فانسبكت قوالب التعبير في بواطن فريحت غير مقصودة ولا متكلفة ، وفي عادة يعرفها من تعود التفكير والتعبير وحضور اشعور بينهم وبين الجواهر ، وقد سمعت خبباء جانيوا بأبلغ آياتهم الخطابية في لحظة من لحظات الارتحال الفياض بين الشعور المتحاب والحماسة المنعثة من القائل والمستمعين ، فهم مرتحلون بخيل إليهم قبل غيرهم أنهم يسمعون كلاما مبهورا ، ويوشك أن يتساملوا أن يأتى سمعوه قبل الآن ؟ والواقع أنهم نقلوه من وعيهم الخفى إلى وعيهم الظاهر فكان شأنهم كشأن سامعيه في استغرابه ، والواقع أيضا أن الناس حين يستمعون إليه يرونه غريبا وقريبا في وقت واحد : غريبا لأنه كان يساورهم ولا يتركونه ، وقريبا لأنهم تملأوه بفضن بلاغة القائل بعد استمعانه على الإدراك .

* * *

ومن كان كاسيد المسيح ترسم منذ طفولته على التلوذ في كتب الانبياء ، وتتابعت على سمعه ولسانه أسماء العزمير المرتلة ، والأمثال العريضة ، واستقامت فطرته على الوحي والإيحاء فلاس أقرب إليه من أن ينطق بكلام يجبك في الأسماع بهاتف الصحف الأولى وهو من تبع فزاده وإملاء بديته ، وهذه هي البديهة التي كان يعينها حين يوهى تلاميذه بالاعتماد على الطبع وترك الاهتمام بالتزويق والتنميق قبل الساعة التي تدعوهم ذراعيها للخطب .

ولعل سامعي العظات الدينية في مصر المسيح قد سمعوا الأمثال في قوالبها مرات كثيرة ، ولعلهم كانوا يعاونون سماعها كلما دخلوا معبدا أو استمعوا إلى خطيب في غير المعابد . فإن نداء البيان العبرى والأرمي يردن هذه الصيغ البيانية إلى عصور قديمة مبيت مولد المسيح بعنات الستين . فلم يكن المسيح مبدعا للأمثال ولا لقوالبها التي تدور على الرموز أو الحكم أو التشبيهات أو منطق القياس ، ولكن الأمر المحقق أن سامعي ذلك العصر لم يعرفوا قط أريحية

كذلك الأريحية التي كنت تشبع في أمواتهم وهم يصغون بأسماعهم وقلوبهم في ذلك السعير المحبوس الذي كان يناجيهم بالغرائب والقياسات منووسة خبة بصرون أنها حاضرة في أعماقهم لم تقارقم ساعة أو بعض ساعة ، فلهذا ما كان يفهمهم من خبره المشرى ويستولى عليهم من عصفه الطوب وحده الطهر .

ومن البيان ما يروح ويبدل ويخل إلى سامعه أن يستعد من مصدره كما أصفى إليه ، ومنه ما يجذب ويقر ويضيق إلى سامعيه أن كل كلمة من فريه حاجر أو تدنى مسافة وتزيل وحشة بين انقاس واسمعي . من هذا البيان كان بيان المعلم المحبوب القدير على تتريب سامعيه بالعطف والإلهام ، فسر مهم قريب ومن له بهم غير بعيد . وفي وسعنا أن نتخيل أولئك المستمعين اسماء بقلوب على الاستماع وهم في ظلال الجاهة لا يترون ماذا يسمعون ثم تنفخ في ألسنتهم نخاظر ، وتنطق فيها الأعياء وتنبين الفوارق بين الأضداد فيحدث الطلاب سدفى بعد سدة ويعقبه النور قيسا وير ، قيس ، وبد خلفهم على دول شعور الأعلى الذي يستتر بصيرة مشدوها بالروية لأول مرة ، أو شعور المدح الذي يصحب اللذ من السحر إلى الصبح . هداية في رفق ورحمة ، واقتراب في غير غناء ، لا اقتحام .

في وسعنا أن نتخيل أوتار المسند يفتربون من معلمهم بالطهم والمعرفة أو بقرين منه - لعطف ولودة .

في وسعنا أن نتخيل من ثم فخر الرسول في الرسالة فلا رسالة في الحق فخر رسول ، ولا سبيل إلى قيم المسيحية بغير مسيح . فإن مصدر الرسالة الروحية هو زيوتها وجوهرها ، وهو الأمر الأصيل في قوتها وبعادها ، بكرم هذه فروع وزيادات .

لقد كانت الرسالة المسيحية في لب رسولها المسيح : هداية إنسان ؛ هداية له على أحد غير العطف والإلهام ومكاشفة القلوب والأفهام ، ولو لم يكن فضل الرسول هو فضل الرسالة قد كان بوحنا هو الأولى بالسبق في استبدان لأن صاحب السبق في الدعوة ومصحب السبق في الشهادة ، ولكنها دعوة كانت تنتشر صاحبها ، وصاحبها هو المسيح ، وكانت حاجة العالم كله إلى دعوة لمطلوبة لا تكفى بغير صاحبها الخادر عليها ، والصالح لإقامتها ، لأن صاحب الحاجة لا يملك بالهداية ما هو محتاج إليه .

إخلاص التلاميذ

نصل التلاميذ الأول في كل دعوة أنهم دعاة ، أى أنهم شركاء للمعلم في نشر الرسالة .

أما الفضل الأول للتلاميذ في الدعوة المسيحية فهو أنهم مستجيبون ، فله يكونوا قادة بدعون غيرهم إلى صفوفهم ، بل كانوا في الواقع هم الحب الأول السابق إلى الاستجابة ثم تلتهم صفوف أخرى من أمثاله ، ليس فيهم قائد ولا متوحد ، وكلهم في قبول الدعوة سواء .

كان فصل التلاميذ في الديانة المسيحية أنهم أول القابلين ، ولابد أن معلم هذا التفارق بين ضمة القابلين وطبيعة العاملين

فالتلاميذ بالنسبة إلى السيد المسيح هم أمته الصغرى ، كبرت مع الزمن عبر هذا المثال ، فأصبحوا أمة كبيرة تقتدى بتلك الأمة الصغيرة في الاستجابة ، فيه سابتون أعقبهم لاحقون من تسلمهم وهم الصف الأول في الجيش الواحد ، وتسوا هم جيشا يقبل جيشا آخر بالدعوة قبلية وينضوي إليه

كانوا نموذج الأمة المسيحية في أول الرسالة ، ومضى على الأمة المسيحية عدة أجيال وهي لا تخالف هذا النموذج في التكوين ولا في الطراز ، ومن هنا نقول إن التلاميذ لم يكونوا دعاة فرضوا عقيدتهم على أناس غيرهم ، ولكنهم وغيرهم جميعا مستجيبون للدعوة فوجا بعد فوج ورعيلا وراء رعييل في الدعوات قادة ومقودرون .

ولكن التلاميذ في الدعوة المسيحية لم يكونوا قادة لغيرهم ، بل كانوا هم السابقين من صفوف تلاحقت وتعاقت ، لا فرق في بنيتها بين أوليين وآخرين

وليس في سيرتهم الأولى ما يفهم منه أنهم مميزون بصفة القيادة لهم جميعا من بيت واحدة ، وربما كانوا جميعا من سلالة متقاربة أو بيوت متجاورة ، كمنهم وقعت عليهم القرعة بين المتشابهين والمتماثلين ، ثم امتازوا بعد ذلك بالتعليم والتدريب على يدي السيد المسيح .

وكان السيد المسيح ينظر إلى بعضهم فيقول له : اتبعني فليتبعه ولا يظهر عليه أنه أفضل من غيره بعبارة عقلية أو نفسية إلا أن تكون عزية التي يتوسمها به السيد فيعبره من أجها ، وهي مزية الإصغاء والاتباع

ولم يبد منهم أنهم أقدر على فهمه من الآخرين ، بل وأصاب القرعة اثني عشر آخرين فكانوا في مثل قدرته على التعلم واستعدادهم للقبول ، لأن كفايتهم ولا شك هي الكفاية الوسطى في كل طائفة بين العدد ومن هذه البيئة ، فلم يكن منهم علم بارز لا يتكرر بهذه النسبة في أية جماعة يقع عليها ، ننظر للوهلة الأولى ، فلا يقال في واحد منهم إنه واحد من مائة أو واحد من ألف لا يتكرر ، أو أن واحدا منهم تعلم ما لا يتعلمه أمثاله لو حضروا كمن حضر على معلمهم القدير ، بل كل ما يقال إنه مجتهد يشبه غيره من المجتدين ، والفضل للفائد يعد ذلك فما طفر به من التريب والتهديب .

وقد وقع عليهم الاختيار كما جاء في الإنجيل

ولكن لا يبدو من ذلك الاختيار أنه كان اختيارا نادرا ، أو مستعصيا على الفائد الحكيم الخفيف ، ولعل العامل الأكبر فيه أنهم مختارون من طائفة متعارفة متألقة ، وأن اجتماعهم هكذا خير وأصلح من اجتماعهم بس من بيئات متباعدة ، بأن المانفبين أولى بمصاحبة بعضهم بعضا من اجتماعهم

ونحسب أن التشبيه بالتجنيد هنا خليق أن يقرب إثر الأذهان هذا المعنى الذي تروى له المكان الأول في فهم الدعوة وأسباب سرعان

فالمحشون مقترعون ، ركبهم متماثلون في شروط التجنيد ، ولكنهم مع هذا يعرضون على القائد فجعل منهم فئة متحانسة فيما مره ، وكر لفئات الأخرى تضارعا على لجملة في شروط التجنيد .

لم يكونوا طينة من البشر غير طينة السواد لولا تلك السحة العبية التي نفثتها فيهم روح المعلم القدير

كان يعرف عبريهم ، وكانوا في أمانتهم وإخلاصهم لا يعاطون أنفسهم في تلك العيب

كان يخاضهم فلا يلعبونه فيسلكونه مزيدا من التوضيح ، وكان يخامرهم الشك فيحسمه منهم فلا ينگرونه ، وربما فاتحوه بالشك شدة وسكوه أن يزيدهم إيمانا ، فيزيدهم ويعلمهم كيف يتقون أمثال هذه الشكوك .

ولم يحسب قط أنهم طود لا يثزعزع وأنهم عزيزة لا تتضعض وأنهم يراجون المحنة في كل حال ولا يدركهم ضعف النفس يوما أمام هزل من الأهوال

فقد أنبأهم أنهم سيتخلون عنه ، وقد ذموا وهو يسألهم أن يسهروا معه ، وقد لامهم غير مرة لأنهم يتناقشون على السبق أو لأنهم يستمتنون جزاءه على الإيمان ، أو لأنهم - بعد وعظهم وتكبيرهم - لم يزالوا يفرقون بين الناس ويدينون بشريعة غير شريعة الحب والفران ، ولم يكن على اليقين ينتظر منهم أكثر مما تخطر ، أو تعوته منهم في أرائهم حاة ظهرت له في أواخرهم ولكنه علم المصير منهم كله فوجد فيه الكفاية : علم أنهم نسودح لغيرهم يتكرر على مثالهم ، وليس مصلوبا من الناس في العالم الواسع أن يدركوا ملأما من الإيمان فوق مقام الإخلاص وحسن الاستعداد لإصلاح العيوب ، وهذا المقام قد أدركه التلاميذ يوم وكل إليهم أن يسمحوا في أرض الله ويحعلوا من أنفسهم مثلاً يقتدى به المخلصون .

هو لم يقصد إعدادهم ليخرجهم طارا معصوما لا عيب فيه ولا مأخذ به ، ولكنه قصد إعدادهم ليحسنوا القدوة وجمعوا حرثهم من يسلك مسلكهم ، ويستقبل معيهم قبلتهم ، ويكفلوا أنفسهم شابة ما يستضيئون ، وقد يستطيع من يفهمهم فوق ما استطاعوه .

ومن العبارات ذات المعنى الكبير في الإنجيل أن المسيح مضى شونا بعيدا في دعوته ولم يقل لهم إنه هو المسيح المنتظر - شأن ذكره في الفري وسأل الناس عنه : من يكون ؟ فمنهم من يقول إنه يوحنا المعمدان قد بعث من الموت ، ومنهم من يقول إنه إلياس ، ومنهم من يقول أنه نبي مبعوث ، والمسيح لا يقول للتلاميذ إنه المسيح ، بل سألهم بعد شيوخ ذكره وتداول الناس عنه . وأنتم من تقولون أنني أنا هو ؟ فاجابه بطرس : أنت المسيح . فانتبهوا وأوصاهم ألا يذكروا ذلك لأحد في رواية إجماع مرقس . أما في إنجيل متى فقد روي أن بطرس قال : « أنت هو لمسيح ابن الله الحي » فاجاب يسوع وقال : طوبى لك يا سمعان بن يونا ، أن مخلوقا من لحم ودم لم يظن لك ولكنه أبى الذي في السموات ، وأنا أقول لك أنك أنت بطرس^(١) وعلى هذه الصخرة ابني كنيسة وأبواب الجحيم لن تقوى عليها ، وأعطيك مفاتيح السموات فكل ما تربط على الأرض يكون مربوطا

(١) الكلمة الآرامية « صفا » بمعنى صخر كما في العربية ومرس . جر . هي ترجمة الكلمة بالترابية

في السموات ، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا في السموات ثم أوصى تلاميذه : لا تقولوا لأحد أنه هو يسوع المسيح .

أما في إنجيل لوقا فالرواية أقرب إلى رواية إنجيل مرقس : « فبما هو يصلي على أفراد كان التلاميذ معه فسألهم قائلا ماذا تقول الجموع عني ؟ فاجابوا أنهم يقولون يوحنا المعمدان ، واخرون يقولون إن نبيا من القدماء قادم ، ثم سألهم . وأنتم من تقولون ؟ فقال بطرس : مسيح الله . فانتبههم وأوصاهم ألا يقولوا ذلك لأحد

والرواية في يوحنا أقرب إلى تصوير ما قدمناه ، فإن السيد المسيح أحس أن الناس يتراجعون عنه وأن كثيرا من تلاميذه رجعوا إلى الزوايا ولم يمشوا معه ، فقال للآثني عشر : ألكم أنتم تريدون أيضا أن تذهبوا ؟ فاجاب سمعان بطرس : يا رب ! إلى أين نذهب ! كلام الحياة الأبدية منك ، ونحن قد آمننا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحي . فاجابهم : ألسنت أنا اخترتكم .. وواحد منكم شيطان ؟!

وقد تسمى كثيرون باسم التلاميذ فقال لهم كما جاء في إنجيل يوحنا : « قال يسوع لليهود الذين حضرا به إنكم إن شئتم في كلامي كنتم بالحقيقة تلاميذي ، وتعرفون الحق والحق يحرككم ، فأجابه : إنا نرى إبراهيم ولسنا عبيدا لأحد فكيف تقول أنك ستصبرون أحرارا ؟ قال : الحق الحق أقول لكم أن كل من يفعل للخضينة فهو عبد للخضينة ، والعبد لا يبقى في البيت أبدا . إنما يبقى فيه الابن إلى الأبد . فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحرارا .. أنا علمت أنكم نرى إبراهيم . لكم تريدون قتلى لأن كلامي لا يقع منكم موقعا .. أنا أنكم بما رأيتم عند أبي وأنتم تمشون ما رأيتم عند أبيكم . فاجابه : إن أبنا إبراهيم . قال : لو كان أبائكم تعملتم عمله ولكم الآن تطلبون دمي وأنا إنسان كلمكم بالحق الذي سمعته من الله . هذا لم يعمل إبراهيم وأنتم تعملون أعمال أبيكم فقلوا له : إئت لم نرى من سفاح لنا أب واحد هو الله ، قال : لو كان الله أبائكم لكنتم تحبسوني لأني خرجت من قبل الله وأتيت إليكم . إنني لم أت من نفسي بل هو أرسلني . أنتم من أب واحد هو إبليس .. »

فاجابه اليهود : نحن نقول إنك سامري بك شيطان . وبعث أن قال لهم : إن من يحفظ كلامي لن يرى الموت أبدا يقولون الآن تبين لنا أن بك شيطانا . قد مات إبراهيم وأنت تقول : إن حفظ أحد كلامي لن ينوب الموت . من تجعل نفسك ؟ الملك أعظم من أبيك إبراهيم الذي مات ؟

والعبرة من هذه القصة أن السيد المسيح مضى في دعوت رُما ولم يذكر للتلاميذ أنه هو المسيح الموعود ، وأنه كان يعلم ممن يطلبون التلمذ عليه أنهم لا يدركون ما يقول ، ولا يفهمون بين لغة الحبس ولغة الروح أو لغة المحازاة ، وأنه أشفق يوما أن يفتنى عنه تلاميذه امختارون كما انفتى هؤلاء الذين أرادوا أن يحسبوا أنفسهم من التلاميذ وزعموا أنهم مثله فأنكر عليهم دعواهم وقال لهم : إنما بشرة الله بالأعمال وإنما أنتم بأعمالكم أبناء إبليس :

وقد علم المسيح أنه لن يبقى طويلا مع طلاب التلمذة عليه إلى الأبد ، وأنه لن يبقى معهم حتى يبلغوا من الدراية والإيمان تلك الغاية المتلى حتى ليس فوقها غاية فمن صمد معه أناس يضعفوا تارة ولا يحسنوا فهمه تارة أخرى ولكنهم يحسنون الظن ويترقبون الأمل في الخلاص من هذا الحريق ، فذلك على علاقتهم خبير من المتعلمين الذين يسبقون اللهم ويستكبرون ويتعرون به ليقضوا عليه .

والشائع أن التلاميذ كانوا طائفة من صيادي السمك في بحر الجليل ، والمعروف من هذا عند أناس ممن يعرفونهم بالصناعة على السماء أنهم في طبقة عمال الصيد الأميين ، ولكنه فهم متعجل مبني على قياس غير مناسب ، إذ الواقع أنهم كانوا طائفة نقرأ ونكتب وتردد على مجامع الوعظ والصلوة وتراجع ما قبل عن النوعات ، لم يبلغوا في العلم مبلغ الفقهاء في زمانهم ، وهو خير لأنهم لو كانوا من فئة زعماء لركبهم الفرور وقابوا الدعوة بالتحدي ولكابرة ، ولكنهم لم يبلغوا كذلك مبلغ الأمية الحاهلية في الغيا ، وكان منهم من نسميه في عصرنا هذا بكتاب الحسابات أو مأمور التحصيل وهو متى العشار صاحب الإنجيل المعروف باسمه ، وقدرته على كتابة إنجيل ، باللغة اليونانية كما هو الأرجح ، قدرة لا تتأني لغير المثقفين ومنهم يوحنا الذي ينسب إليه الإنجيل الرابع ، وهو ابن خالة المسيح أو من بني خؤولته ، وكان صاحب عمل ناجح في تجارة السمك شاركه فيه أخوه يعقوب كما يأخذ من إنجيل مرقس حيث يقول ،

أنهما تركا أبيهما في السفينة مع الأجراء وذهبا وراء السيد المسيح

ومنهم جيمس قريب المسيح ويوحنا و ابن الرعد ، كنا سماه المسيح لقوته في الإنذار وتشديد الكبير ، ومنهم بطرس وهو منكم جرى صلب العزيمة مدرب على حمل السلاح كما يؤخذ من بعض أخبار الإنجيل ، وكلهم كانوا على استعداد للمناقشة والمساجلة ومخاطبة الناس في أمر الدعوة ، وأكثرهم واجه الموت في عمله لتشر الدعوة ولم يحفل بمقاومة نوى البأس والسلطان

وقد استمالت الدعة إليها في عصر المسيح وبعد عصوره هاتفه من المسيحي العلماء مثل نيقوديمس عضو المجلس الأعلى ، ومثل الشبيب لوقا صاحب برعي الرسول ، ومنهم بولس الرسول نفسه وهو أستاذ في فقه لرين عالم بالتوراة ، وأكثر هؤلاء المثقفين مالوا إلى الدعة عطفا على التلاميذ المجاهدين - بين نكلت بهم السلطة لعاشمة ، لأنهم خارجون على نظام من العقيدة وهداة يحتقره أولئك المنقون ولا يجاهلون فعل المحاسبة الروحية في تقويضه أو الإحسان عليه

ومن المعاصرين من يخلوه أن يحسب السيد المسيح داعيا إلى لغضي السبسية متحلا من النظام ، لشدة إنجانه على الشريعة والجامدين فيها والمنافقين باسمها ، وقاسم أن الشريعة الفاسدة في أيدي الجامدين أو المنافقين في الغرض في صورة أخرى ، ومن يدحضها ويحى عليها لربكون من لفوضيين ولا عداة النظام .

أما البيئة في الواقع على سخط هذا الحساب فهو تنظيمه لتلاميذه وترويضه لهم على الطاعة وإنكار الذات ، وتغيبه للأعمال في محتجعه الصغير - مجتمع التلاميذ - بين أمين للصندوق ، ومشار لمطالب الجماعة ، وراع برعي خطيع في عبة السيد ، ولم فئة قبية لا تجوز العشرين مع حسابان التلاميذ وعمره من الضامن

وأدخل من هذا في باب التنظيم أنه اختار أولا اثني عشر تلميذا ثم حصار بعده سبعين ومجاهد أن ينضتوا بالدعوة اثنين اثنين في كل اتجاه ، وأنهم حين عادوا من رحلاتهم أخذهم ناحية في الجبل ليستمع منهم ويراجع أعمالهم ، ويربهم من الوصية والإرشاد

وقد جعل كل مناسبة لدعوة مناسبة لتعليم أولئك التلاميذ المختارين وكان يحضرهم على البرام من الفتنة البوقية التي يتحطم عليها نظام كرجسة وهي فتنة استنافس على الرئاسة ، فقلبه ان الأول قبله هو خدمهم الأول ، وضرب لهم مثلا هذا في تاريخ الدعوات ليقروا جماعتهم غواية الرئاسة كلما ذكره ، جمعهم في محفل ليغرس أقدامهم بيديه ، ونفر بعضهم أول الأمر ولكنهم عادر متنعوا حين علموا العبرة التي ساءها بهذه الفتنة ، وقال الذين نفروا أول الأمر من هذا لتقليد أنهم يريدون لو يامرهم بأن يطيعوه في غسل الأيدي والغوس ،

وحصر جهده كله في تفيدهم . « نكار الدات » وهو فضيلة الضابط في الأعمال العامة ، فعلمهم أن يعملوا ولا ينتظروا جزاء على عملهم ، ثم أذن لهم أن يقبلوا ضيافة البيت التي يدخلونها لسعة أهلها ، ولكنه قال لهم : « لا تحملوا كيسا ولا مبرود .. رأى بيت دخلتموه لفرلوا سلام .. رأى مدينة دخلتموها ولم يغلبكم فأخرجوا إلى سبلها وانفضوا غبارا من أرجلكم ،

وكرر لهم الوصية بالبساطة في العمل والكلام فأمرهم : « ألا يشغلوا بالهم كيف ومنى يتكلمون لأنهم يلهمون في تلك الساعة ما يقولون ، وأبصروا هم المتكلمين بل هو روح أبيهم يتكلم فيهم » .

وَهُمْ يَخْشَوْنَ غَضْوَءَهُمْ أَنَّهُمْ يَلْقَوْنَ فِيهَا مِنَ النَّاسِ فَيَكُونُوا كَالْحَيَّاتِ الَّتِي تُسْقَطُ عَلَى الْحَمَامِ ، أَمَا إِذَا جَدَّ لَهَا فَلَا يَخَافُ مِنْ يَهْلِكُ الْجَسَدَ وَيَلْقَا مِنْ يَهْلِكُ النَّفْسَ

وقد أثمرت رياضة الحب في قديم هذا الجند الروحاني ما لا تشهده رياضة القوة والصرامة في تدريب جنود القتال فخرجوا يعملون وهم يعلمون أن أربابهم في أداء الأمانة يصرفهم أمام أنفسهم ، ويصرفهم أمام الله ، وليس أقسى على النفوس من شعور بهذا الصغار .

وما هو إلا حان موعدهم ليعملوا وينتشروا في الأرض حتى خرجوا إلى كل وجهة وأمروا الرحلة في كل مكان معمر ، فعنهم من وصل إلى جزر الهند الشرقية كالرسول نوما ، وعنهم من وصل إلى مكيتية وأسيا الصغرى كالرسول اسراوس وسبهم من شغل نفسه في البلاد الأوربية فأرسل صحابته إلى أفريقية لشمالية ، وعث الدعوة مصر وبلاد العرب والعراق ، فضلا عن الدعوة في السمين .

وكنهم لم يحفلوا بخطاب أبناء البه ودية كما حفلوا بخطاب - الأمم - في
الحمل وأسبا أصغرى والإسكندرية، وأفادهم التمهيد الذى سيقم به عوائل
الأساء وأصحاب النحل السرية فى تنظيم الدعوة، فعموا كما كان يعمل الأسون
والعلاء الفيورين . يخرجون اثنين اثنين وينشرون الخلايا فى كل بقعة ،
ويحملون النصة بين تلك الخلايا بالمراسلة والزياوة ، وهنا يصح أن يتدل إن
الدعوة الجديدة استقارت من الدعوات التى سقتها فى العصر السابق لمصر
البلاد ولا جرم يكون أكرم النجاح التى أصابوه ملحوظا فى أسيا الصغرى
والإسكندرية حيث عرف من قبل نظام الخلايا والسباح المتقنين من الوعاء .

كذلك يبدو أثر « الحالة العالمية » في انتشار الدعوة الجديدة من ظاهرة رائدة
تكررت في كل أمة فقد كان المدعوون إلى الدين الجديد من جماهير الناس

سراعا إلى القبول ، حرصا على المعية والتأييد ، وقد يصحح
من قبل السلطة ، التالية ، حيث تضمن عبادة القياصرة ، عبادة الله ،

من قبل السلطة التالية، حيث تضمنت بروتوكولاً
وكان أشدهم حماسة لديه يلجأ إلى التحاملة رجاء أن يمسسه هذه المعاناة
بعض المؤمنين الذين يعرضون عن الدعوة إذا واجهتهم الصعوبة بغير تيقن .
فكان بطرس في أنطاكية بجامل المحدثين ولا يعاشر أمنا الامم كلما أحس
حول يقوم من . آل يعقوب . فربحه الرسول يولس علاقة ومزده من مخالفة
الدعوة في سبيل مرضاة الناس .

ادعوه في سبيل مرضاه الناس .
على أن مولس نفسه كان يتألف القوم ببعض المجاملة ، وكان كما قال في
سفر ديمر ، وليس الأول . استعجب موسى لجميع لكي اريد الان ان يوصي
لليهود من قبلهم في اذبح اليهود وللناموسين والناموسين ، وادبرهم كانوا يسير
ناموس ... صرحت لكل كل شيء . لعلني استخلص من كل حال قوما ...

وَمِنْهُمْ مَن لَّا يَدْخُلِ الْجَنَّةَ أَكْثَرُ أَهْلِهَا يَوْمَئِذٍ يَصْعَدُهَا خَلْقٌ مِّنَ الْبَنِي إِسْرَءِيلَ يَتْلُو آيَاتِ الْكِتَابِ يَوْمَئِذٍ يَسْتَفِيدُونَ

بعد حجر الوثنية يستقيمون على مائة الدين .
ومن دمع القرن العشريين سهولة لاتهام كلما نظروا في موارخ الأتسج
فوجدوا في كلامهم أبايا لا يسبقون وصفات لا يشاءونها ولا يعقلونها . ومن
ذلك اتهامهم الرسل بالكذب فيما كانوا يثبتونه من أعلام الممان ، أو أعجب
النقل والرواية ، ولكننا نعتقد أن التاريخ الصحيح يأنس هذا الادعاء ، لأنه أصعب
مخدفا من العدل من إلبس الزنادق رداء من بعد الكذب ، والاحتمال في فشان
عدا لخاص الذي لا يمس السوء ، بل يغضب الله ، بل العدل الذي

وعلم أنه يكذب وأنه يدعو الناس إلى الأكاذيب مثل الكاذب الذي لا يصدق نفسه .
 سميل عقيدة مدخله وهو أول من يقيم زيفها وخذاعها .
 الكثرة العاردين من يستعمل في شر دينه كما استعمله الرسل المسيحيين .
 فهذا كان المؤرخ الصالح من يأخذ ما قرب القولين إلى التصادق فاقرب القولين
 إلى التصديق هو أن الرسل لم يكنوا فيما رووه ولعبوا بالآلهة أو سموا
 حتى راد . وليس بالتجديف لئلا في كل زمان أن يخدم الإنسان عينا ما
 يصدق في فؤاده نفسه . وبخاصة حين يجمع الآلاف على مذهب ولا يوجد بين
 قائليه وسامعية من يحسه من المستحيل .

ويذكر أدياء التحيص في عصرنا هذا أننا نطلب من الرجل في القرن الأول تسبلاه أن يكتب إنسانا لغير سبب وهو يضمن إليه ولا يتهمه بالتفريق والاختلاف ، ومن التكذيب لغير سبب في ذلك العصر أن يبادر السامعون إلى تكذيب الرواة كما تحدثوا عن المعجزات ، لذلك شبيه في عصرنا هذا بمن يكتب إنسانا لأنه سمعه يتحدث عن ظاهرة فلكية وصناعية لا غرابة فيها ؛ لا سيما إذا كان المتكلم غير محبوب فيه أن يعتمد الكذب والاختلاف

إن أسخط السخط أن يقال إن دينا من الأديان قائ على الأعاجيب والخوارق ، إن تصديق الخوارق والأعاجيب هو نفس إيمان كاثوليكي الإيمان ، وما خلت دعوة دينية قط من أحداث هذه الخوارق والأعاجيب ما يعقل منها وما لا يعقل ، ولكن لم يحدث قط إقبال كذلك الإقبال الجارف الذي تلقى به الناس رسل المسيحية ، لأنه شهود بيّنات مفردة شريفة وضروا ، فمجدوا وأمدوا بسلهم بأعجوب غير مكثرين لما بهيمهم وغير متهمين في مقاصدهم ، فأصلوا إليهم وأمنوا كإيمانهم ، ولولا ثقة المسيح عليه السلام بهذا الإقبال لما أوصى تلاميذه أن يذهبوا حيث يستمع لهم وينفضوا عن أقدامهم غير كل بلد ينلقاها بأعجوب والنفور .

● الباب السادس ●

الأنجيل

الإنجيل

لإنجيل كلمة يونانية بمعنى الخبر السعيد أو البشارة ، وقد تداول المسيحيون في القرن الأول عشرات النسخ من الأناجيل ثم اعتمد أباء الكنيسة أربع نسخ منها بالاقتراع - أي بكثرة الأصوات - وهي إنجيل مرقس وإنجيل متى وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا ، مع طائفة من أقوال الرسل المدونة في العهد الجديد .

ويُرجح المؤرخون المختصون بهذه المباحث أن الأناجيل جميعا تعتمد على نسخة آرامية مفقودة يشير إلىها بحرف « ك » مخترعة من كلمة كيريل (Quelle) بمعنى الأصل ، ومنهم من يسمي هذه النسخة « لوجيا » Logia بمعنى الأقوال ، ويرى بها الألوال الشعبية التي سمعت ثم كتبت على القول الراجح عندهم باللغة الآرامية ، ويعلنون اتفاق متى ولوقا في بعض النصوص باعتبارهما مما على تلك النسخة المفقودة .

أما الأناجيل الموجودة الآن فقد كتبت جميعا باللغة نانية العامة Koine ، ولوحظ في ترجمتها أنها تعتمد على نصوص آرامية وتحافظ على ما فيها من الجرس وتوافيق المعاني والمفردات ، وتتفق الآراء على أن هذه الأناجيل لا تحتوي على ما فاده السيد المسيح ، إذ جاءت في أعمال الرسل التي تضمنها العهد الجديد كلمة منسوبة إلى السيد المسيح لم ترد في الأناجيل وهي « تذكروا كلمت المسيح : إن الغطاء مغبرط أكثر من الأخذ » .. وجاءت في الأناجيل الأخرى التي لم تعتمد كلمت من هذا القبيل . وكشفت أوراق بردية في مصر ترجع إلى منتصف القرن الثاني لا تشبه الأناجيل المعتمدة في نصوصها

وتتفق الآراء أيضا على أن نسختين من الأناجيل كتبهما مسيحيان لم يجتمعا بالسيد المسيح ولم يسمعا منه ، وهما نسخة مرقس التي دون فيها ما سمعه من بطرس الرسول بنفي ترتيب على غير قصد عنه أن تجمع في كتاب . وقد كتبها في رومة بعد مقتل الرسول وليس معه أحد من التلاميذ ، ويرواح ببيع كتابتها بين سثنى سيم وستين وسبعين

والنسخة الأخرى هي نسخة لوقا صاحب بولس الرسول ، دون فيها ما سمعه منه ، وأعله أضاف إليها جزءا من النسخة المفقودة ثم جزءا من إنجيل مرقس بعد إطلاعه عليه ، وكانت كتابتها في الأرجح سنة ثمانين .

أما إنجيل يوحنا فهو آخر الأناجيل كتابة ومراجعة . وأختر السقاء على م مكتوب بقلم دحنا تلميذ السيد المسيح ، وآخر ، يعتقد أن أنها بقلم يوحنا آخر كان من أفسس ولم ير السيد المسيح .. لأن يوحنا تلميذ المسيح هو صاحب سفر الرؤيا المؤلف على أصح الأقوال في سنة ست وتسعين ، ولا يظن أن يدغا واحدا يكتب في وقت واحد كتابين بينهما مثل ذلك التباين في المنهج والفكر

على أن الأناجيل فتن مترجم الإنجيل . طبعة أكسفورد ، يعن له أن إنجيل يوحنا هو أقدم الأناجيل ، وأنه كتبه أولا بالعبرية بين سنة ثلاثين وسنة أربعين ثم نقله إلى اليونانية ، ولكن تأخر الزمن الذي كتب فيه هذا الإنجيل ثابت من تسميته بعض ما أحدث الأناجيل ، وزيادته في التعبيرات الفلسفية ، وتوسعه في شرح العقائد التي أشرت عن بولس الرسول ، ولا يظن أنه كتب قبل سنة ست وتسعين

والترتيب المنضبط عند المؤرخين أن إنجيل مرقس هو أقدم الأناجيل ، ثم يليه إنجيل متى فإنجيل لوقا ، وهي الأناجيل الثلاثة التي اشتهرت باسم الأناجيل المقابلة ، لاكان المقابلة بين ما فيها من الأخبار والوصايا على اختلاف الترتيب ، مع العلم بأنها كتبت في الأصل برسلة يغير قسم ويغير مواضع للوقت والإلحاح . ولم تقسم إلى إصحاحات قبل القرن الثالث عشر للميلاد

وليس من أغواب أن يقال إن الأناجيل جميعا عمدة لا يعمل عليها في تاريخ السيد المسيح لأنها كتب عن سماع بعيد ولم يكتب من سماع قريب في زمن المكان ، ولأن في أصلها مرجع واحد متعدد النقلة والنساج ، ولأنها روت من أخبار الحوات ما لم يذكره أحد من المؤرخين ، كانشقاق القبور وبعث مريم هم وطوائفهم بين ناس وما شبه ذلك من الخوارق والأهوال .

وإنما الصواب أنها العدة الوحيدة في كتابة ذلك لتاريخ ، ومما من اختلاف بينها معقولة به استقصاء أسبابها والمقارنة بينها وبين آثارها ، ورفض على البسلة أصعب من قوتها عند الرجوع إلى أسباب هذا وأسباب ذاك .

فإنجيل متى مثلا ملحوظ فيه أنه يخاطب اليهود ويحاول أن يزيل نفرتهم من الدعوه الجديدة ، ويؤدى عباراته أذلاء يلائم كنيسة بيت المقدس في منتصف القرن الأول للميلاد

وإنجيل مرقس على خلاف ملحوظ فيه أنه يخاطب الأمم ، ولا يتحفن في سرد الأخبار إلهية التي كانت تحول بين بني إسرائيل المحافظين ، والإيمان بالإلهية المسيح .

وانجيل لوقا يكتبه طبيب ويقدمه إلى سري كبير ، فيورد فيه الأخبار والوصايا من الوجهة الإنسانية ، ويحضر في ذهن ثقافة السري الذي أهدى إليه نسخته وثقافة أمتائه من العلية .

إنجيل يوحنا غلبت عليه فكرة للفلسفة وبداهة بالكلام عن « الكلمة » Logos ، يوصف فيه التجسد الإلهي على النحو الذي يتفهمه اليونان ومن حضروا محاضراتهم ودرجوا معهم على عادات واحدة .

رسواه رجعت هذه الاناجيل إلى مصدر واحد أو أكثر من مصادر ، فمن الواجب أن يدخل في الحساب أنها هي لعدة التي اعتمد عليها قوم من أقرب الناس إلى عصر المسيح ، وليس لدينا نحن بعد قرابة ألفي سنة عمدة أحق حسب الأصول .

وتحس قد عرفنا على الاناجيل ولم نجد بين أدينا مرجعا أولى منها لدرس حياة الرسول والإحاطة بأشوار الرسالة وملابسيتها ، ولكننا نتبع في مراجعتها طريقة غير التي درج عليها مؤرخو الوثائق والأخبار ، فلا نراجعها من حيث هي وقائع تاريخية ولا من حيث المقاصد التي أرادها كتابها وروايتها ، ولكننا نجيب الوثائق والأخبار ونسأل عما وراءها من الإبانة عن شخصية الرسول . وفي هذه المراجعة نتفحصنا أوقائع المستغربة كما نتفحصنا الوقائع المألوفة رتبهما الأغراض المقصودة وغير المقصودة .. فهل وراء هذه الأخبار - شخصية متأسفة مفهومة ؟ إن كانت هناك علامات على تلك الشخصية المتأسفة فحسبنا ذلك من جميع الوقائع والأخبار ، وعلينا أن نفهم هنا أن التقاض في هذه المراجعة قد تكون من أسباب التصديق ، ولا تكون من أسباب الشك والإنكار . ثم يتأثر لنا أن يجعل هذه الشخصية نفسها محكا لكل واقعة ولكل خبر ولكل كلمة مروية ، فما خرج من السراء فهو فصول .

ومن الأسئلة على الاختلاف بين هذه الطريقة وبين طريقة المؤرخين الذين يظنون الوقائع لذاتها أن الغرائب هنا شيء يجب أن نبحث عنه إن لم نجده ماثلا بين أدينا ، فإن حل هذا التاريخ من الغرائب هو الذي يستغرب وليس هو المألوف الذي يدعو إلى المرجح أو اليقين . وهل يخلو من الغرائب سجل قوم يؤمنون بها ولا يشكون في وجوبها ؟

ونحب هنا أن نبين موقفنا من الخوارق والمعجزات حيث وجدت في تواريف الأديان ، فنحن نسأل هل هذه المعجزة لازمة في تفسير مسألة من المسائل ؟

فإن كان تفسير المسألة ميسورا بغيرها فلا حاجة بنا إلى لجعل في إمكان أو استحالاتها . لأن التفسير الذي يقبله كل إنسان يفرض عن التفسير الذي يضطروننا إلى امتحان الممكنات وامتحان الرواة .

أما رأينا نحن في إمكان المعجزات فهو رأينا في إمكان جميع الأسباب فمن العقل قاصر عن تحليل الحوادث بنسبائها . وليس من العقل أن يقال إن هذه الأسباب المسماة بالطبيعة هي العوامل الفعالة في إيجاد الأشياء ، وأصبح من العقل قول الفيزيائي وحده الله أن الأسباب والمسببات تحدث معا ، ولا تربط علاقتها بعضها ببعض على علامة المصاحبة والتوافق في الأوقات ، وإلا لزم أن تكون المادة ألوفا من الماديات ، كل منها مستقل بخصائصه ومؤثراته وعلاقاته بالمواد الأخرى ولا يقول بذلك عقل سليم . فإذا كان العقل لا يعقل الأسباب الطبيعية فمن الشطط أن يتعجل بإنكار المعجزات والحزم باستحالتها

ومتى ناقشناها فلتكن مناقشتنا لها كمناقشة الأسباب : هل هي لازمة لتفسير هذه المسألة ؟ وكما نقول هل هذا السبب لازم نقول أيضا : هل هذه المعجزة لازمة لفهم والتفسير ؟ وبهذا القسطاس يجب أن تروى الحوادث ويدرس تاريخ الأديان وغير الأديان

ونحن لم نتعرض لمعجزات التي وردت في الاناجيل لأن تفسير الحوادث - منساق لنا بغيرها ، فليس في الاناجيل أن معجزات السلا حملت أحدا عن الإيمان بالرسالة المسيحية بعد قيام السيد المسيح بالدعوة . وكثيرا ما نقرأ فيها أن المعجزة لا تقع المكابر ، وأن الجيل الشرير يضبط الآية ولا يعطاف وأن المعكرين كانوا يعجبون لما يروونه أحيانا ولكنهم كانوا يزعمون أنه من غير الشيطان ، بل كان من أسباب التعجيل بمضادة المسيح أنه كما قال انكبة يصنع كثيرا من المعجزات ،

وبعد فمن الحق أن نقول إن معجزة المسيح الكبرى هي هذه المعجزة التاريخية التي بقيت على الزمن ولم تنقض بانقضاء أيامها في عصر الميلاد رجل ينشأ في بيت مجر في قرية خامة بين شعب مهمل ، يتمتع بالكلمة ولا تضيق في أطرافها دولة الرومان ولا ينقضى عليه من الزمن في إنجاز هذه الفتوح ما قضاه الجبابرة في ضم قلوب واحد ، قد يخضع إلى حين ثم يتبرأ ويخلع السير ، ولا يخضع كما خضع الناس للكلمة بالقلوب والأجسام .

شرح الأناجيل

عنى الشراح الإنجيليون عناية دقيقة مضنية بترتيب لحوادث في سيرة السيد المسيح عليه السلام كما تستمد من روايات الأناجيل . ولكنهم لم يصلوا إلى ترتيب متفق عليه ، لأن سياق الحوادث مختلف في الأناجيل الأربعة ، وبعض الأناجيل قد سجلت ما سمعه كتابها في أوقات متفرقة حسيما عرض لهم من مناسبات الرواية لا حسب تسلسل الأزمنة التي وقعت فيها الحوادث . فلم يتفق ترتيب الكتابة وترتيب الحدث .

على أن حوادث السيرة فيها ما يظهر منه أنه مقدمات وما يظهر منه أنه نتائج لاحقة لتلك المقدمات ، فإذا حسبنا بعضها نتيجاً لبعض على حسب المعقول من آثار الحوادث ، أمكن على الترجيح متابعة السيرة المسيحية في خطوطها الكبرى . ولا يضيرنا بعد استقامة هذه الخطوط أن تختلف أوضاع الحوادث التي يمكن أن تضاف إلى كل فترة دون أن يتغير سياق السيرة كما أن يتغير جوهر الموضوع الذي يدور الحوادث عليه .

كان لقاء المسيح ليوحنا المعمدان مفرق الطريق في السيرة المسيحية

ولم تذكر لنا الأناجيل من أخبار نشأة المسيح عليه السلام قبل ذلك اللقاء غير حادثين اثنين ، إحداهما حادثة اسفر إلى مصر وهو رضيع ، والأخرى حادثة السفر إلى بيت المقدس وهو في الثانية عشرة من عمره .

روى الحادثة الأولى إنجيل متى فقال إن « ملاك الرب ظهر ليوسف في حلم قائلاً : قم وخذ الصبي وأمه واهرب إلى مصر . لأن هيرودس مزع أن يطلب الصبي ليبيته » . فقام وأخذ الصبي وأمه ليلاً وانصرف إلى مصر . وبقي فيها إلى وفاة هيرودس . ثم قال « وقتل هيرودس جميع الصبيان الذين في بيت لحم وتخومها من ابن سنتين فما دونهما » .

ولم يذكر خبر هذه المذبحة في غير إنجيل متى . ولا يعرف الآن سبب وجود الأسرة في بيت لحم - وهي من الناصرة - لأن الإحصاء الذي أشار إليه إنجيل لوقا وقال إنه سبب انتقال كل أسرة إلى مدينتها قد تقرر في السنة السادسة للميلاد وحدث من جرائه ثورة عنيفة على عهد والي سورية كرينيوس

أما الإنجيل الذي توسع في وصف طفولة السيد المسيح فهو إنجيل لوقا الذي روى أخبار خضاه وتسميته و سفر به إلى بيت المقدس : « فلما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سمي يسوع » . « وتمت أيام التطهر حسب الشريعة الموسوية » فصددا به إلى اورشليم لتقديمه للرب . « ويقدموا ذبيحة زوج يماه أو فرخى حمام » وروى القويان المقيرون من الفقهاء

قال إنجيل لوقا : « وكان أبراه يذبح كل سنة إلى اورشليم في عيد الفصح » فلما كانت له اثنتا عشرة سنة صدر إلى اورشليم كعادة العيد . وبقي الصبي عند رجوعهما في اورشليم ويوسف وأم لا يعلمان . وإذا طناه بين الرفقة ذمياً مسيرة يوم وكانا يطلبانه بين الأقرب والمعارف . ولما لم يجداه رجعا إلى اورشليم يطلبانه . فوجداه بعد ثلاثة أيام في الهيكل جالسا في وسط المعلمين يسمعونهم ويسألهم . وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته . فلما أصره دهشا وقالت له أم : يا بني لماذا كنت بنا هكذا . فقال لها : « لماذا كنتما تطلبانني ؟ ألم تعلمتا حيث ينبغي أن تكون قوما لأبي » . فلم يلهمما الكلام الذي قاله لهما . ثم نزل معهما وجاء إلى الناصرة وكان خاضعا لهما وكان يتقدم في الحكمة والقوة والنعمة عند الله والناس . .

ولا يذكر الإنجيل شيئا عن نشأة نصبي بعد ذلك إلى أن بلغ ثلاثين وخبر يوحنا « بمعمودية النوبة لمعمدة الحمايا » . وحينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن ليعتمد منه - كما ورد في إنجيل متى - فمنعه يوحنا قائلاً : أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إلي ؟ فأجبه يسوع تسمح الآن . لأنه هكذا يصل بنا أن نستوفي كل بر . فسمح له . فلما عمد يسوع صعد للوقت من الماء . وإذا السماوات قد انفتحت له فرأى روحاً نازلاً مثل حمامة وأتيا عليه . وصوت من السماوات يقول : هذا هو ابني المحبوب . .

وفي إنجيل غير الأناجيل الأربعة المعتمدة - وهي إنجيل العبريين - رواية عن هذه الفترة من سيرته عليه السلام جاء فيها أن أمه وإخوته قالوا له إن يوحنا المعمدان يوالى التعميد لغفران الخطايا فهل بنا إليه ليعمدا . فقال لهم : أي خطيئة جئتم حتى أذهب إليه لتعميدى ! اللهم إلا أن يكون هذا القول الذي قلت . .

وليس في الأناجيل ولا في غيرها خبر عن تعميم السيد المسيح في طفولته قبل الثانية عشرة بعدما . ولكنه بالقياس إلى نظام التربية في ذلك العصر بدأ

في مكتب ملحق بأديعة في كل قرية كبيرة بشوف على بيعتها ، حزان «أو
«خزان» بمعنى الخازن والحارس ، ويندر في المكتب حصـ ول التلميذ على
النسخ المخطوطة من الكتب الدينية غير نسخة السعة المعدة للتلاوة منها في
الصلوات والاستعانة بها على تعليم التلاميذ الصغار ، ومعونه جميعا على
الحفظ والاستظهار .

لقد كانت كل أسرة يهودية تتحنن في ذلك العصر أن يخرج منها المسيح
انتظر ، وقد سمي الخفل يسوع أو «يهوشع» ، على هذا الأمر ، لأن الاسم
مركب من كلمتين تفيدان معنى سعى «يهوا» أو نجدة «يهوا» أو خلاص
«يهوا» فتربى لأقل تربية دينية خالصة ، ولا يصعب عينا تعليل سفر الأسرة
إلى بيت لحم عند مولده ، لأنها تنتظر المعجزة هناك ، حيث ورد في أسفار من
النبوءات أن بيت لحم هو مولد المسيح الموعود ، لأنها موطن دار .

ولا يبعد أن الصبي المبارك وكان في الثانية عشرة من عمره ، قد وعى جميع
البروس التي يتعلمها لسان في مدارس القرى واستمع إلى شىء جديد من
فقه الهيكل وأخباره ، فتأقت نفسه إلى استيعابه ونسى أمه وموعده عودتهم
إلى قريتهم وهو يتنقل بين روس الغباء والأخبار .

ويجب على الضأن أنه كان على صلة وثيقة ببوحد المعمدان ، وأن يوحنا قد رآه
وعرفه وعرف فصله وظهارة سيرته قبل أن يلقاه في الأردن عندما تمسح
برسالة التعميد ، وهي بضييعها رسالة إعداء وتمهيد .

ومن البديهي أن كمات يوحنا مع الفتى ابن الثلاثين في ساعة العميد لم
تذهب بغير صداها في نفسه الواعية ، فمن أيسر آثارها في مثل تلك النفس أن
تعزز فيها الآراء وتدعم فيها الحفـ وتبعث على التأمل فبسا خلفت له وفيما
ترجوه ويرجى منها بين البشر والنز التي ترددت يومئذ في كل مكان ، وعلى
كل لسان .

وخلوة البرية في إحدى نتائج تلك النحية النبوية ، وهي خلوة التجربة
والامتحان والتساؤل والاستيقاظ التي عالجت كل نبي قبل أن يصدر بما أمر به ،
وقبل أن يستيقظ أن ما أمر به من عند الله .

ونعتمد في وصف هذه التجربة على رواية إنجيل متى حيث يقول : «إنه عليه
السلام بعد أن صام في البرية أربعين ليلة جاع أخيرا فنقدم به المجرب وقل
له : إن كنت ابن الله فقل لهذا الحجاره تصير حيزا ، لأجابه : مكتوب أنه ليس

بالخز وهذه يمينا الإنسان ، بل بكسة تخرج من فم الله ، ثم أخذه إبليس إلى
مدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل وقال له : إن كنت ابن الله فصرح
نفسك من عل ، لأنك موعود أن يرعى ملائكته بك ليحطوك على أيدي ملا
تصطدم رجل بحجر ، قال يسوع : ومكتوب أيضا ألا تجرب الرب أنت لم
أخذه إبليس إلى جبل عال وأراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له أعمد
هذه جميعها إن سجدت لي ، قال يسوع : أغرب عن أيها الشيطان ، فإنه
مكتوب للرب إلهك تسجد وياه وحده تعبد .. » .

قال إنجيل متى بعد ذلك : ولما سمع يسوع أن يوحنا أسلم لهرود اصغرف
إلى الحليل وترك الناصرة وسكن في كفر ناحوم ، وابتدأ رسالته داعيا إلى
توبة ، لأنه قد اقترب ملكوت السموات .

كان لقاء يوحنا المعمدان مفروق لطريق في السيرة المسيحية كما اسفـ ،
فكانت سيرة البشر المؤمن قبل ذلك اللقاء تأميا واستعدادا وأملا ، وكانت
سيرته بعد اللقاء رياضة وامتحانا وعزيمة ، وردته كمات التي التزم إلى
طريقه بسر أغوارها ويحتن صدرها ويسائلها ويسائل الغيب ليهدى إلى كنه
رسالته ومصدر بعته ، ويسوس له التجربة أن يطلب الآية ويلمس الليل ويش
تحيرة من هذه التجارب التي مثلتها بساطة الرواية الإنجليزية . تدور على سر
لرسالته له . تجربة وما أحط بها في كتب القدامى من البشار والموعـ . ثم
يكن رجاء الناس من المسيح الذي ينتظرونه أن يعم الخير ويبطل نعمته في
الأزواق ويصبح الحزن لقي من يطلب كحجارة الطريق ؟ ألم يكن من
نواييد المسيح أن يقبل على السحاب محمولا على أجنحة الملائكة : ألم يكن
من مواعيده ملك العالم بالراح وانصولجان ؟ .. كل تجربة من هذه لتجرب
كانت هي التجربة التي تساور ضميرا مشغولا بالرسالات المسيحية ، ونفا
على قبة الإيمان وشفا النايوة وفي لحظة واحدة ، تغريه من هذا رسالة حسن
وسلطان ومساومة على البراهين والآيات ، وتعصمه من هذا رسالة روح وقد له
ويقين لا يساوم على البرهان .

أ تكون كلمات يوحنا للمسيح أول وحي نوى بالرسالة المسيحية ؟

واضح غاية الواضح أن هذه لكلمات الحية لم تطرق مسامعه إلا وقد فتحت
في نفسه الصانعة بابا للتأمل والتساؤل ، وأن فترة الخلوة في البرية على أثر
ذلك كانت فترة اعتكاف لاستخلاص الحقيقة من أعماق الضمير والاستماعة

بالصيام والتجهد على مناجاة الغيب والاستقرار على مزية خالصة للإقدام على خطوة حاسمة يريد بها الله ويطلب فيها الإبهام والإحجام .

وعندنا أن أنفس خسر يعين على التعريف بمنهاج الإيمان في نفس الرسول العظيم هو هذا الخبر عن تجربة الوحدة في البرية ، فهو يفسر لنا مواقف السيد المسيح جميعا قبل الإقدام على خطواته الحاسمة ، أو يفسر لنا منهاج الإيمان بدواعي العمل في ضميره السليم .

إنه إذا أقدم على أمر من الأمور الحاسمة أطال التفكير فيه ، ولم يزل يطيل التفكير فيه ويقلب وجوه الروية والمراجعة حتى يخطر له أن العمل مرهون بانتظار أية يستوثق بها من إرادة الله ، وعندئذ يباير إلى نبذ هذا الخاطر بغير هرواء ، لأن العامل الذي يتوقف عمله على انتظار أية ضعيف الإيمان ، ومن كان قوام نفسه أن مثقال حبة خردل من الإيمان ينقل الجبل من مكانه ويخلع الشجر من منبته فلن يكون إيمانه معتمدا على أية يراها قبل أن يعمل عمله ويتجرد لمقصده ، وبخاصة حين يبدو للنفس أن الآية منتظرة لانتفاء الخطر وضمان الأمان . فالخطر إذن أحب من الشك ، وكشئ . إذن أسلم من الأمان الذي لا يأتي بضمان من البرهان

وكما بلغ السيد المسيح من تفكيره ورويته هذا الحد الفاص فمنهاجه الجدير به هو استخارة الحوادث واستلهاام الغيب من هذا الخريق ... ليفعل ما يتوقاه ولا يشترط شرطا للوقاية ، ليفعل الله ما يشاء ، لما يجري بعد ذلك كله هو إرادة الله .

خرج السيد المسيح من العزلة إلى الرسالة ، ولم يقل لأحد إنها رسالة مسيح ، بل سكنت عن ذلك حتى تسامع الناس بدعوته وأصبح له أكثر من ثمانين تلميذا يمشرون برسالاته ويستمدون الهداية من وحيه

واضططبت رسالته الأولى في الحلس بصيغة مميزة وهي صيغة الرسالة القومية إلى إسرائيل ، وحرص عليه السلام أشد الحرص ألا يشير الناس على السلطان الحكم ولا يشير السلطان الحكم عليه ، فكان يؤثر المباعده والتقية ما استطاع ، حتى بلغ الكتاب أجله وأن أن يمضي في خطوة أخرى بعد الخطوة الأولى التي انتقل بها من العزلة إلى الدعوة بين بني إسرائيل ، فهذه الخطوة التالية هي الدعوة الإنسانية العامة وهي استخارة لحوادث واستلهاام للغييب في ميدان أوسع وأبقى ، وعلى الصفة التي ثبتت له في طوية ضميره وهده إله وحى الله ، ولم يبق إلا أن تؤيدها حوادث القدر كيف شاء .

أما الصفة التي ثبتت له عليه السلام في صوية ضميره فقد تكررت في كلامه عن نفسه على صور شتى ، فهو نور العالم وضمير الحياة ، وإكرامة الحقيقة ، وهو بين الله وبين الإنسان .

والأبوة الإلهية قد وردت في مواضع متعددة في كتب الأناجيل ، فحاء في سفر التكوين أن الملائكة أبناء الله ، وأن أبناء الله رأوا بنات الناس حسنات فاتخذوا منهن زوجات . (٦ تكوين)

ورد في كلام موسى عليه السلام أن بني إسرائيل جميعا أبناء الله حين فاز لفرعون . مع ابني يخرج . ووردت بهذا المعنى في كتب أخرى كسفر التثنية حيث جاء فيه : أتم أبناء الله . (تثنية ١٠) وأشار إلى الشعب كله بأنهم أبناء ومثانه (٢٢ تثنية) . ووردت كذلك غير مرة في الانجيل حيث قيل : قدنيا للرب يا أبناء الله . (٢٩) . من يشبه الرب بين أبناء الله . (٨٩) .

وكذلك وردت في فوشع وجاء فيه من خطاب الشعب : أنتم أبناء الله الحي . أما في العهد الجديد فمقاطعة الله باسم الأب وردت في صلاة التي تبتدى بدعاء الله . أبانا الذي في السماوات . وحيث قال السيد المسيح لللاميذ إن : « أباكم واحد هو الذي في السماوات » حيث تكلم عن ولادة الروح وولادة الجسد وكل ولادة لروح في سنة له

أما ابن الإنسان فقد وردت في كتب العهد القديم باللغة الأرامية وباللغة العبرية ، وهي بالأزعية : ماراشا . من - ر بمعنى ابن وذو - بمعنى إنسان وهي بالعبرية : ابن آدم . وتطلق في كل تلمتين على الإنسان الخالص أو على الإنسان من حيث هو نوع يقابل أنواع الأحياء

وقد وردت تسعين مرة في سفر حزقيال حيث يخاطب : بهوا . ذلك الرسول فيثنيه بأبن الإنسان

وردت مرة في سفر نبال بلسم حبريل وهو مخاطب النبي باسم ابن الإنسان (٨)

وردت في هذا السفر باللغة الأرامية حيث يتكلم عن مخلوقات بصور الحيوانات ثم ينبر عن رسول يأتي في سرورة إنسان راه خبي في رؤى النير . على سحاب كابن إنسان . جاء بسلطان لن يزول

أما في كتب العهد الجديد فقد وردت في مواضع بمعنى : الإنسان . منه : قول السيد المسيح في حلس متى : أكر حصص وتجريف . بمعنى الناس . وس .

كلمة على ابن الإنسان يغفر له ، وأما من قال على الروح القدس قلن يغفر له لا في هذا العالم ولا في العالم الآتي » (١٢) .

وقد جاءت أحيانا مرادفة لصمير المتكلم « أنا » حين يتكلم السيد المسيح عن نفسه ، فجاء في لوقا ١٢ ... كل من اعترف بي قدام الناس يعترف به ابن الإنسان قدام ملائكة الله » وجاء في متى ١٠ - كل من يعترف بي قدام الناس اعترف أنا أيضا به قدام أبي الذي في السماوات »

ورود في متى ٢٦ : إنه لما جاء يسوع إلى نواحي قيصرية فيلبس سأل تلاميذه قائلا : من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان ؟ .

ورود في مرقس ٨ : ثم خرج يسوع وتلاميذه إلى قرية فيصيرية فيلبس وفي الطريق سأل تلاميذه قائلا : من يقول للناس إنى أنا ؟ .

فهى في بعض الأناجيل مرادفة أو بديل من ضمير المتكلم حين يتكلم السيد عن نفسه ، ولابد أن يلاحظ هنا أن التلاميذ قد عرفوا استخداما في هذا السياق فلم يتبنوا السيد المسيح قط باسم ابن الإنسان

وقد رددت حينها بمعنى يشبه معناها في نبوة دانيال حيث قال « كما يجمع الزوان ويحرق بالنار هكذا يكون في انقضاء العالم ، ويرسل ابن الإنسان ملائكته ليجمعون من ملكوته جميع المعثر والاثمين » (متى ١٣)

وهي إشارة كإشارة دانيال إلى يوم الدينونة . وصيغتها بالأرامية واحدة في الموضعين .

هذه هي الأسماء التي تسمى بها السيد المسيح في إبان دعوته الأولى أو عند نهايتها ، وهي أثناء هذه الدعوة كان يدعى بالمعلم الصالح أحيانا فيقول : لماذا تدعوننى صالحا ؟ ليس أحد صالحا إلا واحدا ، وهو الله .

وعند نهايتها سأل تلاميذه عما يقوله الناس عنه ، فلما قال له بطرس إنك أنت لمسيح ابن الله باركه ثم أمرهم بالكتمان .

وغنى عن القول أن هذه الأسماء إنما كانت تفهم كما تعود قراءة الكتب الدينية أن يفهموها في ذلك الحين ، ولم يوص السيد المسيح تلاميذه أن يفهموا منها غير ذلك حين يذكرون « ابن الله » أو « ابن الإنسان » .

لما جرت الأمور في مجراها الذي استقامت عليه الدعوة في الجليل من بعد الرسالة المسيحية لمخت هذه الرسالة في طريقها سنوات ثون أن تشتبك في حرب سراج مع دولة الكهانة في بيت المقدس .

ولكن الحوادث حكمت حكمها في السنة التي تحسب الآن سنة ثلاثين للميلاد . وكان موعد عيد الفصح وزيارة بيت المقدس كما جرت عادة الأسر اليهودية . ومنها أسرة السيد المسيح : أمه وإخوته وثيو قرياه .

وكان عليه السلام يجارى أسرته في هذه الشعائر التي لا ضير فيها ، وقد يكن يهيب على الناس في المحاضرة على الماثورات التي تعودوا أن يحتفل بها ويفرحوا فيها بالاجتماع وتبادل التهئات . وإنما كان ينكر من الماثورات ما كان فيه حصر على الضمائر أو مخاضرة بالتقوى الكاذبة والنفق المكشوف . وبما عدا هذا كان يشارك أسرته في أفرادها اقيمية ويذهب إلى الهيكل ويأمر بشراء القربان ، به يأمر بسداد الفضة التي كانت تفرض على كل رأس من رؤوس بني إسرائيل .

وفي سنوات منمت زار بيت المقدس وقد يذكر قط أنه تخلف عنه في إحدى سنوات منذ بشر برسائله في الجليل . وكان يذهب مع أصحابه لقلائل . يعود إلى الجليل ثون أن يحس زيارتهم سمة الهيكل . وثيو الشأن في العاصمة الدينية ، وثون أن يشتت الفريقان في بضر .

لكن كيف يكون الذهاب إلى بيت المقدس في هذه السنة ؟

به لا يذهب إلى العاصمة هو وأصحاب كما كانوا يذهبون في السنوات السابقة .

إنهم يمدون الآن بالكوف في أنحاء الجليل ، وإذا قدرنا أن نبقا وثمانين مسيحيا يمدون من التلاميذ فالمسيحيون الذين لا يمدون مذهب قد يبلغون عشرة ضعاف هذا العدد أو يزيدون .

فكيف يذهب هؤلاء الممدت مع معلمهم إلى بيت المقدس خفية بتسللون إليها ولا يعلنون ولا يعلم للمعلم الذي يحج معهم إلى المدينة ؟ ولماذا هذا التسلل وهذا الاختفاء .

هنا موقف من المواقف التي سميت مراقبة استهتام العيب واستخارة الحوادث .

أيذهب إلى بيت المقدس مع مئات التلاميذ والأنبياء سنكرنا لرسالة حزرا من إعلانها مع هذا الجمع الذي لا يسهل معه التخلي والاستتار ؟

وماذا يقع من أثر التخلي والاستتار في نفوس المؤمنين برسائله الروحية إن لم تغل برسائله المسيحية ؟!

أيؤمن أحد منهم أن رسالة روحية أو مسيحية نعم العالم في الخفاء ، وتستمر
لسبب من الأسباب . فضلا عن السبب الذي يسبق إلى الأذهان لأول مرحلة ،
وهو الحذر والاتقاء ؟

وجب الذهاب إلى بيت المقدس ووجبت العلانية ولا محمد عن الواجبين ،
ولكن الآية الإلهية ما تسفر عنه الحوادث بعد حين

وأول شيء على أن الموقف الأخير في الرسالة المسيحية كان على منباج
السيد المسيح في أمثال هذه المواقف - موقف 'ستخارة الحوادث' - أنه غلبه
السلام سهر ليلة الرداغ بصلی رينا جی ربه قائلا : « اعبر عني هذه الكنيسة يا
أبتاه .. كما تريد أنت لا كما أريد .. ثم أيقظ تلاميذه النيام وقال لهم
« اسهروا وصلوا لتلاذخوا في تجربة » أما الروح لنشيط وأما الجسد لضعيف »

وقد أعد عدته لمواجهة أعدائه حيث ديد أن يواجههم . وأعد العدة لاستثناء
عزيمة تلاميذه . فطلق يهبي أذهانهم لاحتمال ما يلاقونه من بلاء ، وصرف عن
أذهانهم أنها غزوة فتح تنجلي عن غلبة عاجلة على دولة الكهانة النبوية ،
فليوطنوا أنفسهم إذن على أسوأ ما يكون ، بر لا يئأسوا إذا غلبهم الضعف
فتفرقوا عنه ، ولا يخامرهم الظن أنهم إذن قد خسروا المعركة وانتهزوا هزيمة
الضياغ . فهذا الضعف مقدور يتبعه لا محالة نصر قريب

وتروى الأناجيل أنه غلبه لسلامه دخل إلى بيت المقدس على ظن أنار كما
جا . في بعض انحرافات عن مركب المسيح الموعود . وأنهم كانوا يحسون
الضعف أمامه ويفرشون ثيابهم تحت رجل مضته ، ويتغنون بيتف النصر
الذي يحفظه اليهود منذ الطفولة ، ويتغنون به في الموكب والمحفل لذكرى
داود ، وذكرى مجده المستعاد إلى آخر الزمان

ونفهم من وصايا السيد المسيح أنه ظل في بيت المقدس يرمى للكهنة
والفقهاء مكائهم ولا يفلتهم على ما هم حريصون عليه من حفرها ودغارها ،
لفي إحدى هذه الوصايا يقول مخاطبا الجميع ولتلاميذ : « على كرسي
موسى جلس الكتب والفريسيون فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه واحفظوه ،
ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون »

ولم تسمع منه في رواية الأناجيل كلمة واحدة بغير هذا . خنطه لنفسه في
حكيمه احتشورة عما لفحص وما له فكر ما سمع منه من بيت المقدس بعد
ما أسلفه من بيان الملكوت الذي يدعو إليه . وأنه من غير هذا الإلهام ، ولا شأن
له بسلطان التيجان والعروش ،

إلا أنه من اللحظة الأولى في بيت المقدس لمس مكان الإشراف التي ترصد
في كل خطوة ، وعرف من الأسئلة التي كانت تنهال عليه أن القوم ياتصرون به
لإملاكه . إذ كانت هذه الأسئلة جميعا تنزع إلى هدف واحد وهو استدراجه إلى
كلمة تثبت العصيان والتعدي على السلطة أو كلمة تثبت الكفر ، ونقض الشريعة
وكانت أجوبته كلها على ما تعودوه في مواضع العنت والإحراج تستند إلى حجة
وتستقيم مع غايته ورسائله وتدخل من يحاول إحراجه وتهتك ما يستره من حجب
الرباء . ولا يبعد أنه قد سمع من بعض رؤساء الهيكل تفصيل المؤامرة المحيكة ،
لأن أحدهم وهو - بيثودينوس - كان يزوره بيلا ، ولعله واحد من كثيرين .

ثم حدث ما لابد أن يحدث في عيد كذلك . بين أناس متفهمين وأناس
متجربين لدعوة جديدة يتطوعون لشهرها ويحمسون لمصاحبها . فاشتبك السيد
لمسيح وسماصرة الهيكل في معركة أدبية لم يلبث أن انقلت إلى معركة يدوية .
فقلب عليه السلام مواضع الصياغة وباعة الضحايا وصاح بهم وبسماصرة
الهيكل بذكره أنه في بيت الله . وأنه نقلوه من معبد صلالة وطهارة إلى
مفارة صوص .

وكانت هذه هي الواقعة الفاصلة على ما يظهر . وربما معنى إليها السيد
المسيح تقريبا للوقوف على وجه من الوجوه ، فامتلات الصدور المزعجة
واتخذت من ذره اغتنة ذريعة إلى عمل عاجل . وبدأ العمل على التحر الذي
تعرفت فيه أفرد النقلة ولرواة .

وهنا ينتهي سرد التاريخ ويبدأ دور العقيدة .

فليس للتاريخ كلمة واسعة في خبر من الأخبار التي أعقبت حادثة الهيكل
وحركت كمانه لسطح والنكابة

لفي حادثة الاعتقال لا يدري متبع الحوادث من اعتقله ومن دل عليه . وهل
كان معروفا من زيارته للهيكل أو كان مجبولا لا يهتدي إليه بغير دليل .

وفي حادثة المحاكمة يجري الضر على أنه حوكم بالليل وصدر الحكم في يوم
واحد ويجري نضاد القضاء الموسوي على تحريم لمحاكمة الليلية وإسقاط كل
حكم يصدر في قضايا الدم بعد جسة واحدة في يوم واحد ، ولا ينفذ الحكم
في هذه القضايا إلا إذا صدر بالإجماع

وفي حادثة استنفيد يجري الضر على أنه قد تم على الرغم من إعلان الحاكم
الروماني براءة المحكوم عليه . وبئول إنجيل يوحنا إن تسليمه للتنفيذ كان في
نحو الساعة السادسة ، ويقول إنجيل مرقس أنها كانت الساعة الثالثة فصلبوه .

واته بحث الأستاذ ريشارد هرباند Husband في كتابه « محاكمة المسيح »
تواريخ عيد الفصح في خمس سنوات من سنة سبع وعشرين إلى سنة ثلاث
وثلاثين ، فتبين أنه كان يوم خميس سنة ثلاثين وكان يوم جمعة سنة ثلاث
وثلاثين ، والأخبار تجرى على أن المحاكمة والصلب حدثا يوم جمعة وأن تناول
عشاء الفصح كان مساء خميس يرافقه السادس من شهر أبريل أما السنوات
الأخرى غير سنتي ثلاثين وثلاث وثلاثين فقد جاء العيد فيها يوم الأربعاء سنة
سبع وعشرين ويوم الإثنين سنة ثمان وعشرين ويوم الأحد سنة تسع وعشرين
ويوم الثلاثاء سنة إحدى وثلاثين ويوم الإثنين سنة اثنين وثلاثين
ومن الأخبار عن يوم التنفيذ أن الأرض زلزلت وأن القبور فتحت وخرج منها
القديسون يمشون بين الناس .

وروي نقلة الأخبار أن القبر فتح في اليوم التالي فلم توجد فيه جثة ، وأن
لسيد المسيح ظهر للسلامة مرات وقال لهم لما توهموا أنه طيف - جسموني
وانفلروا فإن الروح ليس له لحم وعظام ، ... وسألهم أعينكم هنا طعام ؟
فناولوه جزءا من سمك مشوى وشبعا من شهد غسل فأخذ وأكل ، ٢٤ لوقا .

وقد تناول هذا الموضوع طائفة من أقطاب العلم واللاهوت كالفنس شماين
الإنجيلي Cheyne والأسناد هنريك بوليس Paulus أسناد اللغات الشرقية بجامعة
جينا والدكتور وجمال المخصص بالدراسات الآثرية في مصر والشرق الأدنى
والدكتور هوجرتول Teul السويدي وغيرهم من علماء الدين والدراسات التاريخية
فانتهوا إلى التفرقة في أخبار هذه المذبذبين وجهة التاريخ ووجهة الاعتقاد .

ومن الأخبار التاريخية خبر لا يصح إغفاله في هذا الصدد ، لأنه محل نظر
كبير ، وهو خبر الضريح الذي يوجد في طريز « خان يار » بخاصة كشيمير
ويسمونه هناك ضريح النبي أو ضريح عيسى ، وروي تاريخ الأعظمي الذي دون
قبل مائتي سنة أن الضريح لنبي « اسمه عوس أصاف » ويتناقل أهل كشيمير
عن آبائهم أنه قدم إلى هذه البلاد قبل ألفي سنة ، وينقل المولوي محمد علي
في ترجمته للقرآن الكريم عن كتاب عربي يسمى « إكمال الدين » محفوظ من
ألف سنة عن اسم « عوس أصاف » مذكور فيه وأنه قال عنه أنه رحالة ساج في
بلاد كثيرة ، وأن كتاب « برلام ديوشافاط » في صفحة (١١١) يذكر عن عوس
أصاف أنه صاحب « بشري » وأنهم يحفظون مثلا من أمثاله في نعيمه يشبه
مثل السيد المسيح عن الزارع والخبير .

ولقد أورد المولوي محمد علي هذا التعليق في تفسير الآية الكريمة

﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ آيَةً فِي رَسُولِهِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَمْنَعْ مِنِّي وَالْغَافِلِينَ ﴾

(المؤمن - ٥٠)

وأورد تعبيرا يقرب عنه في تفسير قوله تعالى :

﴿ إِذْ يَقُولُ لِرَبِّكَ وَرَبِّكَ ﴾

(آل عمران - ٥٥)

وغرهما من الآيات القرآنية التي تناولت حياة عيسى ابن مريم عليه السلام

* * *

وبعد فقد اكتمل مقصودنا على غرض واحد ، وهو جلاء العقيدة المسيحية
في صورة عصرية ، فظهر الآن كما نفهم العقيدة على أقدارها ودرجاتها
ولقد قل لبب نظير هذه العقيدة العامة في تواريخ الأزمان قاطبة ، ولا يزال هذا
الغرض المجيد متسدا للتوفيق والتجلية من تراجمة ، فإن كتبكم لا توفق
لزيادة شر ، إلى هذه الذخيرة القدسية ، فذلك حسبنا وكفى ولا حاجة بنا في
هذه الصفحات إلى إثارة الجدل في مسائل لا نرتد بالمقصد الذي قصدناه
بقصرنا الرسالة عليه

ولا نستطيع كما سلفنا أن نقرر على وجه التحديق من الذخيرة التاريخية
كيف كانت نهاية السيرة المسيحية ، ولكننا نستطيع أن نقرر على وجه تسبيق
أنها انتهت في موعدها حيث أصلها التاريخ إليها ، فقد كان ذلك الحبر آخر
جيل قدمت فيه دولة العممية الدينية التي تحتكر هداية الله ورحمت سلال
واحدة من بهاء الله وحواء ، وأول جيل عمت فيه الدعوة إلى هداية إلهية تحيط
بكل من يهتدي من بني الإنسان ، فلم تنقض أربعون سنة حتى نعت ديانة
الأثرة العممية وشي على الهيكل الذي اعتصمت به وتصدت فيه ، ثم قامت
للضمير الإنساني دعوة حية تبسط نورها كمد ينسج نور الشمس كل ناظر
وكل مستطير ، ولحكمة ما ألهم داعيها أن يتسمم كلما تكلم عن نفسه بأبن
الإنسان

● في الختام ●

لوعاد المسيح

فى إحدى روايات الكاتب الروسى العظيم - دسْتينسكى - بطل من أبطال الرواية يتخيل أن السيد المسيح عاد إلى الأرض فى طينة عابرة ونزل بأشيبيلية فى إبان سطوة التفطيش ، لوعظ الناس وصنع المعجزات وأقبل عليه الضعاف والمرضى والمحنون بلثمون قدميه وسألونه العون والرحمة .

وأنة ليمضى بين الشعب بصفى عليهم حبه وحنان ويسطون له شكاياتهم ومخاوفهم إذا برئيس ديوان التفطيش - المفتش الأعظم - يعبر بالمكان ويتأمل السيد والشعب من حوله هنيهة ثم يشير إلى الحراس ويأمرهم أن يعقلوه ويودعوه حجر السجناء فى انتظار التحقيق .

ويأتى المساء فيذهب المفتش الأعظم إلى الحجرة ويقول للرسول الكريم : إننى أعرفك ولا أجهلك ، ولهذا حبستك ، لماذا جئت إلى هنا ؟ لماذا تعوقنا وتلقى العثرات والعقبات فى سبيلنا ؟

ثم يقول له فيما يقول : إنك كلفت الناس ما ليست لهد به طاقة ، كلفتهم حرية الضمير ، كلفتهم مؤنة التمييز ، كلفتهم أن يعرفوا الخير والشر لأنفسهم ، كلفتهم أروع المساك فلم يطيقوا ما كلفتهم وشقيت مساعيهم بما طلبت منهم والآن وقد عرفنا نحن داهم وأعفيناهم من ذلك التكليف ، وأعدناهم إلى الشرائع والشعائر ، تعود إلينا لتأخذ علينا سبيلنا وتحديث من جديد بحديث الاختيار وحرية الضمير ؟

ليس أثقل على الإنسان من حمل الحرية ، وليس أسعد منه حين يخف عنه حملها ويتقاد طائعا لمن يسلمه الحرية ويوهب فى الوقت نفسه أنه قد أطلقها له وفرض إليه الأمر فى اعتقاده وعمله ، فلماذا تسوء الإنسان من جديد أن يفتح عينيه وأن يتطلع إلى المعركة وأن يختار لنفسه ما يشاء ، وهو لا يعلم ما يشاء ؟

إنك منحتنا السلطان قديما وليس لك أن تسترده ، وليس فى عزمنا أن ننزل عنه ، فدع هذا الإنسان لنا وارجع من حيث أتيت ، وإلا أسلمناك لهذا الإنسان فدا وسلطاناه عليك وحاسبتناك بآياتك وأخذناك بمعجزاتك ولترين غدا هذا الشعب الذى لثم قدميك اليوم مقبلا علينا مبتهلا لنا أن نخلصه منك وأن ندينك كما ندين الضحايا من المعبدين والمحرومين .

قال إيفان كرامزوف بطل الرواية التى تتخيل هذا الملتقى وهذا الحوار : أن السيد المسيح لم ينبس بكلمة ولم يقابل هذا الوعيد وهذا العداء بعبوس أو

ازوار ، ونقدم إلى المفتش الأعظم - وهو شيخ فان فى التسعين - فلثم شربه وخرج إلى ظلام السيرة وغاب عن الأنظار .

خلاصة لما تخفيه الكاتب العظم فى خطاب طويل منلوه بحكمة الحياة كما يراها الحكماء ، من الطرف الآخر الذى يقابل الحكمة المسيحية : حكمة الرسول الكريم

ولا نحسب أن الخيال فى هذا الخطاب العجيب بعيد من الحقيقة ولا نستبعد ما قاله المفتش الأعظم حين ألقى الرسول الكريم أن يسلمه لمن يشور عيه ويصحب عليه الويل ولغضب ، بعد أن أحاط به ولثم قدميه وتوسل إليه

كلا . إن الخيال فى ذلك الخطاب العجيب غير بعيد من الحقيقة وأقرب شيء إلى طياع الناس أن يصنعوا ذلك نصيب وأن يتبعوا المفتش الأعظم فى لقائه على الرسول الكريم

وأقرب شيء أن يكون ، لو عاد سيد المسيح إلى الأرض ، أن ينكر الكثير مما يعمل اليوم باسمه وأن يجد بين أتباعه كتبة وفريسيين بنعى عليهم الرياء ويعلمهم من جديد أن المسبب للإنسان وليس الإنسان للسبب ، وأن العبرة بنا فى الضمان لا بد تفوده الآلى ويسر على الوجود ، وأن الوحى الحى فى طوية الإنسان لا فى طوايا الكتب والأوراق .

أقرب شيء أن يكون أن ينعى على الناس ما نعاها قبل ألف وتسعمائة سنة ، وأن يجد إنسان اليوم كإنسان الأس فى شروره وعداونه ، وفى نفاقه وشذفه وفى إغراضه عن الباب وإقباله على القصور ، وفى استعلائه بالتقوى حين يتكلم ، ولجاجة فى الجحود والعذوان حين يجحد ويعتدى خيرا جديدة فى زرق قديم ذلك أقرب شيء أن يكون .

وأقرب شيء أن يقال إن طاف بالخامر ذلك الخيال ، أن يردد اللسان قول أمير العلاء :

تعب غير نافع واجتهاد لا يؤدي إلى غناء اجتهد

فقيم بشقى المصلحون ، فقيم بهلك الشهداء ؟ فقيم يأتى الأنبياء ويذهبون ؟ فقيم اختلفت الديانات واصطرع عليها المتدينون ؟ فقيم كل هذا ؟ فقيم جاهلهم رسول بعد رسول ؟ فقيم توالى التبوعون بعدهم بإحسان أو بغير إحسان ؟ جارا وعانوا :

وانصرفوا والبلاء باق ولم يزل دائئا العياء

لئن قيل هذا ليكون أقرب ما يقال بعد تلك الحقيقة التي جاءت في صورة الخيال .

ولكن الحقيقة الكبرى التي ترزق بها جميع الحقائق هي أن الحقيقة لا ترى من جانب واحد ، ولا سيما الحقيقة التي تخلد على الزمن في أطوار الإنسان منذ كان ، وتخلد معه أنى يكون .

ليست حرية الضمير مطلباً محدود المسافة ، يرحل إليه الإنسان ، ثم يصل إليه ويقعد عنه ، ويكف بعده عن كل عناء .

إنما حرية الضمير جهاد دائم وعمل دائم ، يتقدم فيه الإنسان شوطاً بعد شوط ، أو ضيقة فوق طبقة ، ولا يفرغ من جهاده يوماً إلا لينظر بعده إلى جهاد مستأنف ولا يودع الشر في مرحلة من مراحلها إلا ليلقاه ويجامده ، ولن يلقاه في سلام .

ومطالبنا المحسوسة تهدينا إلى القياس الصحيح في هذه المشكلة ، وهي أولى بأن نذكرها من المطالب الخفية التي تعتلج بالضمير وتبعث إلى العمل مرة حيث يرى مواقع خطوه وسرات حيث يبصر فلا يرى غير الحجب والظلمات .

منذا يقول إن عناء التعليم باطل إذا رأى الطفل يحمل الكتاب وهو في الخامسة ، ورأه يحمله وهو في العاشرة ، ورأه يحمله وهو في العشرين ثم في الثلاثين ، ثم رآه مدى الحياة لا يستغنى عن علم ولا يفضى على الجهل كل القضاء .

منذا يقول إن عناء الطب باطل إذا رأى الناس مريضون بعد علمهم بالجراثيم وبعد افتنانهم في الطبابة ومواقع الدواء وموانع الشفاء .

منذا يقول إن الغاية عبث لأن الطريق إليها طويل ، أو لأنها غاية تتلوها غاية بلا انقطاع ولا لقفاء ؟

لا نقول هذا في محسوساتنا التي نلمحها ونلمسها ، فهل نقوله في غاية كحرية الضمير هي سر الأمرار في حياة الإنسان منذ كان وأنى يكون ؟

ليست العبرة أن الشر واقع ولكن العبرة كيف تنظر إليه وكيف نوقعه أو كيف نتقيه .

وإذا وقع اثنان في الشر : فليس الذي وقع فيه هو مستريح إليه مستزيد منه ، كالذي وقع فيه وهو مضطر إليه نادم عليه ، وليس الذي وقع فيه وهو يعلمه

كالذي وقع فيه وهو بجهله ، أو يقف منه موقف المغالطة بين العم والجهل وبين التصد والاضطرار .

إنما الإنسان غير الميون البهيم لأنه صاحب ضمير . وإنما يقاس ضمير الإنسان بالقيم التي يقدمها والمثل العي التي يتمثلها ، والمصاب التي يطلب وينالها أو لا ينالها ، وما دم المصلحون والرسول يعلمون الإنسان قيمة يطلب ويرفعون أمامه مثلاً أعلى يتسامى إليه ، فهم عاملون ، وعملهم لازم ، وثبجته محققة ، وإن لم الشر ولم ينقص عدد الذنوب والجرائم بزقهم الإحصاء .

وإذا قلنا يوماً إن الإنسان في هذا العصر يطلب الخير ولا يدركه ، فقد قلنا على اليقين إنه أفضل من الإنسان الذي كان لا يطلبه ولا يعرفه ، وإن علمه غير مطلوب وغير معروف ، كما يعمل الحيوان البهيم .

إنما يقاس الأيمان بما تودعه النفوس من القيم والصفات ، وبما تريد من نصيب الإنسان في حرية الضمير أو في حرية التمييز بين الحسن والخبث . وقد عملت الأديان كثيراً ولا تزال قادرة على العمل الكثير ، ولكنها لن تغني الإنسان يوماً عن جهاد الضمير .

كان جهلاء الناس قبنا غير ينتظرون ألف سنة بعم فيها الخير وينفص في الشر ويحتج لشقاء ولا يرى في العالم يرشد غير سعداء ببناء سعداء . وكان « البارون » يقولون عن هؤلاء « نجم جهلاء » .

ولكن هؤلاء العارفين أجعل منهم إذا اعتقدوا أن دين من الأديان لا يعمر عتلاً ، وقد يكن غير عت من العبث لأن الدنيا باق فيها الشر ، باق قيد البصر . باق فيها الكفران .

أى فرق بين العارفين الذين ينتظرون من الدين دنيا لا تعاب وبين الجاهلين الذين ينتظرون السعادة المطلقة في « الآلفية » الموعودة آخر الزمان . بعد قرون تعد بالعشرات أو بالمئات ؟

لعل هؤلاء الجاهلين أقرب إلى التقدير الصحيح من أولئك العارفين ، لأنهم يفكرون وينتظرون « الآلفية » .. وقد انتظرها الجاهلون بغير تفكير !

لو عاد السيد المسيح اليوم لوجد كثيراً يصنعه ويعبد صنعه ، وأصنع كثيراً بين أنصاع ومن يعملون باسمه ويتواصون بوصاياه ، ولكن الدنيا التي يصنع فيها الهداة صنعا كثيراً خير من الدنيا التي لا موضع فيها نصيب الهداة وجهاد الضمير .

الفهرس

١	مقدمة
٢	الشجرة المباركة
٣	الباب الأول: كشف راي القرآن
٤	في راي الخوان
٥	تفسيرات من فلسفة التاريخ
٦	رد وتعليق
٧	الباب الثاني: السبع في التاريخ
٨	النسج
٩	النبة بين بني إسرائيل
١٠	المواظف اليهودية في عصر الميلاد
١١	الحالة السياسية والاجتماعية في عصر الميلاد
١٢	الحياة الدينية في العالم في عصر الميلاد
١٣	الحياة الفكرية في عصر لميلاد
١٤	الباب الثالث: تاريخ الميلاد
١٥	أرض الجليل
١٦	متى ولد المسيح
١٧	هجرة وصفة
١٨	الباب الرابع: الدعوة
١٩	دعوة المسيحية
٢٠	اختبار الماء
٢١	تجارب الدعوة
٢٢	الشرعية
٢٣	شريعة الحب
٢٤	آداب حياة
٢٥	ملوك السماوات
٢٦	الباب الخامس: أدوات الدعوة
٢٧	قدرة المعلم
٢٨	إخلاص التلاميذ
٢٩	الباب السادس: الأناجيل
٣٠	الإنجيل
٣١	شراح الأناجيل
٣٢	في الختام: لو عاد المسيح

ولن يختم المسيح العائد إلى الدنيا رسالة الخير والهداية ، فتلك هي شروط
الضمير الذي لا ختام له ، وهو الغاي وراء كل ختام .

وسيعلم الناس في العصر الحديث - إن لم يكونوا قد علموا حتى اليوم - أن
عقيدة الإنسان شيء لا يأتيه من الخارج فيقسه مرضاة للداعي أو ممتنا عليه ،
ولكنها هي ضميره وقوام حياته الباطنية بملحه ، إن احتاج إلى الإصلاح ،
كما يصلح بدنه عند الطبيب وهو لا يحتس عليه ولا يرى أنه عالج نفسه لمرضاته ،
فالعقيدة مسألة الإنسان ، لا شأن للأنبياء به إلا لأنها مسألة الإنسان . وعليه
إذا عالج إصلاحه أن يعالجها كما يعالج جزءا من نفسه بل كما يعالج قوام
نفسه ولا يعالجها كأنها بضاعة يردّها إلى صاحبها ويترغ من أمرها ، فلا
فراغ من أمر العقيدة إلى آخر الزمان .